

ثورة ٢٥ يناير

خواطر تاريخية

مجدى عبد الحميد السيد

القاهرة ٢٠١١



ثورة ٢٥ يناير

خواطر تاريخية

مجدى محمد عبد الحميد

القاهرة ٢٠١١

عبد الحميد ، مجدى محمد
ثورة ٢٥ يناير : خواطر تاريخية
/ مجدى محمد عبد الحميد ، ط٢
٢٠١١، القاهرة
١٧٦ ص ، ٢١ سم .
١- مصر – تاريخ – الثورة
أ- العنوان
رقم التصنيف : ٩٦٢

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠١١ / ١٤٧٥٤

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بعض الصور الموجودة بالغلاف عن مجلة ديرشبيجل .Der spiegel الألمانية حيث كان مندوبها موجودا بمسجد الاستقامة بميدان الجيزة يوم ٢٨ يناير ٢٠١١ م وتم نشر الصور بالموقع يوم ٢٩ يناير ٢٠١١م والبعض الآخر من الصور لم يحدد بدقة صاحب حق الملكية لها فنعتذر لأصحابها

فهرس

إلى

روح أمى وروح أبى

الذين وضعا قدمى على طريق حسن الخلق ...

وإلى
أستاذى معالى الدكتور فتحى محمد على الذى رسخ فى ذهنى مفهوم التواضع وحسن الخلق ...
وإلى
ابنيَّ إسلام وعمرو ...
وإلى
أصدقائى الذين عاونونى فى هذا الكتاب
إليهم جميعا أهدى هذا الكتاب

المؤلف
مجدى محمد عبد الحميد السيد

مقدمة :
يقول الله تعالى فى كتابه الحكيم: " وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ " الحج (الآية٤٠) ، فى تلك الآية الكريمة يشير القرآن الكريم إلى أن تاريخ البشرية دائم الثورات والحروب بدفع الناس بعضهم ببعض لينتصر الخير فى النهاية حيث ينصر الله من ينصره .
وفى نفس المعنى يعتبر بعض الفلاسفة والمؤرخين مثل هيجل ومن بعده ماركس أن الحروب والثورات هى المحرك الأول لعجلة التاريخ فتلك الصراعات الناتجة عن الثورات والحروب هى التى تدفع بالبشرية إلى الانتخاب التاريخى الطبيعى .
والحقيقة التاريخية الواضحة هى أن الثورات تزلزل الأمم والشعوب لتصنع قادة جدد ومن ثم دولا جديدة فى كل مرحلة تاريخية وتضعهم على العرش وتذل وتهوى بآخرين لقاع العالم وغياهب النسيان .
ومنذ قيام الثورة الفرنسية التى أتت بأوروبا جديدة سادت العالم وتاريخ العالم الحديث يعج بالثورات والحروب وكان أشدها وأقواها الحرب العالمية الثانية التى فتحت المجال لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى السابق لتسلم قيادة العالم من أوروبا ، ثم أفسح انهيار الاتحاد السوفيتى السابق مع مطلع تسعينات القرن العشرين المجال لتسود الولايات المتحدة خلال الفترة الانتقالية التى يمر بها العالم منذ أوائل التسعينات وحتى الآن .
ولكن التاريخ لا يسكت ولا تقف عجلته ولا تجف سيوله كما تحدث القرآن الكريم من قبل وحتى كما تصور هيجل وماركس فقد بدأت بوادر القوة المضادة المكافئة للولايات المتحدة تظهر فى العملاق الصينى الذى تعملق مع الثورة التكنولوجية التى أقامتها الولايات المتحدة نفسها مع بداية حكم الرئيس الأمريكى السابق بيل كلينتون الذى نشر مبادئ العولمة التكنولوجية والثقافية عبر العالم وأتاح التكنولوجيات الحديثة التى كانت تحتكرها - بل وتكاد تخفيها- الولايات

المتحدة لكل العالم بدءاً من الساتلايت والفضائيات ثم الانترنت ثم الموبايل وما سيأتى بعد ذلك من رحم الغيب الذى قد لا تستطيع أن تمتلك ناصيته الولايات المتحدة وحدها مع نهاية العقد الثالث من القرن الحادى والعشرين . والعجيب أن نتائج تلك الثورة التكنولوجية التى أتاحها عصر بيل كلينتون والتى نشرت العولمة فى العالم أتت بثمارها على دول لم يتوقعها حتى بيل كلينتون نفسه ، فقد ظهرت من تلك العولمة الالكترونية مواقع الانترنت الاجتماعية مثل فيسبوك وتويتر ويوتيوب والفضائيات مثل قناة الجزيرة والعربية وبى بى سى وغيرها والتى ساهمت بشكل كبير فى قيام الثورات العربية الحديثة كما حدث فى كل من تونس ومصر مع مطلع عام ٢٠١١م . ولو أنك عزيزى القارئ تصورت أن هناك تفاعلا كيميائيا له نتائج أساسية - وله نتائج جانبية أيضا - فإن الثورة المصرية من النتائج الجانبية الغير متوقعة للتفاعل الكيميائى بين العولمة والتكنولوجيا التى رفع رايتها كلينتون أوائل التسعينات ، حيث أن بيل كلينتون قد أعلى شأن العولمة والتكنولوجيا على أمل أن تكون النتائج الاقتصادية هى أهم نتائج التفاعل الكيميائى السابق ، حيث ستمتلك الشركات المتعددة الجنسيات كل العالم الذى سيتحول إلى قرية صغيرة تتجول فيها تلك الشركات بحرية وسيتحول رجال الأعمال وبخاصة الأمريكيين منهم إلى حكام للعالم من وجهة الاقتصاد الذى سيسيطر على العالم ويزيح السياسة والدين الذين تربعا على عرش العالم لمئات السنين ، فيصبح رجل الأعمال هو عضو مجلس النواب وهو الوزير ورئيس الوزراء بل ورئيس الجمهورية ، كل هذا تبناه وتوقعه بيل كلينتون ولكنه لم يتوقع بالطبع أن تقوم الثورات وخاصة العربية منها بناءً على ذلك التفاعل الكيميائى العالمى كأحد أهم النواتج الجانبية لتلك العولمة التى تبناها هو ونائبه آل جور .

أما تلك الثورات الحديثة فى العالم العربى والتى قد تمتد جذوتها وشعلتها لتصل حتى للكثير من دول العالم الثالث خلال العقد الحالى فقد قارنها الكثير من المتشائمين بالثورات التى حدثت فى نهاية

الثمانينـات فـى أوربـا الشـرقية بـدءاً مـن الثـورة الرومانيـة عـام ١٩٨٩م إلـى انهيـار الاتحـاد السـوفيتى السـابق عـام ١٩٩١ م ثـم بـاقى الثورات والانتفاضات التى طالت كل أوربـا الشـرقية وأدت إلـى تقسيم الاتحاد السوفيتى ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وانتهت بصورة تقريبية مع الثورة البرتقالية فى أوكرانيا نهاية عام ٢٠٠٤ م، بطريقة أطلق عليها الغرب نظرية الدومينو المتراصة أى الدومينو المتجاورة التى تسقط بالتتابع مع سقوط أول قطعة دومينو ، وقد توقع أولئك المتشائمون فى تلك المقارنات بأن تنتهى تلك الثورات كما انتهت ثورات أوربا الشرقية بالقليل من الحرية والتقدم الاقتصادى .

أما المتفائلون فيتوقعون أن تجر تلك الثورات المنطقة إلى شاطئ الحرية والرفاهية الاقتصادية التى قد لا تصل إلى مرتبة الدول الأوربية ولكن على الأقل تصل إلى مرتبة دول النمور الأسيوية فى جنوب شرق أسيا أو حتى مرتبة تركيا والبرازيل الناشئتين .

ولكن الجديد فى تلك الثورات العربية خاصة فى مصر وما يجعلها متفردة ولا يمكن مقارنتها بوضوح بما سبق من ثورات هو نشأتها من خلال الواقع الافتراضى الخيالى Virtual Reality على شاشات الكمبيوتر ثم انتقالها إلى الواقع الحقيقى للشارع ومن ثم التفاف الجماهير حولها بطريقة تدعو للدهشة حتى للدول الغربية التى اخترعت الكمبيوتر والانترنت والتى لم تتوقع ذلك التحول الرهيب.

ولكن أيضا بما أن تلك الثورات قام بها أناس هم من البشر فلا بد أن يرتبط سلوك الثورة التى حدثت فى مصر بسلوك ما سبقها من ثورات حيث أن الدوافع البشرية والمعاناة واحدة لدى كل البشر ، وهو ما اعتمدنا عليه فى هذا الكتاب بدراسة تاريخ أهم تلك الثورات فى العصر الحديث بحيث يمكن للقارئ أن يستفيد من تجارب الشعوب السابقة ليكون أقل قلقا على الثورة المصرية بل ويتقبل نجاحاتها وحتى فشلها إن حدث – لا قدر الله – بصدر رحب حيث أن التاريخ يعطينا حكما به نسبة كبيرة من الصدق وإن اختلف المؤرخون فى الوقائع التاريخية من حيث صحة تداولها أو تزويرها.

وأود أن أشير أيضا إلى أن التاريخ لا يملك ناصيته المؤرخون فقط بل كل الإنسانية لأنه من تراث البشرية المملوك لها عبر العصور تمييزا لها عن باقى خلق الله على الأرض ، لذلك اعتمدت فى هذا الكتاب على الطريقة التى اتبعها الصحفى الأمريكى جون ريد عند وصفه للثورة البلشفية عام ١٩١٧م فى كتابه الفريد "عشرة أيام هزت العالم " والذى يعتبر أقرب للرواية منه للكتاب التاريخى وكذلك الطريقة التى يتبعها المفكر الدكتور يوسف زيدان وطريقته القصصية التى تجعل القارئ لا يمل من ذكر الحقائق التاريخية .

وقد حاولت فى هذا الكتاب أيضا أن أقدم توثيقا تاريخيا للثورة التى عشناها كلنا حتى يمكن أن نتذكر تلك الأيام بعد عشرات السنين وقمت بتوثيق حتى هتافات الثورة التى قد نبتسم عند قراءتها بعد مرور عدة سنوات على الثورة ، كما أدعو كل مصرى أن يتبع هذا الطريق فى هذه المرحلة ويقوم بتوثيق تلك الثورة وما حدث فيها من وجهة نظره حتى لنفسه ولأولاده وأحفاده وإن استطاع نشر ذلك فى كتاب فهو خير له ولمصر كلها ، لأننا عانينا فيما سبق من المحاولات المتعددة لتزوير التاريخ المصرى منذ الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م .

ونظرا لحداثة الثورة فقلما توجد مراجع يمكن الرجوع إليها غير المراجع الافتراضية من خلال القنوات الفضائية والانترنت وكذلك صحف المعارضة اليومية مما يوقع الباحث فى صعوبة توكيد كتاباته وهو ما حدث لى فى هذا الكتاب فأرجو أن يتقبل منى القارئ ذلك.

وأرجو من الله أن ينتفع من يقرأه بما ورد فيه .

والله الموفق والمستعان.

مجدى محمد عبد الحميد السيد

القاهرة ٢٠١١

الباب الأول
أهم الثورات فى التاريخ الحديث

الفصل الأول : مفهوم الثورة وأشهر الثورات العالمية والشرق أوسطية
الفصل الثانى : الثورة الإيرانية
الفصل الثالث : الثورة التونسية

الفصل الأول

مفهوم الثورة
وأشهر الثورات العالمية
والشرق أوسطية

يتحدث الكثير من المحللين فى الصحف ووسائل الإعلام والقنوات الفضائية عن الثورة التونسية والمصرية والليبية واليمنية والسورية والثورات التى تمت أو ستتم فى المنطقة العربية خلال العقد الحالى على أنها تنطلق من أحد ثلاثة أمور لا يمكن التفرقة بين إمكانية حدوث أى منها لأن كلا منهم وارد الحدوث وهم :

الأمر الأول :

أن تكون من صنع الخارج وبصفة خاصة الولايات المتحدة الأمريكية بمساعدة الدول الغربية وهذا رأى المنخرطين فى السلطة السابقة والمؤمنين بنظرية الفوضى الخلاقة - التى تعتنقها بعض إدارات صناعة القرار الأمريكى – والتى تعتمد على إيجاد حالة من الفوضى يمكن التحكم فيها من الخارج وتؤدى إلى تغيير الأنظمة فى منطقة مثل منطقة الشرق الأوسط حيث أن دول تلك المنطقة متشابهة الأنظمة وبالتالى ستتبع نظرية الدومينو المتراصة أى أن وقوع دولة سيؤدى إلى انهيار دول أخرى كما حدث قبل ذلك فى دول أوربا الشرقية منذ ثورة رومانيا عام ١٩٨٩م إلى انهيار الاتحاد السوفيتى ويوغوسلافيا.

ويمكن أن يتم ذلك باختراق الفضاء الإلكتروني الذى تمتلك ناصيته الولايات المتحدة ، ويتم شحن المواقع الإجتماعية مثل فيسبوك وتويتر ويوتيوب بالمندسين والتسريبات الحقيقية أو " المفبركة " التى يمكن التحكم فيها بإيعاز الشباب نحو الثورة حيث أن الشباب هم وقود الثورات دائما والمحرك الأساسى لها .

وبعد انهيار تلك الدول أو البعض منها وتغيير أنظمة البعض الآخر بانتقالات وتحولات سلمية أو عسكرية مختلفة الأساليب سيتكون الشرق الأوسط الكبير الممتد من إيران إلى المغرب متضمنا بالفعل إسرائيل مما سيقلل التوتر فى العالم ويجعل الدول الغربية هى المحرك الأول لكل مقدرات العالم والمهيمنة على ثرواته .

الأمر الثانى :

أن تلك الثورات من صنع الشعوب نفسها ومن تحت عباءتها وهذا رأى الغالبية العظمى من شعوب تلك المنطقة حيث أن تلك الشعوب عانت

بطريقة متشابهة من القهر وفساد الحكومات والحكام وتهميش دور الشباب وتحويل الشعوب إلى مهمشين وعبيد فى صورة عصرية مغلفة بحرية الكلام الأجوف ومقيدة بضيق العيش والفقر والمرض والفزع وهو وضع مشابه تماماً للأوضاع العامة قبل قيام معظم الثورات القديمة والحديثة ، ومما يدعم هذا الرأى وجود تشابه كبير بين رؤوس الأنظمة التى قامت فيها الثورات مثل تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا من ناحية الفساد المستشرى فى كل مكان فى الدولة وخاصة حاشية الرئيس بالإضافة إلى تنامى ثروات رؤوس السلطة ومحاولة توريث الحكم وتعاظم دور الشرطة والأمن فى القمع وكلها أمور متشابهة فى البلدان العربية وإن تفاوتت فى درجات التشابه خاصة فى الدول سالفة الذكر .

الأمر الثالث :

وهو وسط بين الأمرين السابقين وفيه أن تلك الثورات من صنع الشعوب فعلا ولكن بتحجيم من الدول الغربية بحيث تتحكم الدول الغربية فى مسار تلك الثورات بعد اندلاعها فمثلا يتم تسريب أنباء ومعلومات قد تكون حقيقية تؤثر على مسار الثورة لصالح أحد الطرفين : النظام أو الشعب ، فالثورة فى البحرين والأردن والمغرب مثلا لا داعى لها الآن فيتم دحرها بسرعة ولا يتم تسريب أنباء عنها حتى لا تقوى ، أما فى ليبيا فلابد من مساندة الثورة الضعيفة بالقوة ليتم التخلص من العقيد القذافى ، ويمكن توضيح ذلك فى الحالة المصرية فحينما طلبت الولايات المتحدة من الرئيس المصرى السابق حسنى مبارك مع بداية الثورة ترك الحكم ولم يفعل تسربت أنباء عن ثروته فى الصحف الغربية ثم فى القنوات الإخبارية العربية بالإضافة إلى الأنباء عن التعذيب والمعتقلات والفساد وكلها فى معظمها أنباء حقيقية ولكنها لم تكن لتظهر من قبل، وكذلك نقل وجهات نظر المعارضين فى القنوات الفضائية لفتح ملفات قديمة كانت مغلقة والتأثير على الجماهير باتجاه الثورة ، هذا بالإضافة إلى رفع غطاء الدعم المخابراتي عن النظام ، وكذلك محاولة التأثير فى المسار حتى بعد الثورة للتأثير على

طريقة انتخاب الرئيس القادم ليأتى متوافقا مع المطالب الغربية حتى وإن كان من الرافعين لواء الدين . كل هذا تعلمته الولايات المتحدة من الأخطاء التى ارتكبتها فى معالجة الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ م حيث لم تساند إلا جانب واحد هو جانب الشاه الذى سقط فسقط نفوذها فى إيران للأبد .

وعند النظر إلى الأمور الثلاثة السابقة لم يؤكد أي من المحللين للثورات السابقة توقعه بقيام الثورة فى تونس بل وحتى توقعه بقيام الثورة بهذا الحجم فى مصر بعد تونس أو حتى توقعه بقيامها فى ليبيا أو سوريا أو اليمن برغم من قيامها فى مصر ، وكذلك فى السرعة الشديدة التى تمت بها فى تونس أو فى مصر - حيث أن تنحى الرئيسين التونسى والمصرى تم فى أقل من شهر- بالرغم من أن كلا منهما أذهلتا العالم حينما شاهد العالم كله مسلسلاً أخبارياً يومياً عن تونس بدءاً من يوم الجمعة ١٧ ديسمبر ٢٠١٠ م حتى هروب الرئيس السابق بن على يوم الجمعة ١٤ يناير ٢٠١١ م أو المسلسل الإخباري العظيم فى مصر منذ الثلاثاء ٢٥ يناير إلى الجمعة ١١ فبراير عام ٢٠١١ م والذي توجد به جميع خصائص المسلسل التليفزيوني الجيد من إثارة وتشويق وكر وفر ودموع وفرح وبداية وذروة ونهاية ، ففى ذلك المسلسل ترى فى كل حلقة – أقصد كل يوم – عملا يقوم به شباب الثورة وتقوم السلطة بعمل آخر مضاد وهكذا حتى نهاية الحلقات فى ١١ فبراير بتنحي الرئيس السابق محمد حسنى مبارك ووقوف الثورة على قدميها كائنا جديدا أطاح بالمارد القديم .

ولكن قبل أن نتناول تلك الثورة ينبغى أن نتناول أولا تعريف ومفهوم الثورة وأشهر الثورات فى العصر الحديث .

تعريف الثورة :

الثورة مثل الزلزال تماما لأن الحكام دائما لا يتوقعون قيامها ولا يدركون متى تتحول انتفاضات الشعوب إلى ثورات تعصف بهم، وكذلك تأتى الثورة بما لا يشتهى الناس فهى ترفع أناساً وتذل آخرين ولا مفر من مضارها لكل الناس لفترة معينة قد تطول أو تقصر، وليس

للشعوب أى مفر من ملاقاة عواقبها التى دائما ما تهز المجتمع من جذوره فتقلب التربة دائما على من فيها وينبغى أن يتقبل من عاصر الثورة هذا الأمر برباطة جأش وأمل فى المستقبل لأن آثار الثورة لا تظهر على المدى القصير بل على المدى البعيد ولا يمكن التراجع عنها لأن عجلة الثورة أحادية الاتجاه للأمام .

لذلك فالثورة والحرب عند الماركسسين وأتباع الفيلسوف الألمانى هيجل هى المحرك الأول لعجلة التاريخ حيث أنها نتاج الصراع بين القوى التاريخية التى لا تقاوم وستستمر طالما وجد استغلال للبشر.

أما الباعث للثورة فهو متشابه فى كل الثورات من حيث وجود بوادر التقشف الاقتصادى وضيق العيش والفقر يصاحبه القهر الشديد والفساد الطاغى مع عدم وجود عدالة اجتماعية فإذا وجدت نخبة تبدأ الشرارة الأولى التى تلتف جموع الشعب حولها فتسال الدماء ويسقط القتلى فيغذى ذلك الثورة وتظهر للوجود . وقد تكرر ذلك قبل كل الثورات فى كل الدول بطريقة متشابهة حتى توقع البنك الدولى عام ٢٠٠٨ م بعد الأزمة العالمية قيام العديد من الثورات والحروب والانتفاضات نتيجة نقص الغذاء وما يتبعه من غلاء فى العالم ، وهو ما حدث وسيحدث بالفعل .

والثورة لها عدة تعريفات من وجهة نظر دارسى العلوم السياسية والاجتماعية بل ومن غير دارسى العلوم السياسية حيث أصبحت تطلق على قفزات مؤثرة تتم فى مجالات مختلفة فهناك ثورة صناعية – كما حدث فى القرن التاسع عشر - وكذلك ثورة زراعية وثالثة ثورة علمية ورابعة ثورة تكنولوجية وخامسة ثورة معلومات وسادسة ثورة تعليمية ... إلخ ، وكان أقرب مثال لذلك هو إطلاق الزعيم الصينى ماوتسى تونج على فترة حكمه بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بأنها ستكون " ثورة ثقافية ". إلا أن ما يعنينا هو تعريف ومفهوم الثورة من وجهة نظر العلوم السياسية والاجتماعية وهو ماسيتضح فيما ياتى :

كلمة ثورة فى الإنجليزية revolution مشتقة من أصول فرنسية révolution ومن ثم لاتينية revolutio وظهرت منذ عصر

أرسطو واستخدمت بمعناها الحديث منذ القرن السادس عشر الميلادى ([1]) وتغير مفهومها وتعريفها مع قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م ومع قيام الثورة الروسية عام ١٩١٧م، وكذلك تغير تعريفها مع التطور البشرى خلال القرنين التاسع عشر والعشرين وبالتالى أصبح لها عدة تعريفات تبدأ من تغيير الحكومة إلى حدوث تغييرات جوهرية فى نسيج المجتمع .

ومن أهم تلك التعريفات الحديثة تعريف توكفيل Tocqueville عام ١٩٥٥ م بأن الثورة هى سقوط السلطة الشرعية للنخبة فينشأ عنها تغيرات عميقة فى الوضع الاجتماعى والسياسى والاقتصادى ، ثم تفرقة كرين برينستون Crane Brinston و جورج بلانكستين George Blanksten بين الثورة والانقلاب حيث أن الانقلاب Coup d`etat هو تغيير للنخبة أو للسلطة الحاكمة بطريقة سهلة.

ونظرا لكثرة التعريفات الخاصة بالثورة وحتى لا يتيه القارئ فيمكن دمجها لنصل إلى مفهوم عام للثورة يتضمن ما يلى:

الثورة هى تغيير كامل مفاجئ وجذري فى النظام أى فى الحكم ومؤسساته وما يرتبط به ليسقط النظام القديم ويتم تأسيس نظام جديد وينتج عنها تغييرات جوهرية فى الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدولة وبالتالى تغير جذرى للمجتمع ككل. وقد تكون شرارة الثورة من النخبة ويتبعها الشعب ويسقط فيها ضحايا كثيرون وهو ما يطلق عليه الثورة الشعبية مثل الثورة الفرنسية أو الثورة الروسية – وكذلك الثورة المصرية عام ١٩١٩ م – أو تكون الثورة باستخدام القوة العسكرية – وحينئذ تسمى انقلابا- أو تتحول إلى ثورة حين يساندها الشعب كما حدث فى مصر عام ١٩٥٢ م . وقد تأتى الثورة بنظام أحسن وأفضل من الناحية الديموقراطية والرخاء الاقتصادي والاجتماعي أو تأتى بنظام أسوأ وأكثر ديكتاتورية ويظهر ذلك بعد عدة سنوات من قيام الثورة . كما قد تبدأ الثورة شعبية تتضمن كل التوجهات الأيديولوجية والسياسية وتنتهي بنظام أيديولوجى واحد

[1] انظر قاموس ميريام ويبستر Merriam Webster فى معنى الثورة Revolution

كما حدث مع الثورة الشيوعية الروسية عام ١٩١٧م حيث اتبعت النهج الماركسي الشيوعى ، أو مع الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩م حيث اتبعت النهج الإسلامى الشيعى بالرغم من مشاركة العديد من القوى السياسية فى بداية الثورة.

أما فى اللغة العربية فالأمر مختلف فكلمة ثورة فى اللغة الفصحى ليس لها نفس المعنى الحديث فبالرغم من وجود الفعل ثار يثور بمعنى هاج يهيج أو غضب يغضب – يشبه فعل الثور عند هياجه - ووجود اسم الفاعل ثائر بنفس المعنى المتعارف عليه إلا أن المعنى المشهور قديما للمصدر وهو الثورة لم يكن متعارفاً عليه حيث أن الثورة هى البقرة أو أنثى الثور، لذلك لم تكن كلمة ثورة مستخدمة فى العصور القديمة بنفس المعنى الحديث بالرغم من وجود معنى الثورة فى الإسلام حيث يمكن اعتبار فتح مكة ثورة إسلامية وبداية كل من الخلافة الأموية والعباسية ثورات أيضا ، وكانت العرب لا تفرق كثيراً بين الحروب والثورات فهى تطلق عليها " أيام " فكلمة " يوم " تطلق على الغزوة كما تطلق على الثورة بمعناها الحديث فهناك "يوم حنين" أى غزوة حنين ، كما وردت كلمات مثل غزوة أو وقعة أو موقعة أو معركة أو محنة أو حتى "هوجة" أو "هجمة" للدلالة على الحروب وأحياناً الثورات بمفهومها الحديث . أما كلمة ثورة بمفهومها الحالى فلم تصل للعرب على الأغلب إلا مع وصول الفرنسيين عام ١٧٩٨ م لمصر وتعرف المصريين على الثورة الفرنسية وبالتالي استخدام تلك الكلمة كترجمة للثورة الفرنسية .

ولكى نفهم معنى كلمة ثورة التى وصلت إلينا بالمفهوم الحديث ينبغي أن نلقى نظرة تاريخية على الثورات التى غيرت معنى الكلمة لدى المجتمع الإنسانى الحديث ككل وخاصة الثورة الفرنسية والثورة الروسية اللتان غيرتا وجه العالم الحديث .

أشهر الثورات العالمية والشرق أوسطية فى العصر الحديث:

لا تكاد تخلو منطقة فى العالم من ثورة حدثت خلال المائتى عام الأخيرة ولكن تختلف تلك الثورات عن بعضها فالكثير ، منها هى

حركات تحرر من الاستعمار أقرب منها للثورات بدءاً من الثورة الأمريكية عام ١٧٧٦ م لذلك فهى غير قابلة للاستنساخ، ولكن القليل منها هى ثورات حقيقية كانت ملهمة للدول الأخرى لكى تكرر تجربة تلك الثورة مثل الثورة الفرنسية والروسية وبعضها كانت أمثلة لثورات بدت ناجحة ولكنها فشلت وسقطت مثل ثورات أوربا الشرقية الحديثة، لذلك لابد من دراسة البعض منها بشئ من التفصيل لنتعرف على طريقة قيام واستمرار الثورات لأن ذلك سيفيد القارئ فى وضع تصور لما ستؤول إليه الثورات العربية الحديثة فما أشبه اليوم بالأمس من وجهة النظر التاريخية .

أولا : الثورة الفرنسية (١٧٨٩ – ١٧٩٩ م)

بالرغم من قيام ثورات متعددة قبل قيام الثورة الفرنسية منذ ثورة سبارتكوس أو ثورة العبيد قبل الميلاد بثمانين عاماً والثورات الدينية التى تلت ذلك وصولاً إلى الثورة الأمريكية عام ١٧٧٦ م بما كان فيها من تطورات أدت إلى تغيير خارطة العالم الجديد بالإضافة إلى ما حدث فى انجلترا من خلال الولوج إلى الديموقراطية عن طريق الصراع بين البرلمان والملوك إلا أن الثورة الفرنسية تعتبر هى الثورة الشعبية الأولى فى التاريخ الحديث من حيث زخمها وريادتها للعالم فى الفترة التى تلتها حيث أحدثت تغيرا سياسيا واجتماعيا بل واقتصاديا وعلميا فى كل العالم آنذاك واستمر تأثيرها المباشر خلال القرن التاسع عشر وامتدت مبادئها إلى الآن معلنة للبشرية شعار "الحرية – المساواة – العدل" الذى نادى بأن كل الناس فى كل بلدان العالم على سواء فيما بينهم فلا فضل لأبيض على أسود ولا لمسيحى على يهودى ولا لرجل على امرأة فكل البشر سواء كما أشارت كل الأديان سابقاً .

ولكى نعطى كل ذى حق حقه فقد كانت الثورة الأمريكية على قدر كبير من الأهمية والرقى الفكرى والعملى بالإضافة إلى الريادة مع الثورة الفرنسية ولكن لبعدها عن العالم القديم لم تأخذ حقها آنذاك من الدراسة والتمحيص ولم يكن لها تأثير هام على منطقة الشرق الأوسط مثلما

كان للثورة الفرنسية التى غزت كل أوربا ومنطقة الشرق الأوسط قبل أن تصبح من تراث البشرية الخالد .

أما فرنسا فهى البلد العريق الذى يقع قرب الجنوب الغربي لأوربا والذي أوقف الزحف العربي الإسلامي منذ ثلاثة عشر قرنا من الزمان والذى لو قدر له اجتياح فرنسا لأصبحت أوربا كلها مسلمة ولكن صمود فرنسا أعطى للديانة المسيحية الحق فى أن تبقى أكبر ديانة فى العالم من حيث عدد معتنقيها ([٢]) كما أعطى لفرنسا الأفضلية فى أن تكون حامى الديانة المسيحية الكاثوليكية بعد إيطاليا بل وشاركت بصورة أساسية فى الحروب الصليبية على الشرق بدعوى نصرة المسيحيين منذ أكثر من ثمانية قرون.

وبعد استقلال أسبانيا المسيحية عن العرب أصبح محور إيطاليا وفرنسا وأسبانيا هو المحور المسيحي الكاثوليكي ([٣]) بعد انتشار البروتستانتية([٤]) فى دول ألمانيا وما يحيط بها وامتدادها إلى بريطانيا وشمال أوربا وكذلك دول العالم الجديد .

وقد تطور الفكر الفرنسى بعد ذلك لكى يميل إلى الليبرالية والتفكير الحر مع وصول مفكرين وفلاسفة لا يمكن حصرهم مثل رينيه

---

[٢] آخر تقدير صحيح أقيم عام ٢٠٠٩ فى الولايات المتحدة وفيه أن المسيحيين يشكلون ثلث سكان العالم والمسلمون أقل من الربع والباقى للديانات الأخرى انظر الموقع الأمريكى www.pewforum.org .

[٣] المسيحية الكاثوليكية : هى المسيحية التى تخضع لسلطة بابا الفاتيكان أو كنيسة روما وتعتبر هى والأرثوذكسية التى بنيت على الكنيسة الشرقية فى الاسكندرية قديما هما أقدم الفرق المسيحية منذ القرن الرابع الميلادى منذ عقد أول مجمع مسيحى فى حدود عام ٣٢٢ م. وتبنى الكاثوليكية على الكتاب المقدس مع الكهنوت المسيحى للقديسين بطرس وبولس مما يضع البابا على هرم السلطة الدينية ويجب التسليم بكل قراراته وقرارات المجمع المقدس ولا يمكن انتقاده مما أعطى للكنيسة سلطة ونفوذا كبيرين خلال القرون من الحادى عشر إلى السادس عشر الميلادى وحتى ظهور البروتستانتية التى قامت بالحد من سلطة ونفوذ بابا الفاتيكان فأصبح له السلطة الدينية فقط ، وتنتشر الكاثوليكية فى كل بلاد العالم خاصة فى أوربا والأمريكتين ويدين بها حوالى ١.٢ مليار نسمة وبنسبة حوالى ٥٥% من المسيحيين .

[٤] البروتستانتية هى انشقاق مسيحى عن الكنيسة الكاثوليكية مع مطلع القرن السادس عشر على يد الألمانى مارتن لوثر ودعا فيه إلى الرجوع إلى الكتاب المقدس والحد من قداسة البابوات وعصمة رجال الدين والمظاهر والأسرار الكنسية أى الرجوع للديانة الأولى ، وانتشر ذلك المذهب فى شمال ووسط وغرب أوربا ويدين به أقل من ثلث المسيحيين فى العالم .

ديكارت وجان جاك روسو فى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين بالإضافة إلى الأدباء والفنانين الذين اعتنقوا نفس الفكر.
ولكى نعطى نبذة مختصرة عن الثورة الفرنسية لا بد أن نشير إلى أن القرن الثامن عشر انتشرت فيه العديد من آراء مفكرين متعددين مثل مونتيسيكو وفولتير وروسو تنادى بالحرية والعدل والمساواة بين البشر وهو ما لم يكن متداولا فى العالم آنذاك بل وتنادى بنبذ الملكية والإقطاع، والأكثر من ذلك بدأت فى محاولات هدم سلطة الكنيسة الكاثوليكية ومحاولة فصلها عن الدولة بعد أن تورطت فى تعذيب البروتستانت ولكن تلك الآراء كانت تقال وتكتب بواسطة خطباء الثورة مثل روبيسبير للطبقة المتوسطة ، أما الطبقة العاملة وهى السواد الأعظم من الشعب فلم تكن تجد إلا الفقر والجهل والمرض بل والسجن من الضرائب وشدة جبايتها ، حتى وصل الأمر إلى ذروته من الفساد والإقطاع والسخرة مع حكم الملك لويس السادس عشر وزوجته الملكة مارى أنطوانيت ومع طبقة من الإقطاعيين والنبلاء التى تحيط بهما وتحكم كل فرنسا – وكأنك تشاهد عزيزى القارئ النسخة القديمة من الرئيس التونسى السابق بن على وزوجته وحاشيته أو الرئيس المصرى السابق حسنى مبارك وزوجته وحاشيته أو حتى قيصر روسيا وزوجته وحاشيته - وهنا تضاءلت الطبقة المتوسطة التى أخذت تنحدر فى مكانتها وأصبحت طبقة مهمشة لا تأمل فى الحصول على أى مكاسب سياسية وساءت أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية ، أما طبقة الكادحين من الشعب فقد رزحت تحت جبال من الفقر والجهل والمرض والأوضاع الاقتصادية المزرية التى تشبه المجاعة فى ظل بطالة شديدة نتيجة نقص محصول القمح خلال السنين قبل الثورة مما جعل الشعب الفرنسى على شفا الانهيار فبدأت الانتفاضات المتعددة فى أبريل عام ١٧٨٩م وكانت ذات طابع اقتصادي تصدت لها الشرطة وسقط فيها قتلى ثم تطورت وأصبحت ذات مغزى اقتصادي وسياسي يوم سقوط سجن الباستيل الشهير بدءا من ١٤ يوليو ١٧٨٩ م ومن ثم أدت إلى الثورة الكبرى فى باريس فى ٤ أغسطس عام ١٧٨٩ م .

وكان سقوط سجن الباستيل الذى يمثل سقوط الشرطة هو بداية الثورة حيث أطلقت حامية سجن الباستيل – وهم من الجنود السويسريين - النار على المتظاهرين مما غذى الثورة وعجل بسقوط الحصن أو السجن الذى سجن فيه كبار السياسيين إلى جوار كبار المجرمين ومن لفقت لهم القضايا أو حتى ممن سجنوا بدون أية قضايا ودون معرفة السبب .

وكان من الأسباب الرئيسية لبدء الشرارة هو تهميش وتحقير نواب الشعب الموجودين فى مجلس النواب من غير النبلاء والإقطاعيين ورجال الدين حتى أنهم عوملوا قبل قيام الثورة مباشرة عند دخول البرلمان كما يعامل الخدم بالدخول من الباب الجانبى للبرلمان بالرغم من أنهم من نواب الشعب فقاموا بتأسيس الجمعية الوطنية التى أخذت على عاتقها روح الثورة والمقاومة – وكأننى أقرأ نفس ما حدث فى مصر فى انتخابات عام ٢٠١٠ م وسقوط كل المعارضين وحينما كونوا برلمانا شعبيا قال لهم الرئيس السابق مبارك " خليهم يتسلوا " كناية عن الاستهزاء فما أشبه اليوم بالأمس – وقد قام الملك قبل قيام الثورة بعدة أيام باتخاذ إجراءات متعددة تحد من سلطة الشعب وتبعث على الخوف من المستقبل مما أدى إلى العديد من الاحتجاجات انتهت بسقوط سجن الباستيل وهنا رضخ الملك وأعاد الوضع إلى ما قبل الثورة ولكن الثورة كانت قد قامت وارتفع سقف مطالبها بطلبات متعددة حيث انتشرت وطالت كل المدن الفرنسية وبالتالى تكونت لجان ثورية بديلة للجان المجلس البلدى الموجودة سابقا وحدث ما يشبه الانفلات الأمنى وأصبح الفلاحون يظنون أن النبلاء هم من يقفون وراء تجويعهم فنهبت قصور النبلاء وأحرقت خلال شهر يوليو من عام الثورة حتى ألغيت الامتيازات الخاصة بالنبلاء وألغى الإقطاع بعد ألف سنة([٥]) وتم إعلان العدالة الاجتماعية يوم ٤ أغسطس عام ١٧٨٩ ومن ثم الإعلان عن حقوق الإنسان والمواطن نهاية أغسطس من نفس العام وكان أول بنوده أن الناس يولدون أحرارا متساوين فى الحقوق ،

---

[٥] جسب تعبير لويس عوض - انظر كتاب الثورة الفرنسية للويس عوض ١٩٩٢

وتم التصديق على الإعلان فى أكتوبر من العام نفسه من الملك رغما عنه بعد انتفاضة تسمى انتفاضة الخبز قامت بها النساء فى أول سابقة للثورة النسائية . ولم تمض الثورة على النسق المطلوب حيث هرب الكثير من النبلاء بأموالهم للخارج - مثلما حدث فى كل الثورات التى قامت بعد ذلك - مما أدى إلى تدنى الوضع الاقتصادي للبلاد بما يشبه الثورة المضادة وقد حاول من بقى من النبلاء وأتباعهم من قادة الشرطة والجيش مساعدة تلك الثورات المضادة ولكن لم يفلحوا، وفى النهاية حاول الملك الهرب والاستعانة بملك النمسا أخى زوجته ولكنه قبض عليه ورجع إلى قصره وتم حبس الملك فى أغسطس ١٧٩٢م، وفى هذا التوقيت بدأت الثورة المضادة التى ولدت على يد الاقطاعيين الذين يحلمون بعودة الأيام الخوالى فاتصلوا بالملوك المجاورين لفرنسا يحذرونهم من الثورة الفرنسية ويفشون أسرار البلاد فتجمعت كل الملوك ضد فرنسا ولكن انتصرت فرنسا انتصارا معنويا فى موقعة فالى ضد البروسيين مما أعطى الثورة نصرا جديدا. وأيضا ومن رحم الثورة الأم بدأ عصر الإرهاب والإعدام ما بين عامى ١٧٩٢م إلى عام ١٧٩٤ م كان من بينها إعدام الملك بداية عام ١٧٩٣ م وزوجته نهاية نفس العام ثم إعدام حتى بعض قيادات الثورة والفنانين والعلماء وكل من كان يشك فى أنه كان من أتباع الملك أو من أعداء الثورة بدون أى إثبات أو محاكمة عادلة . واستمر الحال فى الصراعات التى تمخضت عنها الثورة حتى بلغت ذروتها بعد خمس سنوات ثم بدأت فى الأفول بعد مرور سبع سنوات وانتهت مع تنامى قوة الجيش واستيلاء نابليون بونابرت على السلطة عام ١٧٩٩م وبذلك انتهت الثورة الفرنسية التى استمرت لسبع سنوات من الصراع والدموية وعشر سنوات من الانهيار.

وبالرغم من كم الدماء الذى صاحب الثورة الفرنسية إلا انها أفرزت فرنسا جديدة، فكان من نتائج الثورة الفرنسية انتشار **الحرية والمساواة والعدل** فى كل العالم وبين كل البشر مما أدخل العالم إلى مرحلة تاريخية جديدة انتهى فيها عصر العبيد والإقطاع والتمييز بين البشر

وامتد ليصل إلى كل الشعوب بعد ذلك ، وكذلك انتشار الفكر الليبرالى المتحرر الذى أدى إلى التطور العلمى والثقافى والاجتماعى والاقتصادى والصناعى فى أوربا خلال القرن التاسع عشر واستمرت آثاره إلى الآن ونحن فى بداية القرن الحادى والعشرين.
وبالرغم من دموية الثورة الفرنسية فإنها كانت حلم كل ثورات العالم ومحل دراسة كل المؤرخين الذين يرون فيها مرآة كل الثورات الشعبية التى حدثت والتى سوف تحدث فى التاريخ الحديث من حيث بواعث الثورة وطريقة سير الثورة والثورة المضادة ونتائج الثورة فى النهاية.
ولكن الثورة الفرنسية نظرا لعظمتها التاريخية فقد خرجت من أفكارها أوربا جديدة تتسم بالحرية والمساواة تربعت على عرش العالم الحر إلى يومنا هذا بل وامتدت لتصل إلى العالم الجديد فى الأمريكتين واستراليا .

ثانيا : الثورة الروسية (١٩١٧ م)

" يا عمال العالم اتحدوا " تلك الجملة التى أطلقها الفيلسوف كارل ماركس والمفكر فردريك انجلز عام ١٨٤٨ م من خلال البيان الشيوعى أو (المانيفيستو الشيوعى) ليبدأ بها عصر فلسفة جديدة لا تعتمد على النظرة العلوية لتفسير العالم كما كان عهد الفلسفة دائما ولكنها تجعل الفلسفة تنزل من برجها العاجى لتتحول إلى واقع معتمدة على مبادئ اشتراكية وفلسفة مادية للتاريخ والثورات حيث وضع أساسها الفيلسوف هيجل وطورها كلا من كارل ماركس ومن بعده فردريك انجلز وتبناها من بعده الثوريون أمثال لينين فى روسيا وماوتسى تونج فى الصين أو حتى فيدل كاسترو فى كوبا اعتمادا على الجموع الغفيرة من الشعب أى الطبقة العاملة أو البروليتاريا التى تنضم إلى النخبة لتنشد "الحرية والخبز والسلام" .
ومن المهم أن نعطى نبذة مختصرة عن روسيا ، فإمبراطورية روسيا آنذاك – قبل تكوين الاتحاد السوفيتي – هى أكبر بلد فى العالم تمتد من شرق آسيا إلى غربها كما تعتبر جزءا من أوربا بل وتسيطر على أجزاء كبيرة من أوربا ، واتساع حدود روسيا وتنوع جغرافيتها أعطى

لها التفوق فى جميع المصادر الطبيعية من فحم وبترول ومعادن بالإضافة إلى التوسع الزراعي وتنوع محاصيله وكذلك كان لها أهمية صناعية عالمية ، أى يمكن اعتبار روسيا دولة قائمة بذاتها يمكن ألا تعتمد على أحد فى كل احتياجاتها ، ولم تنضم روسيا إلى القطار الأوربى لأسباب كثيرة منها اعتناق أهلها المسيحية الأرثوذكسية وقلة الكاثوليك والبروتستانت والمسلمين بها ، كما أنها تأخرت فى الناحية الفكرية قبل القرن التاسع عشر لذلك عملت على تضييق تلك الهوة بالاتصال الفكري والثقافي والعلمي مع دول متعددة فى أوربا مثل فرنسا مما أثرى الفكر الروسى ونتج عن ذلك جيل من المفكرين والأدباء أذهل العالم مثل ديستوفسكى ومن بعده تولستوى وكذلك جيل من الفنانين بل ومن العلماء الأكاديميين.

وبالرغم من علاقات روسيا مع الغرب فقد كان لها علاقات ما بين سلم وحرب وبين كر وفر ليس مع دول أوربية فحسب بل مع كل من تركيا وإيران وما حولهما من دويلات وهى الدول التى تحدها من الجنوب الغربى ، لذلك فقد استنفذت الحرب مع تلك الدول خلال القرن التاسع عشر العديد من قدراتها العسكرية والاقتصادية الهائلة وكان ذلك فى صالح الدول الأوربية التى لا تريد شريكا كبيرا فى أطماعها العالمية آنذاك ، فالحرب والمناوشات بين تركيا وإيران المسلمتين وروسيا الأرثوذكسية يرهقهم جميعا ويأتي بالنفع على أوربا الاستعمارية القديمة التى شرعت فى تقسيم واحتلال العالم .

والحقيقة أن تاريخ الأمة الروسية الحديث مثل تاريخ الأمة الفرنسية والإنجليزية والألمانية يعطى إحساسا بالعظمة التاريخية مما أعطى أهمية تاريخية لثورتها استحقتها بالفعل كأهم ثورة عرفها العالم فى القرن العشرين وامتدت آثارها إلى شرق أسيا ثم لتعبر البحار إلى أمريكا الجنوبية بالإضافة إلى الكثير من دول العالم الثالث .

وقد بدأت الثورة الروسية مثل كل الثورات باحتجاجات منذ مطلع القرن العشرين من الطبقة البرجوازية المثقفة التى تأثرت بآراء الثورة الفرنسية وكذلك أفكار " كارل ماركس " و" فردريك انجلز " على

الوضع المزرى الذى وصلت له روسيا من فقر وجهل وإقطاع وظلم للعمال والفلاحين وحكم قيصرى فاسد من القيصر نيقولا الثانى وزوجته وحتى حاشيته ومستشاريه وأشهرهم راسبوتين ، ومن ثم تأسست أحزاب معارضة بدءا من عام ١٩٠٣م وانقسمت عام ١٩١٢ م إلى مانشوفيك – أى الأقلية – وبالشفيك وهم الأغلبية الذين تزعمهم شاب يقترب عمره وطريقة كفاحه من عمر وطريقة مصطفى كامل فى مصر وتم نفيه للخارج ولكنه عاد مع الثورة عام ١٩١٧ م وهو فلاديمير إيليتش أو المعروف بـ " لينين ".

ومع زيادة الفقر بعد انخراط روسيا فى الحرب العالمية الأولى تأثر الدخل القومى الروسى كثيرا وزاد الفقر وتضاعفت ساعات العمل للعمال حتى تحولوا إلى عبيد للحرب مما ساهم فى بدء الاحتجاجات مع بداية عام ١٩١٧ م وانضم الجنود إلى الثوار مع نهاية فبراير ١٩١٧ م لتبدأ الثورة فى كل أنحاء روسيا ويستجيب القيصر نيقولا الثانى فيتنحى لحكومة انتقالية لم تستطع إنهاء حكم القياصرة والإقطاع بصورة كاملة مما مهد الطريق للثورة البلشفية مع نهاية أكتوبر عام ١٩١٧ م .

لقد كان من نتائج مظاهرات فبراير وتنحى القيصر ووصول تروتسكى صاحب لينين لوزارة الدفاع أن ساعد على عودة كل المنشقين فى الخارج وعلى رأسهم بالطبع لينين قائد الثورة – كما عاد الخمينى لإيران عام ١٩٧٩ م فيما بعد – وهنا ظهرت قوة البلاشفة أو حزب الأغلبية المعارضة التى تبنت الثورة المسلحة حتى تحقق لها الحلم يوم ٢٦ أكتوبر بالتقويم الروسى – الموافق ٨ نوفمبر بالتقويم الميلادي - وسيطر الثوار البلاشفة على مقاليد الحكم وتأسست أول حكومة ثورية في القرن العشرين برئاسة لينين الذي حاول أن يطبق أفكار أساتذته العظام أصحاب الفكر الاشتراكى والشيوعى " ماركس " و" انجلز " على طريق الواقع فقد تحققت نبوءتهما بالفعل فى روسيا وليس فى انجلترا كما توقع كارل ماركس قبل وفاته فى انجلترا عام ١٨٨٣م .

ومن المهم الإشارة إلى أن المرحلة التى تلت الثورة أقامت روسيا الحديثة بمزارعها ومصانعها وقدراتها العلمية والثقافية والفنية وحتى النووية والعسكرية ولكنها أيضا فاقت فى وحشيتها مرحلة الثورة الفرنسية ، فقد أعدم القيصر وزوجته وبناته عدا واحدة هربت بل وأعدم كل من له صلة بالقيصر والإقطاع ووصل الأمر إلى إعدام واغتيال عدة ملايين من الروس خلال عدة سنوات ، والأصعب هو وصول هذا العدد إلى عشرات الملايين حتى نهاية الحرب العالمية الثانية خلال ثلاثين عاما . ولكن لم يمهل القدر لينين ليتلمس آثار الثورة فتعرض لمحاولة اغتيال عام ١٩١٨ م كان لها الأثر فى اعتلال حالته الصحية حتى توفى مع بداية عام ١٩٢٤م بعد أن قام بوضع أول لبنة فى بناء الاتحاد السوفيتى الذى نتج عن اتحاد أربع جمهوريات وليدة من زخم الثورة وهى روسيا وروسيا البيضاء وأوكرانيا وجورجيا عام ١٩٢٢م توسعت فيما بعد لتضم خمسة عشر جمهورية. وبعد موت لينين وتولى ستالين حكم البلاد أخذت ظاهرة عالمية جديدة تغزو العالم وهى ظاهرة الديكتاتور القادم من الشعب بدعم الثورة والذى تكرر نموذجه فى إيران (رضا خان) وفى أسبانيا (فرانكو) وحتى فى ألمانيا النازية (هتلر) وإيطاليا الفاشية (موسيلينى) ولكنه فى روسيا لم يكن له مثيل حيث اتخذ ستالين مثالا لأبشع ديكتاتور فى تاريخ العالم الحديث حتى أن عدد من ماتوا فى عهده سواءً قبل أو بعد الحرب العالمية الثانية يقدر بالملايين وليس بالآلاف .

وتكمن أهمية ثورة روسيا فى أنها أول طريقة لحكم "الشعب للشعب" حيث أنها قامت على أسس جمهورية على طريق مخالف لنسق الفرنسيين حيث كان طريقها اشتراكيا شيوعيا قضى على كل مظاهر الإقطاع والرأسمالية الاحتكارية وبالتالى نشر العدالة الاجتماعية ، بل وساهم فى نقل أفكار الثورة إلى كل شعوب العالم المقهورة فى كل الدول مما أعطى لها تأثيرا كبيرا على مجريات الحياة فى شرق أوربا والكثير من دول آسيا ومنطقة الشرق الأوسط وحتى أمريكا الجنوبية.

لذلك يمكن اعتبار الثورة الروسية ثانى أكبر ثورة شعبية فى التاريخ الحديث بعد الثورة الفرنسية حيث أنها سيطرت بأفكارها على جزء كبير من العالم لفترة تزيد على خمسين عاما وألهمت العديد من الشعوب لكى تقوم بالثورات ونشرت الفكر الاشتراكي والماركسي عبر العالم منذ قيامها بعد الحرب العالمية الأولى إلى أوائل السبعينات من القرن العشرين ، وأيضا وضعت تلك الثورة الاتحاد السوفيتى السابق كأكبر قوة عالمية لمدة تزيد على خمسين عاما بالمناصفة مع الولايات المتحدة الأمريكية حتى بدأ انهياره نهاية عام ١٩٩١ م وبداية عام ١٩٩٢ م .

ثالثا : ثورات أوربا الشرقية الحديثة :

هناك بعض الثورات قد نلتفت إليها ليس لعظمتها ونجاحها ولكن لفشلها أو نجاحها الجزئى ، فمع نهاية ثمانينات القرن الماضى وانهيار سور برلين بين الألمانيتين عام ١٩٨٩ م بدأت تسرى فى أوصال دول حلف وارسو – الاتحاد السوفيتيى وحلفاءه - أعراض الوهن بل وامتد الوهن إلى العاصمة التى سمى بها الحلف حيث ظهرت فى وارسو ببولندا بوادر إنشقاق عن الشيوعية السوفيتية على يد ليش فاونسا منذ عام ١٩٨٩ م والتى انتهت بإقامة أول حكومة غير شيوعية عام ١٩٩٠ م وكذلك فى رومانيا ثم المجر وأيضا فنتشيكوسوفاكيا ويوغسلافيا اللتين انقسمتا إلى عدة دول بطريقة شبهها الغرب بطريقة لعبة الدومينو المتراصة أى توضع قطع الدومينو بجوار بعضها فإذا وقعت إحداها استمر تسلسل الوقوع حتى آخر قطعة دومينو وهذا ماحدث بالفعل فى دول أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتى السابق حيث وقعت كل الدول بطريقة الدومينو وكأن هناك فاعلا خفيا يقف وراء ذلك ويساند تلك الحركة مثلما يحدث الآن فى الدول العربية حسب بعض التفسيرات على صحتها أو خطئها لعدم معرفة الفاعل هل هو التاريخ أم التدخلات الخارجية.

أما الثورة الهامة فهى الثورة الرومانية عام ١٩٨٩ م والثورة البرتقالية فى أوكرنيا عام ٢٠٠٤ م واللتان تشبهان إلى حد كبير الثورات العربية

الحديثة كما فى مصر وتونس عام ٢٠١١ م ولكنهما للآسف انتهتا بنهايات مأساوية مثلما حدث لمصر فى ثورة عام ١٩١٩ م حيث لم يجن الشعب الرومانى أو الأوكرانى إلا القليل من الحرية والكثير من التخلف عن ركب أوروبا السريع وسنعرض لتلكما الثورتين اللتين اتخذناهما كمثال للثورات الغير مؤثرة.

أ- الثورة الرومانية عام ١٩٨٩ م:

"نيقولاى شاوسيسكو" الزعيم الرومانى الذى ولد فى السنة التى ولد فيها العظماء من أمثال جمال عبد الناصر وأنور السادات عام ١٩١٨م والذى تدرج فى مناصب الحزب الشيوعى الرومانى حتى أصبح السكرتير العام فى سنة ١٩٦٥ م ثم استحق بالفعل لقب الطاغية الرومانى مع نهاية عام ١٩٨٩ م حيث أنه منذ توليه الرئاسة عام ١٩٧٤م وهو يمسك بقبضة من حديد على مقاليد الحكم فى رومانيا تلك الدولة الاشتراكية الشيوعية شرق أوربا ، فقد أغلق كل أبواب الحرية أمام الشعب الرومانى حتى القنوات التليفزيونية حولها لقناة واحدة لا تعرف إلا أخباره وأخبار زوجته إيلينا وبلغت فى عهده شطحات البذخ لتصل إلى حد إقامة الفيلات والقصور والمنتجعات الرئاسية فى كل مكان حتى أن أحد القصور الرئاسية وصل عدد غرفاته إلى ألف غرفة بنيت من دماء ورفاهية الشعب الرومانى ، بل وأصبح يقارن نفسه بيوليوس قيصر كما كانت تدعى وسائل إعلامه التى جعلته رب العائلة الرومانية والقائد والمفكر والرئيس والزعيم ، كعادة وسائل الإعلام فى الدول الاستبدادية خاصة قبل قيام الثورات .

وكعادة كل الطغاة استعان شاوسيسكو لتدعيم حكمه بالشرطة السرية أو " السيكيوريتات" التى تكمم كل الأبواق كما استعان بالجيش فى دحر كل القلاقل ووصل الأمر إلى أن كل رومانى سافر الخارج لأى سبب حتى ولو للألعاب الأوليمبية كما حدث عام ١٩٨٤ م أخذ يفكر فى حق اللجوء السياسى للدول الغربية بالخارج حتى لا يعود للقهر فى رومانيا التى سيطرت عليها حاشية شاوسيسكو وزوجته .

ومع نهاية عام ١٩٨٩ م وصل الأمر لذروته حين احتجت مدينة تيميشوارا شمال غربي العاصمة بوخارست ضد ترحيل قس من أصل مجرى يوم ١٥ ديسمبر من نفس العام وقيام قوات الجيش والشرطة بالتدخل لمدة خمسة أيام ضد سكان المدينة وقتلهم أكثر من مائة قتيل وبعدها انتقلت شرارة الثورة يوم ٢٠ ديسمبر إلى للطلبة والشباب فى العاصمة بوخارست فواجهتهم قوات الأمن بكل عنف فقامت الثورة بالفعل وحاول الرئيس شاوسيسكو إلقاء خطاب " الان فهمتكم " - كما فعل بن على فى تونس – ولكنه كان فى الهواء الطلق أمام قصره الرئاسى فدوت صيحات الإعتراض ثم ما لبثت أن قويت وتعملقت فانسحب الرئيس وحاول الهروب من القصر من أحد الخنادق السرية وهنا بدأت كل جماهير رومانيا فى الثورة ضد الظلم فى كل المدن وحاولت الجماهير مقاومة الجيش والشرطة واستمالة أفراده وبالفعل مال بعض أفراد الجيش للشعب حتى اعتقلت قوات الجيش الرئيس قبل هروبه هو وزوجته . وبعد اعتقال شاوسيسكو تكونت محكمة عسكرية للرئيس وزوجته بسرعة وتم الحكم عليه بالإعدام هو زوجته ونفذ فيه الحكم فى ٢٥ ديسمبر عام ١٩٨٩ م ، وعندئذ تعالت أصوات الشعب فى كل مكان من رومانيا التى دخلت عهدا جديدا بلا حكم شيوعى وفتحت الباب لكل الدول الشيوعية لكى تنهض ضد حكامها الطغاة فقامت بولندا عام ١٩٩٠ م بتكوين أول حكومة غير شيوعية وحتى الإتحاد السوفيتى نفسه تفكك إلى دويلاته الأساسية عام ١٩٩١ م .
ولكن الثورة لم تصل إلى أدنى تصور لطموح الشعب الرومانى فيما بعد وخلال السنوات القليلة التالية ، حيث هناك من يعتبر أن الثورة قد سقطت أو على الأقل لم تؤت ثمارها المرجوة منها ، فقد نشرت وكالة رويتر للأنباء فى ديسمبر عام ٢٠٠٩ م تقريرا عن الثورة الرومانية بعد مرور عشرين عاما على قيامها وكيف أنها لم تحقق للشعب الرومانى إلا القليل من التطور الذى جاء معظمه من الانضمام للاتحاد الأوربى عام ٢٠٠٧ م وذكرت قولا لأحد الرجال الذين اشتركوا فى الثورة حيث قال : بعد قيام الثورة كنا نحلم بأن تكون رومانيا مثل

الولايات المتحدة أو ألمانيا فلم يحدث ذلك فأخذنا نحلم بعد فترة بأننا يمكن أن نكون مثل النمسا ولم يحدث ذلك أيضا فأصبحنا الآن ننافس المجر على ذيل الدول الأوربية وأصبحنا نشك كثيرا فى ثمن التضحيات التى قدمناها لتقوم الثورة .

ب- الثورة البرتقالية فى أوكرانيا ٢٠٠٤-٢٠٠٥ م:

حين بدأت الإنتخابية الرئاسية الحاسمة فى أوكرانيا الدولة الهامة التابعة لأول اتحاد سوفيتى – سابقا - نهاية نوفمبر ٢٠٠٤م بين المرشحين يوشينكو و يانوكوفيتش تم التلاعب فى النتيجة لصالح يانوكوفيتش الموالى للحكام الروس فقامت الدنيا ولم تقعد فى أوكرانيا بطريقة سلمية ترفع شعارات ذات لون برتقالى كان يرفعها يوشينكو أثناء الانتخابات واستمرت الاحتجاجات والاعتصمات فى كييف العاصمة وامتدت إلى كل المدن ضد الفساد والتزوير والبطالة والفقر حتى يناير من عام ٢٠٠٥ م حيث أعيدت الانتخابات ونجح فيها يوشينكو وتولى الرئاسة واحتفل الشعب الأوكرانى بانتصاره .

والعقبة ليست فى تلك الثورة ولكن فيما أتى بعد الثورة ، حيث فشلت الثورة فشلا ذريعا فى القضاء على الفساد أو حتى الحد منه ولم يلبث أن سقط الرئيس الذى قام بالثورة وعاد الرئيس القديم من خلال الانتخابات التى لعبت فيها سطوة المال والنفوذ مرة أخرى بعد أربع سنوات وبالتالى فشلت تلك الثورة فى الحصول على أية مكاسب مهمة للشعب الأوكرانى على مدار أربع سنوات لذلك تعتبر مثلا سيئا للثورات الفاشلة بعد قيامها وظهور بوادر نجاحها.

رابعا : الثورات الشرق أوسطية الحديثة:

إذا استثنينا الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ م فقد يعتبر الباحث فى تاريخ الثورات أن ثورات منطقة الشرق الأوسط مثل معظم ثورات العالم الحديثة ذات طابع تحررى من الاستعمار حتى بداية عام ٢٠١١ م ، فلم تظهر بتلك المنطقة ثورات بالمعنى المفهوم بما فيها من إراقة دماء إلا فى مصر والجزائر ، فقد كانت ثورة ١٩١٩ م وثورة عام ١٩٥٢م فى مصر وثورة الجزائر عام ١٩٥٤ م هم أكبر ثورات شعبية فى

تاريخ المنطقة الحديث بالرغم من قيام ثورات تحررية تم وأدها مبكرا فى معظم البلاد من سوريا إلى ليبيا إلى العراق ولكنهم بما فيهم الثورة المصرية عام ١٩٥٢ م والجزائرية عام ١٩٥٤ م لم يقدموا لشعوب منطقتهم نموذجا يمكن الإقتداء به حيث نجحت ثورتا الجزائر ومصر فى محيط مجتمع ضيق لا يتعدى حدود الشعب الذى قامت فيه الثورة أو بعض الشعوب المجاورة فبرغم تعاطف كل العالم مع ثورة الجزائر ومصر إلا أنهما لم يصلا إلى مرحلة الاستنساخ إلى دول أخرى، لذلك تعتبر الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م هى الثورة الشعبية الأولى القابلة للاستنساخ فى المنطقة حيث كان لها تأثير كبير على نفوس وأحاسيس شعوب المنطقة وحتى الخوف من تكرارها فى مناطق أخرى جعل الغرب يستمر إلى الآن فى محاربتها مما جعلنا نفرد لها فصلا منفصلا هو الفصل التالى .

وبداية نشير إلى أن تأثير الثورة الفرنسية امتد إلى منطقة الشرق الأوسط منذ غزو نابليون للشرق عام ١٧٩٨ م حيث تنبه الأوربيين وخاصة انجلترا إلى أهمية منطقة الشرق الأوسط التجارية فبدأت بوادر تقسيم المنطقة إلى مناطق نفوذ فرنسية مثل الشام والمغرب العربى ومناطق نفوذ إنجليزية تشمل باقى مناطق الشرق الأوسط وأدى الأمر إلى احتلال معظم البلاد العربية من هاتين الدولتين مع احتفاظ إيطاليا بالامتداد التاريخي لها فى ليبيا وبقيت كل من تركيا وإيران على أطراف الدول العربية وتم شغل كل منهما واستنفاذ قدراته بالحرب مع روسيا القيصرية .

ومع الاحتلال للدول العربية قامت عدة انتفاضات وثورات فى مصر أتت بمحمد على واليا على مصر وفى الجزائر تم سحق الثورات بالقوة الغاشمة من قبل فرنسا وكذلك الثورة العربية فى العراق والأردن والثورة الليبية بقيادة عمر المختار وثورات وانتفاضات تالية شملت كل البلاد العربية تم إنهاءها جميعا من قبل المحتل الأوربي فى كل البلاد العربية منذ الحملة الفرنسية على مصر.

ومن أهم الثورات ذات التأثير الإقليمى فى المنطقة العربية ثورة مصر عام ١٩١٩م وثورة عام ١٩٥٢م وثورة الجزائر عام ١٩٥٤م وثورة ليبيا عام ١٩٦٩ م وسنتحدث عن كل منهم بنوع من التفصيل لنتبين حكم التاريخ على كل منهم .

الثورة المصرية عام ١٩١٩ م :

" نحن الموقعين على هذا قد أنبنا عنا حضرات : سعد زغلول (ورفاقه) في أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعي سبيلاً في استقلال مصر تطبيقاً لمبادئ الحرية والعدل التي تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى " . انتشرت تلك العبارة على أوراق يتم التوقيع عليها من كل المصريين من الإسكندرية إلى أسوان ومن الشرق إلى الغرب وقد وقع عليها المتعلمون وبصم عليها غير المتعلمين عام ١٩١٨ م .

ولكن عام ١٩١٨ م كان هو العام الأسوأ فى تاريخ مصر الحديث، فمصر مثل باقى دول العالم اكتوت بنار الحرب العالمية الأولى وأخذ رجالها إلى الخطوط الخلفية للحرب فى عدة دول وصودرت المزروعات والماشية من فلاحيها لصالح الحرب خلال الفترة من عام ١٩١٤ م إلى عام ١٩١٧ م مما جعل الفلاحين والأجراء يهربون إلى المدن ويشكلون جيشا من الجياع لا يجد قوت يومه حتى من الخبز، فحدثت أزمة خبز فى هذا العام وأحس المصريون بأن بلدهم تنهب من الاحتلال الانجليزى فأقدم بلد مصدر للقمح فى العالم لا يجد أهله رغيف الخبز، فأحس السلطان فؤاد الأول – قبل أن يصبح ملكا – بأن بوادر الثورة قادمة فحاول توزيع الخبز على الفقراء ونقل الفلاحين إلى قراهم مرة أخرى ولكنه لم يفلح فى قتل الاحتجاجات التى طالت كل مكان فى مصر وكل نقابة وكل مدرسة خلال الفترة من أواخر عام ١٩١٨ م إلى بدايات عام ١٩١٩ م ، وهنا ظهر دور النخبة السياسية المتمثلة فى سعد زغلول باشا ورفاقه الذى شكلوا وفدا ليحضر مؤتمر باريس المنادى بالاستقلال عن الاحتلال البريطانى فقامت قوات الاحتلال بالقبض على سعد زغلول وبعض رفاقه وتم نفيهم إلى جزيرة

مالطة أمام تونس فكانت تلك الشرارة التى أشعلت الثورة فى كل ربوع مصر منذ اليوم التالى لنفى سعد زغلول بدءاً من ٨ مارس ولمدة تصل إلى شهر ونصف حاول فيها المصريون استلهام الدور الروسى للثورة التى حدثت قبلهم بعام ونصف فقامت احتجاجات العمال وقطعت خطوط السكك الحديدية التى تنقل المؤن والأغذية للجيش البريطانى وردت قوات الاحتلال بعنف لم يسبق له مثيل فى مصر وساعدتها فى ذلك قوات الشرطة – حيث لم يكن هناك جيش قوى فى مصر – فقامت بالتعذيب والقتل والنهب فى كل قرى مصر المجاورة للسكك الحديدية ولكن المصريين لم يستجيبوا ، فاضطرت بريطانيا العظمى إلى الاستجابة لطلب الشعب وعاد سعد زغلول ورفاقه فى ٧ ابريل ليحضروا مؤتمر الصلح فى باريس الذى لم ينصف مصر ولم يجز لها الاستقلال عن بريطانيا فعاد الوفد خالى الوفاض فاشتعلت الثورة مرة أخرى وأعيد نفى سعد زغلول مرة أخرى ولكن إلى جزيرة سيشيل جنوب شرق أفريقيا ولكنه عاد مرة أخرى لمصر ورضخت بريطانيا وأصدرت تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ م والذى اعتبر مصر دولة مستقلة ذات سيادة يحكمها النظام الملكى وتقلص دور بريطانيا إلى دور الحماية لقناة السويس والمناطق الهامة .

وقد أخذت ثورة ١٩١٩ م حقها من الدراسة التاريخية فهى تعتبر أول ثورة للمصريين فى العصر الحديث ونتج عنها وضع أول دستور مصرى عام ١٩٢٣ م الذى اعتبر مصر دولة ملكية مستقلة، وشكلت أول حكومة منتخبة ديموقراطيا عام ١٩٢٤ م بقيادة سعد زغلول مما أدى إلى قيام نهضة مصرية شاملة فى العديد من المجالات الثقافية والعلمية والاقتصادية وحتى الفنية وبالتالى حصل المصريون على قدر أكبر من الحرية والمساواة جعلت مصر قائدة العالم العربى خلال تلك الفترة ، وهو ما جعل المؤرخون يؤكدون نجاح الثورة كأول ثورة مصرية شعبية حديثة .

ولكن خلاصة القول أن الثورة نجحت فى تحقيق الحرية والمساواة وفشلت فى تحقيق العدل والعدالة الاجتماعية بالرغم من أن سعد

زغلول نفسه كان وزيرا للعدل أو الحقانية أوائل القرن العشرين حيث ظلت الثروة فى يد قلة من الإقطاعيين والباشاوات.
أما ما لم بجعل الثورة توضع فى مجال الثورات العظام فى تاريخ المنطقة العربية والشرق أوسطية فهو إخفاقها فى تغيير النظام الموجود بالكامل ، فالثورة الروسية قبلها بعام ونصف أسقطت القيصر ونظامه كاملا ولكن الثورة المصرية كان لنخبتها طلب واحد وهو الاستقلال، حتى أن بعض رفاق سعد زغلول الذين لم ينفوا معه كانوا هم من طلبوا من الشعب عدم القيام بالثورة والتوقف عنها بل طلبوا مساندة الملك والباشاوات ، ومن هنا يمكن اعتبار أن نخبة الثورة هى التى لم تحقق حلم الثورة برغم نجاح الشعب فى ثورته - كما نجح الشعب من قبل فى روسيا نهاية عام ١٩١٧م – أى أن نخبة ثورة مصر عام ١٩١٩ م وهم سعد زغلول ورفاقه قد سكنوا إلى أقل طموحات ممكنة تتضمن استقلالا زائفا وحكومة منتخبة استمرت لأعوام قليلة ثم عادت كل الأمور إلى طبيعتها مع القليل من التغيير بعد وفاة سعد زغلول عام ١٩٢٧ م ، وإن اعتبر المصريون تلك الثورة تمهيدا لثورة ٢٣ يوليو التى حققت الكثير للشعب المصرى بنقلة نوعية واضحة لطريقة حياة المصريين .

ثورة مصر فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ م :

" بنى وطنى ... " تلك الكلمة التى كان الرئيس السادات يرددها دائما على أنها أول كلمات الثورة صبيحة يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م بعد استيلاء الجيش على مقاليد الأمور فى مصر وعزل الملك وتنحيته ثم خروجه يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢م من الاسكندرية فتحولت ثورة ٢٣ يوليو من انقلاب عسكرى إلى ثورة بعد مساندة الشعب لها .
لقد عرف كل المصريين وكل العرب تطورات ثورة ٢٣ يوليو وحفظوها عن ظهر قلب لمدة تصل إلى خمسين عاما ولم تترك تلك الثورة كتاب تاريخ فى أى دولة عربية إلا وذكرت فيه وذكر قائدها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كأول حاكم مصرى حقيقى

لجمهورية مصر عام ١٩٥٤ م بعد أكثر من ألفى عام من حكم غير المصريين لمصر عبر مراحل التاريخ المختلفة .
وقد قامت ثورة ٢٣ على ستة مبادئ كان الغرض منها نقل الشعب المصرى إلى طريق الحداثة والتطور وهى :
القضاء على الاستعمار وأعوانه .
القضاء على الاقطاع .
القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم.
إقامة حياة ديمقراطية سليمة.
إقامة جيش وطني قوي.
إقامة عدالة اجتماعية.
ولا نريد أن نحشو هذا الكتاب بما يحفظه المصريون عن تاريخ حكم مصر قبل قيام الثورة من فساد الملك فاروق وحاشيتة الذى لا يمكن لأحد أن ينكره فالملك له من العيوب ما فاق حسناته وله من الحسنات ما يجعله أفضل من رؤساء عرب ومصريين نهبوا شعوبهم وثرواتها ولكنه آثر السلامة ورحل فى لين ورفق تاركاً للشعب حرية اختيار مصيره وهو ما يعكس عظمة هذا الشعب وتاريخه العريق وأدى إلى نجاح ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م .
وقد قامت الثورة على ما فشلت فيه ثورة ١٩١٩ م وهو تحقيق العدالة الاجتماعية فشرعت الثورة بالفعل فى تحقيق تلك العدالة واستجاب لها الشعب المصرى بالكامل فتحول الفلاحون الأجراء إلى مالكين للأرض ودخل أبناؤهم المدارس وتعلموا وحصلوا على أفضل الشهادات وتم إنشاء العديد من الصناعات وتأميم الجزء الآخر واستوعبت المصانع والمزارع العمالة المصرية كما وضعت أول خطة خمسية فى تاريخ مصر عام ١٩٥٧ م نتج عنها دولة مصر الجديدة الحديثة ، والأهم من ذلك هو قيام جيش مصرى جديد عماده الشعب والمجندين وتم تحديثه بأحدث المعدات الموجودة فى ذلك الوقت ، أى يمكن القول أنه خلال تسع سنوات من قيام الثورة وحتى عام ١٩٦٢ م استوعبت مصر كل

المصريين وطورت حياتهم للأفضل مما أعطى أهمية كبرى لثورة ٢٣ يوليو فى المنطقة .

وقد حاولت ثورة ٢٣ يوليو استنساخ نفسها فى كل المنطقة سواءً فى سوريا أو العراق أو السودان أو اليمن أو الجزائر أو حتى ليبيا ولكنها لم تنجح لوقوف الدول الغربية ضدها بل ومساندة إسرائيل ودعمها وتقويتها لكى توقف الزحف المصرى على الدول العربية وبالفعل نجحت إسرائيل فى ذلك وتم إبطاء عجلة الثورة المصرية بدءا من حرب اليمن عام ١٩٦٢ م ومن ثم وقف تلك العجلة نهائيا على يد إسرائيل عام ١٩٦٧ م الذى يعتبر عام نهاية ثورة ١٩٥٢ م ونهاية عصر مصر القوية وبداية عصر مصر كدولة من دول العالم الثالث العادية ذات التأثير المحدود .

ولن نكثر من الخوض فى نتائج الثورة لأن كل المصريين يدركون فضل تلك الثورة عليهم وعلى تطورهم الاقتصادى والثقافى والتعليمى وعدالتهم الاجتماعية بالرغم من غياب الديموقراطية فيها حيث أصبح المصريون متساوين فى الحقوق والواجبات وفى حق التعليم والعلاج ولم يعد هناك سلطة لملك أو باشا كما لم يعد هناك احتكار للثروة خلال فترة تصل إلى ثلاثين عاما بعد قيام الثورة ، وعلى النقيض أيضا لم تكن هناك ديموقراطية حقيقية عرفها المصريون.

الثورة الجزائرية ١٩٥٤ ـ ١٩٦٢ م :

لم يعرف تاريخ المنطقة العربية ثورة قدم شعبها عددا من الشهداء مثلما قدمت الثورة الجزائرية التى وصل عدد ما قدمته من شهداء إلى مليون شهيد أو أكثر خلال سبعة أعوام ونصف ـ من عام ١٩٥٤ م إلى عام ١٩٦٢ م ـ من الكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسى الذى كان ينادى منذ مائتى عام بالحرية ولكنه قام بقتلها فى الجزائر حيث كانت فرنسا تعتبر الجزائر أرضا فرنسية منذ عام ١٨٤٨ م أى بعد ستة عشر عاما من احتلالها بعدد يصل إلى ١٢٠ ألف جندى وهو رقم كبير فى ذلك الوقت جعل من الجزائر بالفعل أرضا فرنسية وقتلت فيها كل مقاومة بكل عنف ووحشية، وبذلك اعتبرت الجزائر هى الامتداد

الطبيعى والتاريخى لفرنسا التى جعلت اللغة الفرنسية هى اللغة الأولى فيها واللغة العربية ولهجاتها لغات أجنبية ثانية واعتبرت فرنسا أن شعب الجزائر وأصله من البربر هو من الشعوب الأوربية وليس من الشعوب العربية ولكن فرنسا لم تنجح فى القضاء على الإسلام وبالتالى لم تنجح فى القضاء على اللغة العربية ولا على عروبة الجزائر وشعبها .

وبعد هزيمة فرنسا فى بلدها الأصلية – فرنسا – واحتلالها بواسطة هتلر أوائل الحرب العالمية الثانية لم تنهزم فى الجزائر لذلك كانت الحامية الفرنسية بالجزائر ثابتة وهو ما أدى إلى طمع الجزائريين فى نيل الاستقلال منذ عام ١٩٤٤ م على يد فرحات عباس ولكن فرنسا أغلقت الباب بشدة عام ١٩٤٥ م بعد النصر فى الحرب ، فقتلت من الجزائريين عشرات الألوف مما جعل الجزائريون يجنحون إلى الكفاح المسلح الذى انطلقت شرارته الأولى من القاهرة عام ١٩٥٤م، وكان من نتائج هذا العمل المسلح الذى قامت مصر بدعمه أن حدث العدوان الثلاثى على مصر واشتركت فيه فرنسا للانتقام من عبد الناصر ودعمه للثورة الجزائرية وردت مصر بعد فشل العدوان الثلاثى بمساندة أكبر للثورة بدءاً من تهريب المال والسلاح عبر ليبيا إلى المجاهدين ثم تطورت المساندة إلى نوع آخر فلجأت إلى الفن ووسائل الإعلام وشرعت فى تعبئة الجو العربى بأغانى المطربين العرب الوطنية بل وإنتاج فيلم عن المناضلة جميلة بوحريد ، فعرف العالم العربى ثورة الجزائر ، وزاد المصريون دعمهم بالموافقة على تأسيس أول حكومة جزائرية فى المنفى عام ١٩٥٨م ، واستمر الكفاح المسلح والانتهاك الفرنسى لكل الأعراف الدولية بحجة أن الجزائر هى مقاطعة فرنسية إلى أن وافقت على الاستقلال من خلال إجراء استفتاء عام ١٩٦٢ م أجاب فيه كل الشعب الجزائرى بنعم للاستقلال واعترفت فرنسا باستقلال الجزائر فى ٥ يوليو عام ١٩٦٢ م بعد أن قدمت الجزائر لفرنسا ما يزيد على مليون قتيل وجريح لتوافق على هذا الاستقلال .

ولكن الجزائر بعد الثورة عانت مما عانت منه مصر من التفاف الجيش على الثورة وميوله إلى تحقيق العدالة الاجتماعية على حساب الديموقراطية ولكن الشعب الجزائرى اكتسب ثقته فى نفسه بعد ١٣٠ عاما من الاحتلال وسار على طريق شبه ديموقراطى مسلح .
وبالرغم من أهمية الثورة الجزائرية إلا أنها كما أشرنا من قبل لم تكن أبدا قابلة للاستنساخ فى مناطق أخرى من العالم العربى لكونها ثورة تحريرية لا تبتغى إلا الاستقلال كما فعلت من قبل ثورة ١٩١٩م المصرية إلا أنها قدمت عددا كبيرا من الشهداء والجرحى يفوق ما قدمه وسيقدمه العرب جميعا على مدى ثوراتهم التى حدثت والتى سوف تحدث خلال المائة عام القادمة .

ثورة الفاتح من سبتمبر الليبية ١٩٦٩ م :

" أتركك وانا أقول إن معمر هو الأمين على الأمة العربية " جملة قالها الزعيم جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠ م عندما زار ليبيا بعد الثورة – أو الانقلاب - لتهنئتها على أنها أول مستنسخ حقيقى من الثورة المصرية بعد مرور ١٨ عاما على قيام الثورة المصرية .
فليبيا من أصغر البلدان من حيث عدد السكان فى شمال أفريقيا على كبر مساحتها ولم يتعد عدد سكانها حتى وقت قريب نطاق الخمس ملايين نسمة ولكن ما حدث بها فى أول سبتمبر عام ١٩٦٩ م كان غريبا على الأمة العربية ، فهناك عدد من الضباط الشباب لا يزيد عمر قائدهم عن سبعة وعشرين عاما يقومون بثورة تسيطر على بلد مساحتها تفوق مساحة مصر وبها من البترول ومصادر الطاقة بل ومصادر طبيعية من حديد وأسمنت ومعادن ما يكفى المنطقة لعدة عقود ، هؤلاء الشباب يقيمون أول جمهورية شعبية تخرج الشعب الليبى ذا الطبيعة البدوية القبائلية إلى مصاف الدول ذات التأثير العميق فى المنطقة العربية وفى شمال أفريقيا بطرق غير معهودة فى تاريخ الثورات فقد استغلت تلك الثورة أوراق العمالة الموجودة لديها والبترول والمال للضغط على الحكومات الأخرى المجاورة وتنفيذ مآربها ، وكأنك ترى قطا يحاول أن يقود أسود المنطقة وبالفعل نجح

القط فى ذلك إلى حد بعيد ولكنه فى غمرة النجاح نسى شعبه وتحولت ليبيا كلها إلى رجل واحد ، فهذا القط هو العقيد معمر القذافى قائد الثورة الليبية الذى أخرج الإيطاليين والانجليز والأمريكيين من ليبيا- فقد كان للدول الثلاث قواعد عسكرية هامة فى ليبيا قبل قيام الثورة عام ١٩٦٩ م - ثم حاول بعد ذلك بعشر سنوات إخراج الليبيين أنفسهم من ليبيا لعدم اقتناعه بإمكانية تطويرهم ، بل وحاول شراء المرتزقة من البلاد الإفريقية المجاورة ومنحهم الجنسية الليبية.
أما أهمية تلك الثورة الليبية التى قام بها العقيد القذافى عام ١٩٦٩ م فهى كونها وريثة "مصر جمال عبد الناصر" فى توحيد أفريقيا الجديدة فقد حاولت تلك الثورة أن توحد الجهود الأفريقية وتجعل أفريقيا تنهض من عثرتها بل وتؤثر على حكومات العديد من الدول الأفريقية سواءً بالدعم المالى أو المعنوى مما جعل ليبيا هى الدولة الأشهر فى أفريقيا خلال العقد الأول من القرن الحادى والعشرين، وقد حاول العقيد القذافى إقامة حكم شعبى فى ليبيا ونجح إلى حد كبير فى وضع نظام جديد يمكن من خلاله حكم الشعوب ذات الطبيعة القبلية البدوية وسمى نظامه " الجماهيرية " أى حكم الجماهير. وقد حاولت الثورة الليبية خلال العشر سنوات الأولى لقيامها تطوير البنية التحتية للدولة الليبية فأقامت المدن الجديدة بدلا من الخيام والمبانى البسيطة ونشرت النهضة التعليمية فى كل ربوع ليبيا وتوسعت فى التعليم العام والجامعى وفى الصحة وحتى فى الصحافة والإعلام ، وكذلك أنشات المصانع والشركات التى يديرها الشعب بطريقة لم يعتد عليها العرب من قبل ، حيث يقوم العاملون بالمصنع أو الشركة باختيار لجنة شعبية منهم هى التى تدير المصنع أو الشركة أو حتى المدرسة أو المستشفى ثم تتكاتف تلك اللجان الشعبية لتنتخب إدارة المحافظة وإدارة التربية والتعليم والصحة وغيرها بتلك المحافظة ، ثم تتصاعد لتنتخب المحافظين والوزراء ورئيس الوزراء . وبالطبع لن يقترب أحد من العقيد القذافى وعائلته لأنه قائد الثورة ولا يوجد منصب رسمى له فى الدولة ، ولكن فى الواقع فإن كل مقدرات الشعب الليبى فى يده ، بل

وامتدت تلك المقدرات إلى أيدى أولاده بصورة غير رسمية وغير معلنة ، ومن هنا بدأت مرحلة الفساد التى لن يستطيع أن يدرك حجمها إلا الليبيين أو من عاش فى ليبيا لفترة من الزمن، فقد وصل هذا الفساد إلى ذروته فى الأعوام الأخيرة حين ضحت ليبيا بعدة مليارات من الدولارات لإنقاذ المتهم عبد الباسط المقرحى الذى تم حبسه فى بريطانيا لضلوعه فى تفجير طائرة لوكربى ، ووصل هذا الفساد إلى مقاطعة سويسرا لأنها لم تحترم ابن القذافى عندما تم حجزه لعدة ساعات لقيامه بالتعدى وتجاوز سلطاته، فخسرت ليبيا الكثير والكثير من ثرواتها التى تبرع بها كل أفراد عائلة القذافى لهيئات وجامعات وأفراد فى فرنسا وانجلترا وإيطاليا فى صورة منح وتبرعات عينية ، وهناك من يحكى – بدون شواهد - على تعاظم الثروات الشخصية لكل عائلة القذافى فى بلدان أوربية وعربية متعددة . وقد ساعد ذلك الفساد الطاغى على قيام الثورة الليبية الحديثة عام ٢٠١١ م فى المنطقة الشرقية الليبية التى تمتد من حدود مصر إلى ما بعد مدينة بنغازى حيث كان أهلها أقل حظا من نيل ثروات ليبيا التى طالتها عائلة وقبيلة القذافى والقبائل الموالية له فى المناطق الغربية والجنوبية من ليبيا.

لذلك يمكن القول أن الثورة الليبية عام ١٩٦٩ م كانت قابلة للاستنساخ فى أفريقيا ولكن نظرا لقيام ثورة ١٧ فبراير ٢٠١١ م والدعم الغربى المقدم لها للقضاء على قوات القذافى الضخمة فقد توقفت ثورة ١٩٦٩م الليبية لأنها فقدت الدعم الشعبى مثلما فعلت ثورة ٢٣ يوليو المصرية بعد نكسة عام ١٩٦٧ م . لقد تذكر العقيد القذافى كل شئ عن الثورات العالمية ونسى الشعب الليبى الذى أصبح فقيراً وعاطلاً ينظر بأسى إلى دول الخليج العربى التى تشبهه ولكنها أكثر ثراءً وغنى ، فحاول الشعب القيام بالثورة ولكنه لم ينجح بمفرده حيث احتاج إلى التدخل الغربى الذى يظن الكثير من المحللين الغربيين أنه ليس حبا فى البترول ولكن كرها للعقيد القذافى الذى كان لفترة طويلة هو العامل المساعد فى كل القلاقل الأوربية بدءا من مساندة الجيش الأيرلندى إلى

تفجيرات ألمانيا وانجلترا وانتهى الأمر بمقتل القذافى شر قتلة يمكن أن يقابلها رئيس دولة فى ٢٠ اكتوبر عام ٢٠١١م.

ولعلك تلاحظ عزيزى القارئ أن الثورات العربية التى قامت خلال القرن العشرين لم تقدم لشعوبها ما يجعلهم يرتقون إلى مصاف الدول الأكثر تقدما فكلها قدمت حكاما ديكتاتوريين أو أشبه بهم اختلفوا فيما بينهم فى درجة الديكتاتورية والتسلط فقط .
أما الثورة الوحيدة التى قدمت فكرا جديدا للمنطقة بالرغم من كونه فكرا إسلاميا شيعيا فهى الثورة الإيرانية القابلة للاستنساخ فى كل المنطقة العربية والشرق الأوسط وحاربها ويحاربها الغرب إلى الآن والتى أفردنا لها فصلا كاملا لأهميتها برغم خلاف العرب والغرب معها وعليها ولكن للتاريخ حكم آخر حيث حكم عليها بالاستمرار لمدة تزيد عن ثلاثين عاما وبنفس الوهج والاشتعال .

الفصل الثانى
الثورة الإيرانية
عام ١٩٧٩ م

مقدمة تاريخية :

حـين تقـرأ عـن تـاريخ إيـران أو قـل بـالأحرى تـاريخ الإمبراطوريـة الفارسية ستجد الأعاجيب التـى تجعلـك لا تملـك إلا احترام تلـك الأمـة العظيمة التاريخ الضارب إلى أعماق تزيد عن سبعة آلاف عام، وكـان لها عصور ذهبية احتلت فيها معظم منطقة الشرق الأوسط خلال الفترة من القرن السابع قبل الميلاد إلى القرن السـادس الميلادى ولـم ينازعهـا فى زعامة المنطقة سوى اليونـانيين ثم الرومـان مما يجعلنـا نقول بـأن تلـك الأمـة كانـت هـى المـؤثر الخفـى كثيـراً والأوضـح أحيانـا قليلـة فـى تاريخ منطقـة الشـرق الأوسط خـلال الألفـى عـام الأخيـرة ، وقـد تـدهش عزيــزى القـــارئ مـــن بعـــض الحقـــائق التاريخيـــة التـــى تجعـــل مـــن الإمبراطورية الفارسية هى صـاحبة الفضـل الحضـاري والثقـافي الأول على تقدم الأمة الإسلامية لأن العرب حين قاموا بنشـر الـدين الإسـلامي لـم يكـن معهـم مـن أدوات صـنع التـاريخ بعـد اللغـة إلا أنفسـهم والإيمـان بالدين الجديد ولم يواجهوا فى حروبهم الأولـى أممـا قويـة إلا الفـرس فهـم حين حاربوا الروم حاربوهم فـى أراض محتلـة مـن الرومـان كمـا حـدث فى الشام ومصر وبالتالى لم يجدوا عنـاءً شـديداً فـى تلـك الـدول بـل ولـم يتأثر الدين الجديد واللغة العربية الوافدة بثقافة تلك الـدول تـأثراً كبيـراً ، وعلى العكس من ذلك نقلت الثقافة العربية المحدودة إلى تلك الـدول فـى شـمال غـرب الجزيـرة العربيـة، أمـا فـى شـمال شـرق الجزيـرة التـى تحكمهـا الإمبراطوريـة الفارسـية فكـان الوضـع مختلفـا فـالحرب مـع الفرس حربـا حقيقيـة بهـا كـر وفـر ، بهـا تقـدم وردة ، بهـا دمـاء مسـالة للحكام والمحكومين من العـرب ومـن الفـرس قتـل خلالهـا أكـابر الفـرس واغتيل خلالها الخلفاء المسلمون الكبار أمثال عمر بن الخطاب على يد أبـى لؤلـؤة الفارسـى المجوسـى، ولكـن النهايـة كانـت للفـتح الإسـلامي العربي الذى لا يحمل معه سوى القرآن والإيمان بالدين الجديد ولم يكـن مـن المشـهورين مـن ذوى الأصـول الفارسـية مـن الصـحابة آنـذاك غيـر سلمان الفارسـى وبالتـالى فتحـت بـلاد الفـرس وقتـل كسـرى حسـب آراء

كبار عصر عمر بن الخطاب آنذاك الذين اعتبروا العالم رأسه كسرى هرمز وجناحيه الفرس والروم [٦] ، فمن الواضح أن العرب اعتبروا كسرى هو رأس العالم الذى يجب قطعه ليحكموا كل الشرق .
ولكن ما حدث بعد ذلك كان الأهم، فبعد فتح بلاد فارس وما حولها تأثر الإسلام الأول تأثرا كبيرا بالتراث الفارسى والطريقة الفارسية فى التفكير أكثر من أى حضارة أخرى حيث اعتبروا كما اعتبر عمر بن الخطاب أن لدى الفرس فضل عقل تفوقوا به على العالم آنذاك، ولعلك تدرك هذا من خلال العلماء والمفكرين من بلاد فارس وما حولها أو ممن لهم أصول فارسية خلال القرون الثلاثة الأولى للإسلام والذين كانوا الأكثر عددا بعد العلماء والمفكرين من أصول عربية ولكنهم اصطبغوا بصبغة إسلامية وانتشر أولئك العلماء والمفكرون ليتطرقوا حتى إلى قواعد اللغة العربية التى ليست لغتهم الأصلية فأبو النحو هو سيبويه الشيرازى الغير عربى ، بل والأعظم من ذلك أن حامل لواء السنة الإسلامية لألف ومائتى سنة صاحب الصحيح الإمام البخارى من أطراف بلاد تلك الإمبراطورية – من أوزباكستان - بل وحتى أقطاب الإسلام الشيعى هم من تلك الأمة ، وإذا أردت أن تعدد المفكرين والعلماء الأوائل فى شتى المجالات فسوف لا تستطيع الحصر ممن كانت أصولهم فارسية وأثروا فى تاريخ الأمة والفكر الإسلامى خلال حكم الدولة الأموية والدولة العباسية .
أما الفكر الشيعى الإسلامي الذى تعتنقه غالبية الأمة الإيرانية الآن فإن الأمة الفارسية هى من ساعدت على نشأته وتطوره وتطبيقه عمليا

---

[٦] لقد ورد فى صحيح البخارى وهو أصح كتاب دينى إسلامى بعد القرآن تحت رقم ٣١٥٩ -
" عَنْ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ قَالَ بَعَثَ عُمَرُ النَّاسَ فِى أَفْنَاءِ الأَمْصَارِ يُقَاتِلُونَ الْمُشْرِكِينَ ، فَأَسْلَمَ الْهُرْمُزَانُ فَقَالَ إِنِّى مُسْتَشِيرُكَ فِى مَغَازِىَّ هَذِهِ . قَالَ نَعَمْ ، مَثَلُهَا وَمَثَلُ مَنْ فِيهَا مِنَ النَّاسِ مِنْ عَدُوِّ الْمُسْلِمِينَ مَثَلُ طَائِرٍ لَهُ رَأْسٌ وَلَهُ جَنَاحَانِ وَلَهُ رِجْلاَنِ ، فَإِنْ كُسِرَ أَحَدُ الْجَنَاحَيْنِ نَهَضَتِ الرِّجْلاَنِ بِجَنَاحٍ وَالرَّأْسُ ، فَإِنْ كُسِرَ الْجَنَاحُ الآخَرُ نَهَضَتِ الرِّجْلاَنِ وَالرَّأْسُ ، وَإِنْ شُدِخَ الرَّأْسُ ذَهَبَتِ الرِّجْلاَنِ وَالْجَنَاحَانِ وَالرَّأْسُ ، فَالرَّأْسُ كِسْرَى ، وَالْجَنَاحُ قَيْصَرُ ، وَالْجَنَاحُ الآخَرُ فَارِسُ ، فَمُرِ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَنْفِرُوا إِلَى كِسْرَى" .

على مر العصور حتى أصبحت الآن هى الممثل الحقيقى للفكر الشيعى الإسلامى ، كما أصبحت المملكة العربية السعودية هى الممثل الحقيقى للفكر السنى الإسلامى فى العقد الأول من القرن الواحد والعشرين ومع تقدم الدورين السابقين تراجع الدور العراقى الشيعى كما تراجع الدور السنى المصرى وتركتهم كلهم تركيا لتتبع الفكر الإسلامى العلمانى .

كانت تلك مقدمة تاريخية تمهد لدراسة شخصية الدولة الإيرانية التى لا يمكن دراستها بدون دراسة تاريخها وخاصة الجانب الدينى منه لأن العامل الدينى كان أحد أسباب توحد الأمة الإيرانية المختلفة الأعراق وكان السبب الرئيسى لنجاح الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ م بل أن هذا العامل هو المحرك الأساسى للسياسة الإيرانية فى عصر الثورة برغم وجود عوامل أخرى سنقوم بدراستها فيما بعد .

إيران الحديثة وبقايا الإمبراطوريات الفارسية :

كانت إيران حتى الربع الأول من القرن العشرين تسمى " فارس " وأهلها يسمون "الفرس" ولكن مع تولى رضا خان (بهلوى) السلطة عام ١٩٢٥ أصبحت تسمى إيران والآن تسمى جمهورية إيران الإسلامية ولم يبق من الاسم الفارسى القديم سوى " الخليج الفارسى " كتسمية عالمية للخليج العربى حيث أن الفرس يشكلون أكثر من نصف عدد السكان بقليل من نسيج الأمة الإيرانية. ولكن لبلاد الفرس عصور زاهية فى تاريخ المنطقة فيروى عن بلاد فارس أن زرادشت وهو الحكيم القديم الذى ظهر فى القرن السادس قبل الميلاد ودعى -مثلما دعى قبله اخناتون المصرى- إلى عبادة إله واحد هو إله النور والسماء بطريقة تشبه طريقة اخناتون مع استبدال الشمس بالنور، فقد روى فى الأثر الإسلامى عن زرادشت أنه نبى وله كتاب يسمى "الأبستاق" لم توثق كتاباته مثلما وثقت كتابات العهد القديم فى التوراة وذهبت فى الفضاء التاريخى يتناقله أتباع الديانة الزرادشتية الأولى التى اندثرت كما اندثرت بعدها الديانة المانوية التى قامت بعد ميلاد المسيح وتأثرت بالثقافات الفارسية والهندية مع خلطها بالمسيحية ، ولكن مع ذلك

ظهرت أمة غزت المنطقة كلها خلال الملوك العظام من قورش الثانى منتصف القرن السادس قبل الميلاد الذى احتل معظم يلاد المنطقة من الهند إلى الشام وآسيا الصغرى والذى يعتبر القائد الأعظم فى تاريخ الحضارة الفارسية ثم ابنه قمبيز الذى فتح مصر ثم الملك الكبير دارا الذى بسط سلطانه على كل المنطقة إلى مطلع القرن الخامس قبل الميلاد ولكن مع مقاومة منطقة اليونان يقل تأثير الملوك التوسعى إلى عصر الملوك خلفاء أردشير الملك الذين ضعفوا حتى انتصر عليهم الاسكندر الأكبر واحتل معظم إمارات الإمبراطورية الفارسية الكبيرة، ولأن هذا الكتاب ليس كتابا تاريخيا أو دينيا فلن نخوض فى تاريخ الفرس ولكننا نشير إلى التحول بعد الفتح الإسلامى بنسبة كبيرة إلى الإسلام سواءً الإسلام السنى فى البداية ثم الشيعى فيما بعد بل وانبثقت منها ديانات ومعتقدات متعددة كان آخرها الديانة البهائية .

كل ما سبق من تاريخ ومعلومات تاريخية ذكرناه لأن تلك الأمة الفارسية على مر العصور تقاتل العالم بطريقة " **عناد تاريخى** " حيث يندر أن تستسلم الإمة الإيرانية (امتدادا للأمة الفارسية القديمة) لأى محتل لفترة طويلة ونادرا ما تجد حكامها يطأطئون الرؤوس ليعبروا العاصفة ولكنهم يقاومون عواصف الغزوات والعنف من جيرانهم بإباء غريب ولو على حساب انهيارهم وكأن تلك التوترات التاريخية مقابلة للتوترات الجغرافية التى تجعل من المنطقة الإيرانية ضمن أكبر منطقة زلازل فى الشرق الأوسط حيث يمر بها حزام الزلازل الأكبر فى المنطقة الممتدة من جبال الهملايا شمال شبه القارة الهندية إلى جبال الألب جنوب أوربا ، فهذه الامة لم تكن لتهنأ حتى فى أشد عصورها ازدهارا فغالبا ما يغتال ملوكها وتنتقل من ملك إلى ملك ومن حاكم إلى آخر بطريقة صعبة للغاية يصاحبها إسالة الدماء، ولكن أشد الفترات تأثيرا فى التاريخ الحديث كانت لفترة الدولة الصفوية فيما بين عامى ١٥٠١و ١٧٣٦ م وهى نفس الفترة التى اتسعت فيها الدولة العثمانية وانهارت فيها الدولة المصرية ، والدولة الصفوية هى أول

دولـة شيعية قويـة فـى المنطقـة بعد الفاطميين فـى مصـر وبالتـالى يمكن اعتبارها البذرة الأولـى لإيران الحديثـة فقد قـام من خلالهـا الشـاه إسماعيل الصفوى خلال الربع الأول من القرن السادس عشر بجعل المذهب الرسمى للحكم فى إيران وما حولها مما بسط سلطانه عليه هو المذهب الشيعى الاثنـى عشرى مناوئـا الإمبراطوريـة العثمانيـة الناشـئة ذات المـذهب السـنى، وقـد تعـددت الأقـوال فـى كـون الدولـة الصـفوية صاحبة فترة دموية صعبة ضد كل من لا يتبع المذهب الشيعى وترتب على ذلك أن أصبحت دولـة إيران هـى أسـاس المـذهب الشـيعى الاثنـى عشرى ([٧]) فـى العـالم وأصـبحت النزعـة الدينيـة واللغويـة هـى الربـاط الأساسـى الأول الـذى يـربط تلـك الأمـة وهـو الربـاط الأقـوى حتـى مـن الرباط الأممى للفرس والأزد والعرب والكرد والتركمان الذين يتكون منهم نسيج الأمة الإيرانية بنسب مختلفة من عدد السكان.

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى ومع الربع الأول من القرن العشرين قامت فـى إيران العديد من الإضطرابات التـى أنهت حكم القاجـاريين الـذين حكمـوا مـن ١٧٨١ م إلـى ١٩٢٥ م علـى يـد أحـد الضـباط وهـو رضـا خان (فأصبح هو الشاه رضـا بهلـوى) فأسس بـذلك أسـرة جديـدة حكمت إيران من عام ١٩٢٥م ، ويقال بأن الأئمة هم من عرضوا عليه الملك بـدلا مـن أن تصـبح جمهوريـة مثـل روسـيا الشـيوعية، وقـد حـاول

[٧] يشكل الشيعة أقل من ثمن عدد المسلمين فى العالم بصفة عامة وأهم مذاهبهم المذهب الشيعى الاثنى عشرى الذى نشأ بصورة أساسية مع التشيع للإمام على رضى الله عنه ثم توثق بعد مقتل الإمام الحسين رضى الله عنه وبعتمد على ولاية اثنى عشر إماما لهم التبجيل والاحترام بعد النبى محمد صلى الله عليه وسلم بدءأ من الإمام على رضى الله عنه ونسله من السيدة فاطمة رضى الله عنها وهما الحسن والحسين رضى الله عنهما ثم أبناء الحسين رضى الله عنهم جميعا وهم على زين العابدين ثم محمد الباقر ثم جعفر الصادق ثم موسى الكاظم ثم على الرضا ثم محمد الجواد ثم على الهادى ثم الحسن العسكرى وأخيرا محمد المهدى الذى يعتقد باختفاءه وعمره خمس سنوات ليظهر آخر الزمان فهو المهدى المنتظر . وتعتمد مبادئ الشيعة على القرأن الكريم والإحاديث التى تناقلها الأئمة السابق ذكرهم وليس أحاديث باقى الصحابة التى وردت فى صحيح البخارى أو مسلم ومن أشهر كتبهم الكافى للكلينى الذى يساوى صحيح البخارى عند أهل السنة كما يعتمدون مبدأ ولاية الفقيه أى سيادة رأى الفقيه الإمام الذى يختاره الله لهم ومبدأ التقية أى القول بظاهر الأمور غير ما تضمر النفس من بواطن الأمور الدينية ، ويكون الحج عندهم إلى كربلاء والمزارات المقدسة لأضرحة الأئمة فى العراق أهم من الحج إلى مكة والمدينة ، وينتشرون بصورة أساسية فى العراق وإيران واليمن وبصورة أقل فى بعض دول شرق الجزيرة العربية وسوريا ولبنان والدول المحيطة بشمال وشرق إيران . ولا يعتبر الآن كل من الدروز والبهائيين تابعين للشيعة فقد انفصلت ديانة كل منهما عن الإسلام بصفة عامة وعن الشيعة بصفة خاصة .

رضـا بهلـوى القيـام بتطـور جديـد نحـو التحـديث علـى الطريقـة الإيرانية الصعبة وليس على طريقة التطور التركى العلمانى على يد كمال أتـاتورك عـام ١٩٢٣ م أو علـى طريقـة التطور المصرى البطـئ بعد ثورة عام ١٩١٩ م ، وبذلك أصبحت إيران ثالث الثلاثـة الكبـار فـى الشرق الأوسط مع الربع الأول من القرن العشرين وحتى نهاية الحرب العالميـة الثانيـة بمثلث مكون من " تركيـا- مصـر- إيـران" بينمـا كانـت المملكـة العربيـة السعودية فـى طـور النشـأة الحديثـة وخبـا نجم العـراق وسوريا والمغرب العربى ولم تكن إسرائيل قد ظهرت بعد للوجود.

وتـولى بعـد ذلـك الابـن محمـد رضـا بهلـوى عـام ١٩٤١ حكـم إيـران وعمـره اثنـان وعشـرون عامـا بعـد ان أطاحـت الـدول الكبـرى بأبيـه لرغبته فى مساعدة هتلر وإمداده بـالبترول . وبعد توليـه الحكم لـم يكـن قادرا بصورة كبيرة على حكم إيران ذات الشوكة لذلك قـام انقلاب بعد انتخـاب " محمـد مصـدق " رئيسـا للـوزراء وقيامـه بتـأميم الـنفط عـام ١٩٥١ م مما أضعف سلطة الشاه بل وفراره عام ١٩٥٣ م ومغادرتـه البلاد ثم عـاد بعد فترة قصيرة مع انقلاب آخر ساندته الدول الغربيـة وأشرفت عليه الولايات المتحدة بصفة خاصة بعملية مخابراتية حتـى لا تفقـد الـدول الغربيـة إيـران كمـا فقـدت مصـر مـع قيـام ثـورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢ م . وبعد عودة الشاه صار أكثر حزما وديكتاتورية حتى لا يقوم أى انقلاب آخر وسمى نفسـه فيمـا بعـد شـاهنشـاه إيـران أو ملـك الملـوك وأعاد تكوين جهاز الشرطة السرية الشـهير المسمى بالسـافاك – الـذى يشبـه مباحـث أمـن الدولـة فـى مصـر فتـرة حكـم الـرئيس مبـارك – وقـد تسبب السافاك فى انتهاك حقوق الايرانيين من قتل الآلاف وتعـذيب مـا يصـل إلـى مليـون شـخص قبـل نهايـة حكـم الشـاه ممـا جعلـه أكبـر جهـاز أمنى فى المنطقة حينذاك.

إيران ما قبل الثورة :

حـاول الشـاه فـى فتـرة حكمـه الأخيـرة أن يضـمن لنفسـه ولاء الجـيش والشرطة لذلك أحكم قبضته علـى الجيش وأعطـى للسـافاك الحريـة فـى الاعتقـال والتعـذيب وحـاول إرضـاء القـادة بالتغاضـى عـن فسـادهم فـى

سبيل الحصول على ولائهم التام له ، أما من الناحية الظاهرية فهو يعد الشعب دائما بالديموقراطية وبحريات أكثر ولكن الشعب لم يلمس من الحرية إلا الكلام فقط لذلك لجأ الشعب إلى قادته الدينيين حيث أن المذهب الشيعى يجعل الولاء للفقهاء والملالى أكثر من الولاء للحكام والأمراء ، وأخذ الشعب يستمع إلى أشرطة التسجيل بصوت الإمام الخمينى التى تتسرب من مكان إقامته فى باريس وتتداول بين طلاب الجامعات والثوار فتغذى فيهم روح الثورة ضد الشاه وحاشيته . أما فترة حكم الشاه الأخيرة فبالرغم من اتهامه بالعنف المفرط مع الشعب والبذخ المبالغ فيه من جانبه وجانب زوجته الشهبانو "فرح" فقد حاول أن يقيم نهضة صناعية حديثة وقد أفلح نوعا ما فى ذلك حيث وضع إيران على خارطة الصناعات الحديثة والتقدم الاقتصادي مستغلا قربه من الدول الغربية ، بل وحاول أيضا الإصلاح الاجتماعي بتفعيل دور المرأة الإيرانية ، وقد استفاد من بعض عوائد النفط الإيراني خاصة بعد زيادة سعره بعد حرب أكتوبر المصرية عام ١٩٧٣ م حيث ساهمت تلك الحرب فى مضاعفة ثروات دول النفط ومن بينها إيران ، ولكن الفترة من عام ١٩٧٤ م إلى عام ١٩٧٩ م كانت أيضا هى أصعب فترات حكم إيران الحديثة حيث أن زيادة ثروات إيران الناتجة من عائدات النفط لم تصل إلى الشعب كلها بل اتضحت وجهة جزء كبير منها إلى زيادة البذخ لدى عائلة الشاه وحفلاته الباهظة التكاليف وزاد الفساد إلى درجة كبيرة فى الحاشية المحيطة به وكبار العسكريين مما ساهم فى زيادة الاحتقان لدى الشعب الإيراني حيث أنه يشاهد ثرواته وهى تنهب أمام عينيه بينما يتمتع بمثلها جيرانه فى دول الخليج وهو يتميز عنهم بوجود زراعة وصناعة إلى جوار البترول.

أما أصعب ما فعله الشاه فى فترته الأخيرة فهو محاولة التدخل فى الأمور الدينية وهى من الخطوط الحمراء فى إيران حيث حاول الشاه إدخال إيران معترك العلمانية وحاول إلغاء الحجاب وتغيير العديد من التعاليم الإسلامية قوبلت جميعها بالرفض ليس حبا فى الدين ولكن كرها فى نظام الشاه ومن هنا بدأت الثورة .

قيام الثورة :

مثلما حدث فى كل من الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م والثورة الروسية عام ١٩١٧ م حدث فى الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ م من حيث سرعة القيام بالثورة وحتى وجود الملك لويس السادس عشر وزوجته أو القيصر نيقولا الثانى وزوجته آو الشاه محمد رضا وزوجته الشهبانو وعدم تقدير أيا منهم لقدرة شعبه على القيام بالثورة ، ولكن الشاه محمد رضا حاول قدر الإمكان تفادى قيام الثورة بضمان ولاء الجيش والشرطة وكذلك محاولة فرض نظرية الولاء فى الترقى واحتلال الوظائف العامة مما أدى إلى وصول قيادات حكومية غير ذات كفاءة ، لقد أفلح فى كل ذلك ولكنه لم يفلح فى ضمان ولاء الشعب له ، فالثورة الإيرانية بدأت باحتجاجات صغيرة عام ١٩٧٧ م كلها تدور فى فلك الفقر وسياسة التقشف الاقتصادي والعنف المفرط من الشرطة السرية ثم تطورت شيئا فشيئا حتى وصلت إلى ذروتها مع مطلع عام ١٩٧٨ م بعد اغتيال العديد من رجال الدين فى مدينة قم المقدسة إثر مظاهرة ضد التشهير بالإمام الخمينى مما جعل يوم ذكرى الأربعين للشهداء هو بداية انتفاضات متعددة عمت المدن الإيرانية وأدت فى بعض الأحيان إلى نهب وسلب متعمد – وهو ما يحدث فى معظم الثورات - ثم تواصلت الانتفاضة فاضطر الشاه إلى استبدال رئيس الشرطة لإرضاء الشعب ولكن الشعب ارتفع سقف مطالبه بعد مظاهرة ٨ سبتمبر ١٩٧٨ م الكبرى فى إيران حيث كان الجيش يحيط بالمظاهرات بدباباته وعرباته المدرعة فيقدم له المتظاهرون الورود لكى يستميلوا أفراده إليهم وفى كثير من الأحيان كان ينضم أفراد الجيش العاديين إلى المتظاهرين ، ثم زاد ارتفاع سقف مطالب الشعب ووصل إلى ذروته بضرورة رحيل الشاه بعد عيد عاشوراء المقدس لدى الشيعة فى ديسمبر ١٩٧٨ م حيث تعدى عدد المتظاهرين المليونى شخص لا يخافون الدبابات ولا العربات المدرعة ولا القنابل الغازية المسيلة للدموع ، فكان ذلك أول ظهور لكلمة مليونية فى المظاهرات الشعبية ، مما جعل الغرب يوقن باستحالة بقاء الشاه ومحاولة البحث عن بديل له

من الجيش ولكن الثورة كانت أسرع من حسابات الغرب حيث قام الشعب بالضغط على الشاه فاضطر الشاه إلى مغادرة إيران فى ١٦ يناير ١٩٧٩ م إلى غير رجعة ، وخلال عدة ساعات انطلقت مظاهرات الفرح فى كل إيران وقامت الجماهير بحرق وكسر ونهب كل آثار الشاه وعائلته واضطر رئيس الوزراء المؤقت حينئذ وهو " شهبور بختيار" إلى حل نظام الشرطة السرية المعروف بالسافاك والإفراج عن بعض المعتقلين ، وهنا يظهر " المخلص " الإمام الخمينى الذى وصل بالطائرة من باريس أول فبراير ١٩٧٩ م واستقبلته الألوف التى لا تحصى ولا تعد فى سابقة لم تتكرر فى التاريخ الحديث من حيث العدد والزخم حيث يهبط القائد الفقيه صاحب الكاريزما الخطابية ويهتف كل الحاضرين فى نفس الوقت الكلمات التى جعلتهم يبكون والعالم الاسلامى ينظر إليهم بإعجاب وهم يرددون:

" السلام عليكم أيها الإمام الخومينى "

فهم يهنئون أنفسهم بنجاح الثورة بوصول قائدها المغترب منذ أربعة عشر عاما إلى أرض الوطن كأول ثورة ذات طابع إسلامى فى العصر الحديث .

إيران ما بعد الثورة :

بعد وصول الإمام آية الله الخومينى عين رئيس الوزراء المؤقت حينئذ مهدى باذرجان لكى يدير شئون البلاد وبدأ فى وضع أسس تكوين أول جمهورية إسلامية شيعية تعتمد مبدأ ولاية الفقيه – أى حكم رجال الدين - كأساس لنظام الحكم ومطالبا بمحاكمة كل رموز النظام السابق بما فيهم الشاه وطالب مصر بتسليم الشاه ولكن مصر لم تجب طلبه فكان العداء لمصر وللرئيس السادات حتى توفى الشاه عام ١٩٨٠ م ودفن بمصر ولكن العداء لمصر استمر حيث اتهمتها إيران بأنها مثل أمريكا تحاول القضاء على الثورة الإسلامية [٨]. وبالفعل تمت المحاكمات

---

[٨] الحقيقة أن هناك علامة استفهام كانت فى مصر آنذاك من استضافة الشاه برغم من تخلى أقرب مناصريه من الدول الغربية مثل الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا وألمانيا عنه وقبول

للعديد من رموز النظام السابق متضمنة العديد من رجالات الجيش والشرطة ورجال الأعمال والفاسدين وتم إعدام الكثير منهم وهرب العديد من رجال الأعمال وقادة الشرطة والجيش وأفشوا أسرار الثورة فى محاولة منهم لوأد الثورة والهروب برؤوس الأموال إلى الخارج – كنوع من الثورة المضادة - ، وقام الطلاب بمحاولة اختراق السفارة الأمريكية فحاول الرئيس الأمريكى آنذاك جيمى كارتر التدخل بعملية عسكرية فاشلة سقطت فيها الطائرات الأمريكية دون سبب واضح فانتصرت الثورة الإيرانية انتصارا عظيما جعل منها بحق أول جمهورية إسلامية فى العصر الحديث .

والحقيقة أن النظام الإيديولوجى المعتمد على الدين نجح فى كل من إيران والسعودية وإسرائيل ولكنه فى إيران اصطبغ بصبغة ثورية جعلت كل دول العالم تخشى تصديره إلى رعاياها والحركات الإسلامية الأخرى الموجودة بها ولكن تلك الدول لم تنجح فى وقف الزحف الثورى الايرانى حيث انتهجته حركة حزب الله فى لبنان وحركة حماس فى غزة ونجحتا فيه بينما فشلت طالبان والقاعدة فى أفغانستان ، كما فشلت حركة الجهاد فى مصر برغم نجاحها فى اغتيال الرئيس السادات عام ١٩٨١ م . وقد حاول الغرب عام ١٩٨٠ م بمساعدة العراق القيام بانقلاب مستعينا بشهبور بختيار رئيس الوزراء السابق ولكن تسربت أنباء الانقلاب قبل وقوعه ففشل فشلا ذريعا مما ساهم بصورة كبيرة فى نجاح الثورة الإيرانية، ولكن ذلك الحدث مهد الطريق للعراق بمحاولته التدخل العسكرى لاسترداد أراض عراقية أخذها الشاه السابق، فبدأت الحرب العراقية الإيرانية التى ساندها الغرب والعرب خلال فترة الثمانينات من القرن الماضى بكل قوة لكى تستنزف القدرات الإيرانية وكذلك العراقية وبالفعل لم تستطع إيران قطف ثمار الثورة، ولكن الغزو أتى بنتائج عكسية على الغرب حيث سيطر رجال الدين سيطرة كاملة على الدولة بجيشها وشرطتها

الرئيس السادات به بحجج واهية عن مساعدته مصر أثناء حرب أكتوبر بينما الشاه هو المناصر الأول لإسرائيل والولايات المتحدة فى المنطقة .

ومخابراتها بحجة الحرب، حتى أن الرئيس العراقي صدام حسين بعد ذلك عرض الهدنة فرفضتها إيران ولكنها قبلت بوقف الحرب بعد سبع سنوات من الدمار الذى عم كل من العراق وإيران. ولكن من نتائج الثورة أيضا أن الشعب الإيراني قطف ثمار الحرية والاعتزاز بالنفس بدرجة أعلى من فترة حكم الشاه ، ووصل الأمر مع عام ٢٠٠٥ م إلى إقامة انتخابات اتسمت بالنزاهة نوعا ما وأتت برجل من عامة الشعب برغم كونه مدرساً جامعياً إلى رئاسة إيران بطريقة شبه ديموقراطية وبنسبة فى حدود الثلثين من أصوات الناخبين ويستطيع هذا الرئيس أن يتجول بعدد قليل من الحراس فى شوارع إيران وهو ما لم يكن ليحدث فى إيران أو أى دولة عربية من قبل وهذا الرئيس هو محمود أحمدى نجاد وإن اختلف الغرب والعرب فى هذا الأمر واعتراضهم على الديموقراطية المعتمدة على المرجعية الدينية فى إيران وكذلك اعتراضهم على طريقة إعادة انتخابه عام ٢٠٠٩ م التى اتسمت بمخالفات وأدت إلى تظاهر مئات الألوف ضده ولكنه حصل على أكثر من ثلثى الأصوات أيضا [٩].

مستقبل إيران ما بعد الثورة :

الحقيقة أن الثورة التى بدأت عام ١٩٧٩ م فى إيران لم تنته إلى الآن فثورة إيران مثل الثورة الفرنسية والروسية جعلت الشعب فى ثورة دائمة نظرا لوجود حظر دولى على الصادرات إلى إيران فهى لا تستطيع منذ قيام الثورة أن تستغل كل طاقاتها سواء البترولية أو الزراعية أو الصناعية أو حتى البشرية الهائلة فهى تقاسى من عداوات متعددة الأطراف والأشكال نتجت عن تكاتف الدول الغربية والعربية ضدها حيث يحاول الغرب والعرب إدخالها فى نفق تلو النفق لكى لا تقوم لها قائمة تجعلها تصدر الثورة للدول العربية والإسلامية الأخرى مما كان له الأثر الكبير على تقدم الثورة ، ولكن المتابع لوسائل الإعلام

[٩] بالرغم من الديموقراطية الظاهرية فى إيران تجاه انتخاب رئيس الجمهورية إلا أن اختيار من سيرشح نفسه رئيسا يجب أن يمر من خلال المرشد الأعلى للثورة وهو أعلى منصب دينى إيرانى وبالتالي لن يرشح نفسه إلا من رضيت عنه القيادة الدينية مما يجعل الديموقراطية الإيرانية مقيدة مثل الديموقراطية الإسرائيلية اليهودية.

الغربية يجد أن وجهة نظر الغرب تنظر إلى القلاقل فى إيران على أنها كبيرة وتحاول تعظيمها حتى تفل عزم الإيرانيين، بينما المتابع لوسائل الإعلام الإيرانية يدرك عظمة هذا الشعب من استمراره برغم الحصار والحروب التى يلاقيها منذ أكثر من ثلاثين عاما ولم يخفض رأسه بل أقام نوعا من العدالة الاجتماعية، وقطع شوطا كبيرا فى الديموقراطية ليست موجودة فى بلاد عربية عديدة وإن كان يعترف بأنه يحمل أيديولوجية دينية شيعية مثله مثل السعودية ذات الأيديولوجية الدينية الإسلامية السنية أو حتى إسرائيل ذات الأيديولوجية الدينية اليهودية ، فهذه الأيديولوجيات الثلاث فى منطقة الشرق الأوسط عادة ما تقيد حرية الأقليات وحتى حرية التعبير وإن اصطبغت بصبغة ديموقراطية شبه حقيقية كما فى إسرائيل أو بصبغة ملكية كما فى السعودية . وأيضا استطاعت إيران إقامة نهضة صناعية فى كل المجالات الصناعية برغم وجود حصار صارم وكذلك نهضة عسكرية غير عادية جعلها تطور العديد من المعدات العسكرية البرية والبحرية والجوية فأصبحت هى الصانع والمطور للصواريخ والزوارق الحربية والعربات والمدافع والرشاشات وحتى مقذوفات البنادق أو (الرصاص) والقنابل بل ووصل الأمر إلى الصواريخ المتطورة والطائرات بدون طيار مما جعل إسرائيل والولايات المتحدة تتخوفان من ترسانتها العسكرية.

أما لجوء إيران إلى المفاعلات النووية فقد نظر إليه الغرب نظرة الشك والريبة حيث أن إيران حينما لجأت إلى الدخول المعترك النووى لم تفعل مثل الدول غير الأوربية وتستورد مكوناتها ، بل لجأت إلى محاولة سبر أغوار تلك الصناعة بل وصناعة أجهزة الطرد المركزى وما يتعلق بها وليس استيرادها فحسب مما أخاف الغرب من تلك الترسانة العسكرية والنووية القادة .

وبناءً على وسائل الإعلام الإيرانية فإن إيران سوف تحقق نهضة شاملة خلال العقد الحالى شريطة وقف الحظر الدولى عليها .

أما تأثير الثورة الإيرانية على المنطقة فهو ما يزال واضحا إلى الآن فالخوف من تكرار واستنساخ التجربة الإيرانية جعل الغرب يتخوف من أى فكر سياسي يحمل مغزى دينى فى المنطقة منذ عام ١٩٧٩ م وهو وإن لم ينجح فى القضاء على الثورة الإيرانية فقد نجح على الأقل فى وقف نمو الثورة لكى لا تعصف بالمنطقة وساعد دولا مثل مصر والجزائر وتونس والأردن وليبيا واليمن والبحرين بصورة واضحة وباقى الدول العربية بصورة أقل وضوحا على الاستخدام المفرط للقوة مع الإسلاميين أيا كانت عقيدتهم للحيلولة دون تفوقهم مما كان له الأثر الكبير فى قيام ثورات عام ٢٠١١ م.

وتتضح أهمية الثورة الإيرانية حديثا فى أنها قابلة للتطبيق فى كل البلاد العربية التى ستقوم فيها ثورات خلال العقد الحالى والقادم .

الفصل الثالث

الثورة التونسية

ثورة الياسمين أو ثورة الكرامة عام ٢٠١١ م
أول ثورة شعبية عربية فى القرن الحادى والعشرين

" ارحل" الكلمة التى قالتها الشرطية فادية حمدى باللغة الفرنسية فى ولاية (محافظة) سيدى بوزيد التونسية بعد أن صفعت أحد الشباب الذين يبيعون الخضروات على عربة يدوية فى تلك المدينة التونسية برغم حصول ذلك الشاب على مؤهل جامعى ، وقد ذهب الشاب إلى كل الأماكن التى يمكن أن يشكو فيها ما فعلته الشرطية ومساعداها معه إلا أنه كان يقابل بالرفض فقام بحرق نفسه على مرآى ومسمع من سكان الولاية التونسية فانتشرت قصته كما تنتشر النار فى الهشيم وكانت السبب فى قيام الثورة التونسية ، فكانت تلك الصفعة المفعمة بكلمة " ارحل " سببا فى رحيل الشرطية و الشرطة ووزير الداخلية وحتى رئيس الجمهورية وتغيير النظام التونسى بل وأصبحت تلك الكلمة " ارحل " هى شعار الثورات العربية الحديثة ، وبقيت حكاية الشاب محمد البوعزيزى أيقونة الثورة التونسية الذى سيسجل التاريخ اسمه كما سيسجل شبيهه المصرى خالد سعيد الذى لقى حتفه على يد رجال الشرطة فى مصر قبل البوعزيزى بعدة أشهر.

تونس أفريقيا والتاريخ :

هل تصدق أن بلدا صغيراً مثل تونس يسمح له التاريخ بأن يستعير جزء من اسمه القديم لكى يطلق على قارة بأكملها ، فكلمة Africa المكونة من مقطعين " أفرى " ومن أحد تفسيراتها أنها كلمة تونسية قديمة كانت تطلق على بعض البربر أو الكهف الذى يسكنون فيه أو بلاد تونس ومقطع "كا" اللاتينى يعنى الأرض وبالتالى تونس فى عصر الرومان هى أرض الأفرى التى عاصمتها قرطاجنة أو قرطاج والتى انطلق منها الاسم ليشمل قارة بأكملها إلى الآن . والحقيقة أن المتتبع لتاريخ تونس يجدها على صغر مساحتها كان لها تأثير كبير على المنطقة لكونها الأقرب لأوربا عن طريق إيطاليا وصقلية ولكون ميناءها القديم قرطاجنة هو الأكبر بعد الإسكندرية ولكون قائدها هانيبال أو هنيبعل من مشاهير القادة العسكريين فى التاريخ الرومانى حيث ولد فى قرطاجنة بتونس عام ٢٤٧ ق.م ووصل بجيشه إلى

أسبانيا واحتل من بعدها إيطاليا فى حدود عام ٢٠١ ق.م ولكنه عاد إلى شمال أفريقيا ليقاتل الاحتلال وانهزم فرجع وأصبح حاكما لقرطاجنة ولكنه هزم مرة أخرى وفر منها ثم تناول السم لكى لا يقع فى الأسر ، أما الفتح الإسلامى فقد قابل فى تونس الأعاجيب حيث أن الفتح الإسلامى العربى فتح مصر كاملة فى عدة أشهر وتوقف سنوات طويلة حتى يسيطر على تونس بطريقة كر وفر بين العرب والبربر كل منهما يستولى عليها ثم يطرد منها إلى أن استولى عليها العرب بصورة دائمة بعد دخول مصر بعشرات السنين حيث بدأ عملية الفتح عقبة بن نافع فى حدود عام ٥٠ هـ ٦٧٠ م وأنشأ مدينة القيروان ورجع عنها ثم استكملها حسان بن النعمان الغسانى عام ٨٢ هـ ٧٠١ م بعد قتل الكاهنة ملكة الأوراس زعيمة البربر ، وبعد أن تم عزله تولى موسى بن نصير الحكم فجعل القيروان عاصمة له عام ٨٦ هـ ٧٠٥ م.

أما العلاقة بين مصر وتونس فقد بدأت مع وصول الفاطميين أو العبيديين الشيعة للحكم فى تونس وهم من الطائفة الشيعية الإسماعيلية وبدأت فتوحات غزو مصر على يد القائد جوهر الصقلى عام ٩٦٩ م فى عهد المعز لدين الله الخليفة الرابع الفاطمى واستولوا عليها وأقاموا أقوى دولة شيعية وهى الدولة الفاطمية وتم نقل العاصمة إلى القاهرة عام ٩٧٣ م وأصبحت من أقوى الدول لمدة تزيد على مائتى سنة . أما المشترك التاريخي الأعظم بين مصر وتونس فهى قصة بنى هلال أو السيرة الهلالية التى تروى فى كل مناطق مصر وليبيا وتونس بصور مختلفة ففى أرجح الأقوال أنها ترجع إلى أن أحد ملوك تونس الذى يحكم باسم الفاطميين انشق عنهم وانحاز للعباسيين فحاول الفاطميون تأديبه أرسلوا له قبائل بنى هلال وبنى سليم العربية الموجودة فى صعيد مصر لغزوه وبالفعل وصلت إليه وعاثوا فى أرضه فسادا ونهبا وقضوا عليه وقسموا تونس إلى دويلات لم تتوحد بصورة دائمة إلا مع وصول الدولة الحفصية عام ١٢٣٦ م والتى تولدت من دولة الموحدين واستولت على الحكم حتى دخول العثمانيين عام ١٥٧٤ م وحكموا تونس بطريقة تشبه طريقة المماليك فى نفس الفترة فى مصر

حيث كانت تظهر آثار الدولة وعمرانها ولكن لم يكن هناك أى تقدم تاريخى . أما الاحتلال العثمانى للشرق فقد وصل تونس بعد مصر أيضا بعشرات السنين وفى حدود عام ١٥٧٤ م واستمر الحكم العثمانى تحت إمرة الدايات (مفرد داى) والبايات (مفرد باى) لتونس حتى جاء الحكم الحسينى للدولة التونسية الحديثة والذى بدأ عام ١٧٠٥ م واستمر إلى عام ١٩٥٦ م حتى الاستقلال الحديث بطريقة تشبه حكم أسرة محمد على فى مصر حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م، وكان أهم حكام تلك الفترة على بن حسين (١٧٥٩-١٧٨٢ م) ومن بعده حمودة بن حسين (١٧٨٢-١٨١٤ م) الذى يشبه محمد على فى مصر ، ومن عجائب القدر أن يوجد أيضا شبيه الخديوى إسماعيل وهو محمد الصادق بن حسين الذى أنشأ أول دستور فى المنطقة العربية معتمدا على الفكر الفرنسى عام ١٨٦١ م - كما أنشأ الخديوى إسماعيل أول مجلس نيابى - ولكن فى عصره زاد التدخل الفرنسى إلى أن وصل الأمر إلى فرض الوصاية والاحتلال عام ١٨٨١ م على تونس بعد مؤتمر بوردو . ما هذا التشابه العجيب بين مصر وتونس حتى فى طريقة وتوقيت الاحتلال !!! .

تونس قبل زين العابدين بن على :

تتميز تونس على صغر مساحتها بوجود موارد زراعية كبيرة بالمقارنة بعدد سكانها كما تتميز بوجود المعادن مثل الفوسفات والحديد لذلك بدأ الإستعمار الفرنسى بالتوجه إليها ووصل الأمر إلى الاحتلال الفرنسى عام ١٨٨١ م ، ولكن الاحتلال وحد التونسيين وبدأ الشعور القومى يجتاح تونس لتظهر معالم الدولة الحديثة مع بداية فرنجة التعليم فتكونت الحركات والجمعيات بطريقة تشبه طريقة مصطفى كامل فى مصر، فمع نهاية القرن التاسع عشر تكونت جمعية الخلدونية عام ١٨٩٧ م نسبة إلى ابن خلدون على يد زعماء مثقفين مثل الوزير خير الدين باشا الى كان وزيرا لمدة قصيرة خلال الفترة من ١٨٧٣-١٨٧٧ م فساهمت مع جمعية أخرى هى الصادقية فى نشر الوعى الثقافى والسياسى والتعليمى بين الشعب حتى تكونت حركة الشباب

التونسى ما بين عامى ١٩٠٧ م و ١٩١٨ م ، وبعد قيام الثورة الروسية وثورة ١٩١٩ م فى مصر تأثرت بهما تونس وتم تأسيس الحزب الدستورى التونسى عام ١٩٢٠ م وبرزت أسماء حزبية مثل عبد العزيز الثعالبى والطاهر بن عمار وأسماء لها ثقل عمالى مثل محمد على حامى الذى أسس أكبر وأول اتحاد عمال عربى وهو جامعة عموم العملة التونسيين ، وكذلك ظهرت أسماء لها تأثير ثقافى مثل الطاهر الحداد وزين العابدين السنوسى وبيرم التونسى وأبى القاسم الشابى صاحب القصيدة الشعرية أيقونة الثورات :

" إذا الشعب يوما أراد الحياة ... فلا بد أن يستجيب القدر ".

ويبدأ التاريخ الحديث لتونس قبل الحرب العالمية الثانية ومع تأسيس الحزب الدستورى الجديد عام ١٩٣٤ م وظهور نجم الزعيم الأشهر فى تاريخ تونس وهو الحبيب بورقيبة الذى انشق عن الحزب الدستورى القديم وأسس مع بعض الشباب الواعد حينذاك الحزب الجديد الذى حكم تونس فيما بعد .

واستمر التضييق على الحزب من جانب الاحتلال الفرنسى وبدأت أكبر انتفاضة شعبية تونسية عام ١٩٣٨ م وبعدها قامت الحرب العالمية الثانية واحتلت قوات ألمانيا وإيطاليا تونس عام ١٩٤٢ م بعد غزو ألمانيا لفرنسا وهروب قادتها إلى الجزائر، وقد حاول الاحتلال الجديد التقرب من الشعب فأفرج عن المعتقلين وسمح بتكوين الأحزاب وعاد بورقيبة لتونس بعد نفيه ولكنه أعلن مساندته للحلفاء ضد المحور فنفى مرة أخرى للخارج، ومع قرب انتهاء الحرب رجع الحزب الدستورى للعمل وتأسس الاتحاد العام للعمال التونسيين الجديد عام ١٩٤٥ م وبدأت حركات المقاومة للظهور عام ١٩٤٦ م حتى عاد بورقيبة عام ١٩٤٩ م .

بعد قيام الثورة المصرية عام ١٩٥٢م انتفضت تونس مرة أخرى وبدأت حركات الاحتجاج تزداد بالمنادة بالاستقلال وعاد بورقيبة مرة أخرى عام ١٩٥٥ م وبدأت مفاوضات الاستقلال عام ١٩٥٦ م حتى تحقق عام ١٩٥٧م بإعلان الجمهورية وتم تكليف الحبيب بورقيبة

برئاسة الدولة وقد نجح أيضا كأول رئيس منتخب عام ١٩٥٩م.
ومنذ عام ١٩٥٦ م أخذت تونس فى المضى قدما فى عدة طرق متوازية منها تكوين جيش وطنى وتونسة الإدارة والعمل – بإحلال العمال التونسيين مكان الفرنسيين والأوربيين - وتأميم القطاعات الحيوية للدولة وتأسيس دولة حديثة عصرية . أما أهم ما ميز تونس عن الدول العربية الأخرى فهو ليبراليتها ، فقد بدأت فى وضع قوانين جديدة، بالرغم من اعتمادها على الشريعة الإسلامية إلا أنها اختارت من التشريعات ما يقترب من التشريعات الفرنسية فمنعت تعدد الزوجات وسهلت عملية الطلاق وإتاحة حرية المرأة وحق الانتخاب لها وحق توليها المناصب وحتى تحديد سن الزواج وأمور كثيرة لم تعتد عليها الشعوب العربية فى ذلك الوقت مما أعطى لتونس – مع لبنان – الفضل فى قيادة الحرية الاجتماعية العربية وفصل الدين عن الدولة بصورة رسمية وبدون أى معوقات شعبية . وقد استمر حكم الحبيب بورقيبة على هذا النسق الجيد حتى عام ١٩٦٤ م حين بدأ يستأثر بالسلطة بل ويؤسس ديكتاتورية جديدة فى ثوب علمانى، وكان من الزعماء العرب القلائل الذى طلب من الفلسطينيين الاعتراف بقرار التقسيم عام ١٩٤٧ م المتضمن الاعتراف بإسرائيل ، واكتمل تأسيس تلك الديكتاتورية عام ١٩٧٤ م حين قام بتعديل الدستور ليكون رئيسا مدى الحياة لتونس وبدأت تخرج من تونس الأفكار الليبرالية المناقضة للمتعارف عليه فى باقى الدول العربية والإسلامية - عدا لبنان وتركيا- فالعطلة التونسية الأحد ، ويوم الجمعة تقام صلاتان للجمعة لكى لا يتوقف العمل ، وإفطار رمضان من الأمور الغير مستهجنة ، والخمر و"البيرة" متوفرة بدون قيود ، وغيرها من الأمور المقيدة للتعاليم الإسلامية بل وقام بورقيبة بالقبض على المتشددين الإسلاميين ونفيهم خارج تونس ما أمكنه ذلك .
والحقيقة أن الشعب التونسى تقبل تلك الليبرالية ولم يعترض لكثرة المغتربين فيه، فقلما تجد أسرة تونسية لم يخرج أحد أفرادها إلى فرنسا أو أي من الدول الأوربية، ولكن الشعب لم يتقبل تقييد الحرية بعد

تعديل الدستور عام ١٩٧٤ م فكثرت الاحتجاجات الطلابية مع نهاية السبعينات وبداية الثمانينات وتصاعدت حدة الاعتراضات نتيجة الأزمة الاقتصادية التى أتت بالفقر فتم رفع سعر الخبز بداية عام ١٩٨٤ م مما أشعل انتفاضة شعبية شبيهة بانتفاضة ١٨-١٩ يناير ١٩٧٧ م فى مصر ولم تهدأ تونس بعدها لكثرة عدد القتلى فى تلك الانتفاضة ولكن من نتائج تلك الانتفاضة أن بزغ نجم لاعب جديد هو زين العابدين بن على الذى كان مديرا للأمن الوطنى- المخابرات- بالجيش ثم عين سفيرا لتونس فى بولندا وعاد ليتولى الأمن الوطنى ومن ثم وزارة الداخلية التونسية ثم رئيسا للوزراء ١٩٨٧ م إثر تدهور حالة بورقيبة الصحية .

والحقيقة أن حقبة الحبيب بورقيبة اختلف التونسيون فى الحكم عليها فهناك من يعتبرها حقبة تاريخية حتى عام ١٩٧٤ م وهناك من يعتبرها كلها تاريخية وآخرون يعتبرونها فترة حكم تسببت فى تأخر تقدم تونس منذ عام ١٩٥٧ م وإلا لكانت مكانة تونس أعلى من مكانتها الحالية لولا استئثار بورقيبة بالسلطة ، ولكن جميع التونسيين يؤمنون بأن بورقيبة هو من وضعهم على طريق المدنية الأوربية الحديثة وبث فيهم روح العلمانية الإسلامية التى لم تتكن لتتواجد فى بلد غير تركيا ولبنان وكذلك حثهم على التعليم والقضاء على الأمية فى تونس وهو ما كان يخشاه كل الحكام العرب جراء ازدياد عدد المتعلمين والمثقفين وزيادة الوعى الذى سيؤدى حتما إلى الثورة.

زين العابدين بن على:

يوجد العديد من الحكام العرب العسكريين - بداية من محمد على باشا فى مصر - الذين لا يحملون شهادة عليا أو حتى متوسطة ولكن تعليمهم العسكري ارتقى بهم لدرجة أعلى من حملة الدكتوراة ، ذلك ما حدث مع الرئيس التونسى السابق زين العابدين بن على الذى ولد عام ١٩٣٦ م ولم يثبت عمليا حصوله على شهادة حتى ولو متوسطة مدنية ولكن بعد انخراطه فى الخدمة العسكرية ساعده حماه – الضابط ذو الرتبة الكبيرة - فى الحصول على الدبلوم العسكرى من فرنسا ثم

شـهادة فـى المدفعيـة مـن أمريكـا ولكنـه أتقـن علـم الاسـتخبارات العسكرية بعد حصوله على تدريب فى الولايات المتحدة فى CIA مما جعله يتولى الأمن الوطنى للجيش - المخابرات العسكرية - فترة طويلة ثم عين سفيراً ثم عاد مديراً للأمن الوطنى التونسى عام ١٩٧٧ م برغم صغر سنه آنذاك مما يدل على إتقانه لعمله ، حتى أن العقيد معمر القذافى تعرف عليه فى تلك الفترة وأعجب بقدراته على تسيير الأمور بل واقترحه على الرئيس بورقيبة لكى يسند له منصباً وزارياً ، وبعد عدة سنوات عين سفيرا لتونس فى بولندا وقامت ثورة الخبز عام ١٩٨٤ م فرأى الرئيس بورقيبة استدعاءه لتولى الأمن الوطنى التونسى فقبل الأمر ثم تولى وزارة الداخلية ثم رئيسا للوزراء فى أكتوبر عام ١٩٨٧ م ، وهنا أحس زين العابدين بتدهور الحالة الصحية للرئيس بورقيبة التى تشبه الحالة الصحية للرئيس الأمريكى ريجان من بوادر زهايمر واضحة فقام يوم ٧ نوفمبر بانقلاب سلمى تولى على إثره رئاسة الدولة التونسية ولم يعترض أحد على هذا الأمر فى ذلك الوقت لأن الرئيس بورقيبة اعتبر ميتا بالفعل لكبر سنه والذى وصل سنه إلى ٨٤ عاما آنذاك [١٠].

قاد زين العابدين بن على تحولا مهما فى تونس عام ١٩٨٧ م بتوليه رئاسة الجمهورية التونسية وحاول فى سنواته الإولى استرضاء الشعب والطلاب ففتح الباب للتعامل مع الأحزاب الأخرى والعديد من المثقفين ولكنه اصطدم بحائط الصد المنيع المتمثل فى التيار الإسلامي وهنا أخذ التجربة المصرية مع خلطها بالمنهج التركى العلماني فى التعامل مع الإسلاميين حيث انتهج نفس النهج من التعذيب والتضييق والمعاداة بل ووصل الأمر إلى تحريم الحجاب وهو ما لم تفعله الدول الأوربية المسيحية فاستحق أن يكون أكثر الحكام العرب عداوة للإسلاميين بجميع طوائفهم فكانت تونس تضم بصورة دائمة مؤتمر وزراء الداخلية العرب لتتعرف على وسائل التبادل الأمنى وكيفية قمع

[١٠] توفى الرئيس التونسى الحبيب بوررقيبه عام ٢٠٠٠ م

المتظاهرين ودحر الإسلاميين والاستفادة من التجارب المصرية والسورية والعراقية فى تلك المجالات فكون جيشا من الشرطة على الطريقة الإيرانية للسافاك أو طريقة الجيستابو الألمانية النازية . وحاول بن على الاستفادة من ذلك بالتقرب من الدول الغربية حيث كان يستخدم الاسلاميين كفزاعة لفرنسا والغرب لذلك تغاضى الغرب عن كل ممارساته القمعية الوحشية وفساد حاشيته برغم علمه بها تفصيليا .

قيام الثورة :

بدأت ملامح الثورة تتضح مع يوم ١٧ ديسمبر حين شاهد كل التونسيين عبر الفضاء الالكترونى حريق البوعزيزى فهبت كل المدن التونسية إثر هذا الحادث وفى اليوم والأيام التالية من خلال تحالف كل شباب الفيسبوك وتويتر على القيام بالاحتجاج فى كل تونس وهو ما حدث بالفعل فبدأت الشرطة بالتصدى للمتظاهرين فسقط الشهداء فى كل المدن مما غذى الثورة وزاد اشتعالها وقابلتها الشرطة بالعنف وزاد التظاهر مما جعل الرئيس بن على يظهر على شاشات التليفزيون التونسى ليقول للشعب خطابه الشهير " الآن فهمتكم وفهمت مطالبكم " وظنها مطالب كلها ضد البطالة والفساد وعدم ترشحه للرئاسة فقط ولكنه لم يدرك أنها مطالب للحرية أولا ثم العدالة الإجتماعية وما سياتى بعد ذلك سيكون من توابع الحرية ، ولكن الخطابين لا الأول ولا الثانى ولا حتى تغيير الوزراء المكروهين والمشهورين بالفساد استطاع إرضاء جماهير الشباب الى زادت إلى مئات الألوف وارتفع سقف مطالبها إلى رحيل الرئيس فلم تستطع قوات الشرطة السيطرة على الأمر فبدأت حرائق أقسام الشرطة ومقار الحزب الدستورى التونسى وحتى المقار الحكومية ووصل الأمر إلى انتواء الجماهير الانقضاض على القصر الجمهورى الذى أحيط بسياج من القوات فى جميع مداخله وهنا أحس الرئيس بن على بالخطر ففر هاربا يوم الجمعة ١٤ يناير ٢٠١١م . وسيناريو هروب الرئيس بن على غير محدد المعالم حيث يقال بأن العقيد القذافى صديقه القديم ساعده فى ذلك وعرض عليه الوصول إلى ليبيا ولكنه خشى من قرب ليبيا إلى تونس

مما سيساعد على اغتياله فاستقل الطائرة التى كان خط سيرها به مالطا وفرنسا ولكنه فى النهاية استقر فى المملكة العربية السعودية البلد الأشهر فى استضافة كل زعماء العالم الإسلامى المغضوب عليهم من شعوبهم أو حكامهم الجدد وهو ما اعترفت به المملكة السعودية فى اليوم التالى لتنحيه عن السلطة .

وبعد تنحى الرئيس بن على تولى محمد الغنوشى رئيس الوزراء مهام رئيس الجمهورية ثم تولاها فؤاد المبزع رئيس مجلس النواب ووعد بإجراء الانتخابات خلال فترة قصيرة وهو ما تم بالفعل .

والحقيقة أن الثورة التونسية كانت تقف كملهمة وراء كل الثورات العربية الحديثة التى قامت وستقوم خلال الأعوام التالية وحتى الثورات التى ستقوم فى دول أخرى من دول العالم الثالث فى أفريقيا وأسيا لأنها استطاعت لأول مرة فى القرن الحادى والعشرين تخليص الشعب من الحكم الديكتاتورى الفاسد وتغيير النظام المستبد والتحول نحو الديموقراطية الذى سيتم حتما فى تونس خلال السنوات القليلة القادمة وكان ذلك من خلال توظيف التكنولوجيا الحديثة كالكمبيوتر والانترنت لتجميع الشباب من مختلف المدن والمحافظات وقيامهم بالثورة فى نفس الوقت مما شتت قوات الأمن فهى لا تستطيع مجابهة الأعداد الهائلة من المتظاهرين خاصة إذا كانوا فى محافظات متعددة متباعدة الأطراف .

ومن سوء حظ الثورة التونسية من الناحية الإعلامية هو قيام الثورة المصرية بعدها مباشرة مما خطف الأضواء منها ومما يحدث فى تونس فى مرحلة ما بعد الثورة ولم يكتف التاريخ بذلك بل قذف بثورات أخرى فى البحرين واليمن وليبيا وسوريا كلها أخفقت الأنوار عن المسرح التونسى الذى مازال ينبض إلى الآن .

أما النتائج المتوقعة للثورة التونسية فهى بقاء تونس حرة لفترة قادمة من الزمن لا يعلم مداها إلا التاريخ الذى سيدونها بأحرف من ذهب حيث أنها أشعلت الجذوة فى كل الفروع العربية لتنطلق نحو التحرر الذى سيهب حتما على الدول العربية جميعها خلال العقد الحالى سواءً بالثورة أو بالتغيير السلمى أو حتى العسكرى حيث سيكون العقد الحالى

وحتى سنة ٢٠٢٠م هو عقد التحرر العربى كما حدث فى أوربا الشرقية منذ عام ١٩٨٩ م وحتى نهاية حرب البوسنة بعد ذلك بعشر سنوات تقريبا .

وبعد دراسة كل الثورات الهامة السابقة سواءً فى أوربا أو فى منطقة الشرق الأوسط لعلك لاحظت عزيزى القارئ أن الثورات معظمها متشابهة الظروف وإن اختلف السبب فى قيامها فالشعوب واحدة التفكير والتنفيذ فى كل مكان فى العالم لأنها – أى الثورات - بنيت على الفكر الإنسانى المتواجد فى كل البشر على مر العصور.

الباب الثانى
مصر وثورة ٢٥ يناير

الفصل الأول : الثورات فى تاريخ مصر الحديث
الفصل الثانى : الوضع فى مصر قبل قيام الثورة
الفصل الثالث : تطورات الثورة ما بين ٢٥ – ٢٨ يناير
الفصل الرابع : بوادر نجاح الثورة

الفصل الأول
الثورات فى تاريخ مصر الحديث

مقدمة :

حين تتابع التاريخ المصرى منذ عصر الفراعنة حتى الحملة الفرنسية لا تجد أى ثورة شعبية لها أثر كبير إلا حين ترى أن هناك غزوا خارجيا يتجمع الشعب خلاله مع الحاكم أو الجيش لدحر المعتدين كما حدث فى فترات القوة فى عصر الفراعنة أو حتى فى مقاومة الصليبيين فى عهد صلاح الدين فى العصر الإسلامى . ولكن هناك فى بعض الحالات القليلة كانت توجد بعض الثورات الشعبية الغير ناجحة قام بها المصريون فى العصر القبطى ضد تغلغل سلطة الكنيسة الرومانية أو الثورة الشعبية الناجحة ضد التتار التى توحدت بها مصر تحت قيادات مملوكية لسيف الدين قطز والظاهر بيبرس وكانت مصر بغير قائد رسمى آنذاك وفى كل تلك الحالات كان الهاجس الدينى هو المحرك الرئيسى للأحداث سواءً فى العصر القبطى أو العصر الإسلامى . ولكن ثورة الشعب التى قام بها أحمس وطرد فيها الهكسوس بمساعدة الشعب والجيش الذى كونه من الشعب هى الثورة الشعبية التاريخية الأولى الناجحة برغم عدم وجود معلومات كافية وواضحة عنها حيث أنها تمتد لأكثر من ثلاثة ألاف وخمسمائة عام فقد حكم أحمس الأول من حوالى ١٥٥٠ ق.م إلى حوالى ١٥٢٥ ق.م . فبالرغم من الأصول الملكية لأحمس الأول إلا أنه استنهض الشعب فسار معه الشعب وسنه فى حدود ١٩ سنة - وهو سن يقارب سن شباب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ – ليحرر مصر كلها من الصعيد إلى الشمال ويقيم دولة مصرية جديدة قامت خلال حكم أسرته الثامنة عشر برفع اسم مصر عاليا حتى أصبحت خلال تلك الأسرة فى أوج حضارتها التى لم تصلها لا قبلها ولا بعدها إلى الآن . لذلك تعتبر ثورة أحمس هى أول ثورة شعبية تحررية للمصريين يعتمد فيها القائد على الشعب أولا ثم يكون من الشعب جيشا منظما حديثا تمكن من خلاله من طرد الهكسوس من مصر كلها ليصبح أول ملك شعبى فى تاريخ مصر

يقدره الشعب ويحترمه ليس لجذوره الملكية فحسب ولكن لقوته وانتصاراته وثورته برغم صغر سنه .

الحملة الفرنسية على مصر :

إذا عبرنا التاريخ القديم الضارب فى العمق والذى بنى معظمه على تقديس وإجلال الحاكم أيا كانت ملته أو طبيعته نجد الشعب المصرى مثل شعوب الشرق عموما قليل الثورات يقبل حاكمه كما قبل الحاكم بأمر الله الفاطمى وكما قبل قراقوش وحتى المملوك بيبرس ليكون حاكمه بل ويمجده ، ومن الغريب أن معظم هؤلاء الحكام كانوا من غير المصريين ، ولكن التاريخ تغير قليلا مع وصول الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨ م . فمع دخول نابليون مصر عام ١٧٩٨ م وقيام الثورة الشعبية ضد الفرنسيين ثم اندحارها ، اكتشف المصريون أنهم تخلفوا عن ركب الحضارة بضع مئات من السنين منذ عهد صلاح الدين وحتى دخول الفرنسيين مصر فقد كان صلاح الدين آخر حاكم آمن بالوحدة الوطنية وكان فى بلاطه اليهود والنصارى إلى جوار المسلمين وكان يؤثر العلم على الجهل وحاول إقامة نهضة شاملة لا تقوم على أساس دينى مع عدم إغفال الدور الرئيسى للدين ولكنه اصطدم بالحائط الدينى الشيعى الذى أقامه الفاطميون من قبل ونشأ عنه قلة التسامح الدينى والاهتمام بالمظاهر الدينية قبل الاهتمام بجوهر الدين ، فقد كانت مصر تعج بالموالد والاحتفالات الغير مسبوقة العدد مما أضاع الكثير من جهد صلاح الدين فى معالجة أمور الدين التى جعلت من أتى بعده يرث تركة ثقيلة من التشرذم والضعف الديني استمرت لفترة طويلة .

لقد أحس المصريون مع دخول الفرنسيين مصر أنهم كانوا غائبين عن الحضارة وعن التاريخ الإنساني ككل حتى أن الفرنسيين الذين لا يتكلمون العربية يقومون باكتشاف آثارهم القديمة وتدوينها بل ودراسة دينهم الإسلامي والمسيحي وعاداتهم وتقاليدهم فى مختلف المحافظات بطريقة عصرية تدعو للدهشة ، ولعلك تتعجب عزيزي القارئ إن قرأت ما أورده الفرنسيون فى كتاب وصف مصر عن تلك الفترة

ومنها أن المسلمين تركوا الآثار الفرعونية الهامة لأنها تعتبر من عصور الجاهلية وعبادة الأصنام ، وحينما قام الفنانون الفرنسيون برسم صور لبعض الأشخاص الأحياء فى صعيد مصر هرب المسلمون عند مشاهدة الصور واللوحات على اعتبار أنها من الجان أما المسيحيون فلم يهربوا من الصور بل ركعوا لها على اعتبار أنها صور لقديسين لأنه لم تكن هناك أية صور فى مصر إلا للقديسين . هذه كانت حالة مصر آنذاك ، ولكن مع مطلع عام ١٨٠١ م وبعد رحيل الجيش الفرنسي بدأ المصريون يدركون صعوبة حالهم وموقفهم من العالم الذى حركته الثورة الصناعية الأوربية فاستبقى المصريون بعض الفرنسيين ليقوموا بتعليمهم الأصول الحديثة للحضارة ومع بداية عصر محمد على ومنذ عام ١٨٠٥ م تحركت مصر أول خطوة على طريق الحضارة الحديثة حيث أرسل محمد على البعثات إلى فرنسا واستعان بالكثير من الخبراء الأجانب فى كل المجالات لتقوم مصر الحديثة مما جعل المصريون يقدرونه على اختلاف وجهات نظرهم فى كونه غير مصرى ويضعونه فى مصاف القادة العظام إلى الآن .

ثورات مصر الحديثة :

أخذ المصريون أكثر من خمسة وسبعين عاما حتى عام ١٨٨١ م لتقوم ثورة عرابى " هوجة عرابى " التى قام بها الجيش ولم يساندها الشعب نتيجة الخيانة وتضليل وجهل الشعب فى حرمانية قيام الثورة على ولى الأمر ، مما أدى إلى فشلها الذريع كأول ثورة مصرية فى العصر الحديث انتهج قادتها نهج الثورة الفرنسية عند تحدثهم مع الخديوى توفيق عن كون المصريين ولدتهم أمهاتهم أحراراً ولن يستعبدوا بعد اليوم ، ولكن الثورة انتهت باعتقال قادتها ونفيهم . واستمرت حركات الاحتقان منذ حادثة دنشواى التى أثارها الزعيم الشاب مصطفى كامل الذى يعود له الفضل فى نشر الوعى القومى المصرى بموافقة من خديوى مصر آنذاك عباس حلمى إلى أن قامت أول ثورة شعبية للمصريين فى العصر الحديث وهى ثورة عام ١٩١٩ م التى أشرنا إليها فى الفصل السابق والتى أشعل جذوتها الزعيم سعد زغلول

ورفاقه . وقد كانت تبعات ثورة ١٩١٩ م كثيرة ، فخلال عشر سنوات وضعت مصر على قائمة الدول العريقة آنذاك فقد قامت حكومات برلمانية حقيقية ووضع دستور للبلاد عام ١٩٢٣ م وسنت العديد من القوانين التى تتعجب من ليبراليتها وعلمانيتها برغم اعتمادها على الشريعة الإسلامية والتى تكرس الحياة المدنية ، بل وقامت حياة مصرية ثقافية حرة وحياة اقتصادية وطنية وحياة فنية فذة لم يسبق لأى منها نظير فى تاريخ مصر برغم وجود نظام ملكى فاشل ، وانتهت تلك الحقبة تماما بما فيها من حريات وحراكات ثقافية مع معاهدة عام ١٩٣٦ م ، أى أن الثورة استمرت لمدة حوالى سبعة عشر عاما قبل أن تتغلغل بقيود الاحتلال والملكية الفاسدة والصراعات بين القصر والاحتلال .

واستمرت الفترة من عام ١٩٣٦ م إلى عام ١٩٥٢ م بين كر وفر من الشعب والاحتلال والقصر ولكن تنامى دور الجيش الذى بدأ المصريون من الطبقات الشعبية والمتوسطة فى الانخراط فيه بكثرة مع منتصف الثلاثينات وتخرجت من كليته الحربية العديد من الدفعات خلال فترة الحرب العالمية الثانية وتضافرت الرتب المتوسطة والصغرى فى الجيش من نقيب إلى مقدم لتقوم بثورة عام ١٩٥٢ م تحت غطاء من اللواء محمد نجيب الذى يجمع معظم المؤرخين على أنه كان الغطاء التاريخى لصغار الضباط الذين قاموا بالثورة وقد أشرنا إلى ذلك سابقا .

وقد قامت ثورة عام ١٩٥٢ م دون علم واضح من الشعب حيث قام بها مجموعة من الضباط الشرفاء الذين يبغون رفعة شأن مصر وغالبيتهم من الشباب دون الخامسة والثلاثين، وقد كانت الثورة بدون دعم الشعب فى الفترة الأولى ولكنها اكتسبت ثقة الشعب مع الإنجازات التى انعكست على الشعب من قيام الثورة والتي تمثلت فى القضاء على الإقطاع ونشر المساواة والعدالة بين الناس ونشر الوعي القومي المصري الجديد . واستمر ذلك حتى عام ١٩٥٤ م حين قامت الثورة بتصحيح مسارها على يد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فاختارت

الثـورة العدالـة الاجتماعيـة وتركـت الديموقراطيـة ولكنهـا مـع عـام ١٩٦٢م تركت الاثنين لتنجرف مصـر فـى حـروب إقليميـة وصـراعات متنوعـة داخليـة وخارجيـة أدت إلـى تراجـع الـدور المصـرى وانتهـت بهزيمـة عـام ١٩٦٧ م والتـى حـاول النظـام تحسـين صـورتها بتسـميتها نكسة بدلا من هزيمـة حتـى لا يحبط الشـعب المصـرى ويسـتطيع القيـام من عثرتـه وهو مـا حـدث بالفعل فقد تولـدت روح مصـرية جديـدة مـع نهاية عام ١٩٦٧ م اكتشف فيها الإنسان المصـرى قدرتـه العجيبـة علـى الكفاح والمثـابرة خـلال حـرب الاستنزاف إلـى أن تـوفى الـرئيس جمـال عبـد الناصـر عـام ١٩٧٠ م والـذى اعتبـر آنـذاك أول رئـيس مصـرى حقيقى يحكم مصر منذ عصر الفراعنة برغم ما شـاب عهده من غيـاب للديموقراطية وفساد أمنى واضح لكل العيان انتهجته أجهزة المخـابرات بأيدى الشرطة .

ومع نهاية عام ١٩٧٠ م تولى الرئيس محمد أنـور السـادات حكم مصـر واسـتأثر بـالحكم فـى منتصـف مـايو عـام ١٩٧١ م بمـا يسـمى ثـورة التصـحيح ، ولكنـه أيضـا مـن قـام بالانتصـار العظـيم فـى أكتـوبر عـام ١٩٧٣ م وكان انتصاره هو أول انتصار مصرى فى حرب حقيقية منذ حرب التتار منتصف القرن الثانى عشـر حيث أن الحـروب التـى كانـت قبلـه أقـرب إلـى الغـزوات والمناوشـات منهـا إلـى الحـرب الحقيقيـة والحروب الحقيقية لم يقابلها الجيش المصري بل أنه قد انهزم فيها كما حـدث فـى نهايـة عهـد محمـد علـى . وقـد بـدأ الـرئيس السـادات فتـرة ديموقراطية بعد حـرب أكتـوبر استمرت لمدة أربـع سنوات حتـى ينـاير عـام ١٩٧٧ م حيث قامت ثـورة شـعبية فاشـلة هـى انتفاضـة يـومى ١٨ و١٩ يناير عام ١٩٧٧ م ، وقد فشلت تلك الانتفاضـة لعدم وجـود هـدف محدد لها غير مقاومـة الغلاء الـذى فرضـته الحكومـة آنذاك وقد التفت حولها القوى السياسية المعارضـة لتستخدمها لأغراضـها كمـا اسـتخدمها بعض ضعاف النفوس للسلب والنهب كما حدث فى معظم محال شارع الهرم وبعض محلات وسط القاهرة وانتهت تلك الانتفاضـة بـأبلغ الأثـر فى تاريخ مصر الحديث حيث سادت فى مصر أساليب جديدة للأمن لم

تكن قائمة من قبل وكذلك بدأت بوادر الفساد تستشري فى مصر من خلال بطانة الرئيس وحاشيته وأخذت الشرطة فى مصر بوضع مفاهيم جديدة للأمن المصرى يرتبط ارتباطا وثيقا بأمن الرئاسة وليس بأمن الشعب وأصبح أمن النظام هو نفسه أمن الرئيس وأمن عائلة الرئيس مما أدى إلى خلق عداوات من داخل المجتمع ذاته لنظام الرئاسة وانتهت بالرئيس السادات إلى اعتقال كل معارضيه من جميع الطوائف عام ١٩٨٠ م ، ولم يستفد الرئيس من النجاحات التى حققها فى مجال السلام مع إسرائيل ولكنه جنى من تلك الاعتقالات انتهاء حياته بالاغتيال فى أكتوبر عام ١٩٨١ م مما أدخل مصر فى النفق المظلم لحكم قانون الطوارئ منذ عام ١٩٨١ م حتى عام ٢٠١١ م .

ويجب أن نعترف بأن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م كانت من أهم الثورات فى المنطقة العربية بل وفى العالم الثالث حيث ساهمت فى قيام معظم حركات التحرر فى أفريقيا ودول العالم الثالث مما جعل مصر تتبوأ مكانة عالية فى العالم وكانت من طليعة البلاد التى يخاف العالم منها وكونت مع الهند ويوغسلافيا وإندونيسيا بادرة دول عدم الانحياز عام ١٩٥٥ م ولكنها أهملت التطور الاقتصادي المصرى منذ عام ١٩٦٢ م ومع بداية حرب اليمن التى استنزفت القدرات المصرية ولم يكن لمصر فيها من ناقة ولا جمل حتى تدخل فيها بكل ثقلها بطريقة حرب عصابات قام بها اليمنيون أمام الجيش المصرى المسلح الذى لم يعتد على القتال قى النجوع والقرى والجبال مما جعل الحرب تستمر لعدة سنوات دون جدوى تذكر وتفقد مصر على إثرها الكثير من مواردها .

ويجب أن نعترف بأن مصر كانت تحتل مكان الصدارة فى المنطقة العربية والشرق أوسطية حتى منتصف السبعينات فبالرغم من تراجع الصدارة الإقتصادية إلا أن الصدارة السياسية والثقافية والفنية لها عامل كبير أيضا فى أهمية الدولة حيث أن الثقافة والفن والسياسة تشكل جميعها وجدان الأمة ، لأن الأمة العربية بصف عامة تعتمد شعوبها على العاطفة والوجدان أكثر من العقل وقد أشار الكاتب الراحل توفيق الحكيم إلى ذلك فى عدة روايات أهمها "عصفور من

الشرق" حيث أشار إلى أن الشرق يعتمد على مكانة الروح فى الجسم بينما يعتمد الغرب على مكانة العقل فى الجسم . وفى نهاية الفصل نشير إلى أن مكانة مصر الإقتصادية والسياسية وحتى الثقافية والعلمية بدات فى التراجع مع نهاية عصر السادات وبداية عصر مبارك وهو ما سنشير إليه فى الفصل التالى .

الفصل الثانى

الوضع فى مصر قبل قيام الثورة

مع نهاية عام ١٩٨١ م واغتيال الرئيس السادات تولى الرئيس السابق محمد حسنى مبارك حكم البلاد، فقام مفهوم حكمه على نظام الديكتاتور العادل أى التضحية بالديموقراطية فى سبيل العدل ولكنه بدأ حكمه باعتقال كل الناشطين الإسلاميين ولم يعترض الشعب على ذلك خلال فترة حكمه الأولى وحتى بداية حرب الخليج عام ١٩٩٠م، حيث أحس الشعب ببوادر تحسن اقتصادي ملموس على أمل أن يستمر هذا التحسن ويتقدم مضحيا ببعض المفاهيم الديموقراطية والحرية فى سبيل الانتعاش الإقتصادى. وبعد حرب الخليج بدأ ظهور نجم حرم الرئيس وأخذ اسمها يتردد فى المشروعات الاجتماعية مثلما فعلت حرم الرئيس السادات وأيضا كبر أولاد الرئيس وأصبح لابنه الأكبر علاء بعض التداخلات فى المشروعات الاقتصادية البسيطة داخل البلاد وخارجها ولكنه لا يميل إلى السياسة ، أما المهم هو ظهور نجم ابنه الأصغر والأشهر "جمال" فى منتصف التسعينات بعد تداخله مع بعض الوزراء فى أعباء ديون مصر الاقتصادية أثناء عمله المصرفى فى انجلترا ثم استقراره بمصر ومتابعة عملية الخصخصة وساعده فى ذلك وجود رئيس وزراء مصر الأسبق عاطف عبيد الذى فتح الباب على مصراعيه لحرم الرئيس وابنه للدخول من باب السياسة المصرية مع نهاية التسعينات من القرن الماضى وعلمت مصر كلها مع بداية الألفية الجديدة أن هناك مجلس ثلاثى لحكم مصر يتكون من الرئيس مبارك رئيسا وعضوية كل من السيدة حرم الرئيس وابنه جمال ، بل وقد اقترح بعض المتشائمين أن تكون هناك ثلاث جماعات وزارية لكل منهم فبعض الوزراء والمحافظين وكبار رجال الدولة يدينون بالولاء للرئيس والبعض الآخر لابنه والقليل لحرم الرئيس . وقد ظل الجيش على امتداد عهده منذ عام ١٩٥٢ لا يدين إلا للرئيس فقط ولكن الشرطة تغيرت طبيعتها بعد عام ١٩٩٨ مع وصول الوزير حبيب العادلى الذى كان يتولى أمن الدولة من قبل لتهتم بصورة أكبر بالرئاسة ويصبح أمن النظام هو أمن الرئاسة فقط وبالتالى تقاربت مصالح

وزارة الداخلية مع مصالح الرئيس وابنه وأصبحت كل قضايا مصر السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية والفنية والإعلامية بل وحتى الزراعية والصناعية والاقتصادية والتعليمية والصحية لها بعد أمنى ويجب أن تأخذ الإذن من الأمن قبل الدخول فى أى مجال فى أى قطاع مما أعطى انطباعا لدى قطاع الشرطة بجميع طوائفه أنه أهم قطاع فى الدولة وأصبح هو المتحكم فى جميع خيوط اللعبة فى مصر وتعاظمت قدرته ليتحكم فى السلطة التشريعية حيث يقوم بالتزوير ليحدد من ينجح ومن يخسر فى انتخابات مجلس الشعب والشورى بل وتدخل فى التأثير على القضاء من خلال محاكم ونيابات أمن الدولة ومصلحة الأدلة الجنائية والطب الشرعى مستعينا بقانون الطوارئ الذى يتم تجديده منذ عام ١٩٨١م بالإضافة إلى الهيمنة على إدارات مثل الجامعات والحكم المحلى والمحافظين بل وامتد هذا النشاط ليشمل كل من يريد أن يتولى وظيفة فى الدولة ليصل التقرير المسبق من أمن الدولة قبل تعيينه ، كل هذه التدخلات لابد أن تتم بالطبع بموافقة وعلم هيئة الرئاسة .

ولكن الشئ الغريب فى تلك المرحلة هو ظهور نظرية الولاء التام كأساس للاختيار لأى منصب كما سيتم توضيحه لاحقا .

فترة حكم الرئيس السابق حسنى مبارك :

من أكثر الرؤساء والملوك تعاسة وسوء حظ هم من تقوم عليهم الثورة وتنجح ، حيث لا يستطيع التاريخ إنصافهم وبالتالى لا يستطيع أي منهم النجاة من السجن أو الإعدام أو حتى النفى على أفضل حال إن لم يستطع الهرب قبل أن تقوم عليه الثورة ، بل ويمتد هذا الأمر إلى حاشيته وشرطته التى لا تجد من يؤازرها فى فترة ما بعد الثورة .

حيث يصف القرآن الكريم تلك الحالة فى قوله : " قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" آل عمران (٢٦). هذا الحال ينطبق على الرئيس السابق حسنى مبارك الذى نحتاج إلى دراسة

فترة حكمه بشئ من التفصيل لنتبين دوافع قيام زلزال ثورة ٢٥ يناير وتوابعه .
لقد حكم الرئيس السابق حسنى مبارك مصر لفترة تقترب من ثلاثين عاما منذ ١٤ أكتوبر عام ١٩٨١ م إلى ١١ فبراير عام ٢٠١١ م بالإضافة إلى كونه نائبا لرئيس الجمهورية منذ عام ١٩٧٥م ويمكن تقسيم تلك الأعوام التى حكم فيها مصر بالعديد من الطرق كالآتى :
الطريقة الأولى : يمكن تقسيم فترة حكم الرئيس السابق بثلاث فترات عشرية كل عشرة سنوات تقريبا تطورت فيها طبيعة وشكل الرئاسة أى من عام ١٩٨١ م إلى عام ١٩٩٠ م كفترة حكم رشيدة كديكتاتور عادل ثم من عام ١٩٩١ م إلى عام ٢٠٠٠ م كفترة حكم مهتزة ثم الفترة من عام ٢٠٠١م إلى عام ٢٠١١ م كفترة حكم فاسدة لمع فيها نجم الابن جمال مبارك أكثر من نجم الرئيس نفسه .
الطريقة الثانية : يمكن تقسيمها إلى فترتين قبل عام ١٩٩٥ م وبعد عام ١٩٩٥ م أى بعد محاولة الاغتيال الفاشلة التى تمت فى العاصمة الإثيوبية أديسابابا حيث تغيرت طبيعة حكم الرئيس من حكم الفرد إلى حكم المجلس الرئاسى مع ابنه وحرم الرئيس فقد كان الرئيس حتى عام ١٩٩٥ م ينعم بالأمان التام وعدم التفكير بالموت ولكنه أدرك بعد ذلك أنه يمكن أن يموت فى أى وقت وبالتالى تغيرت طريقة التفكير ليحاول إدخال جمال الابن للرئاسة وبدعم من السيدة سوزان مبارك مما أدى إلى الوصول للنقطة الحرجة نهاية عام ٢٠١٠ م بتزوير كامل للانتخابات التشريعية .
الطريقة الثالثة : التقسيم إلى خمسة فترات رئيسية حقيقية كل منها ست سنوات كالتالى :
١- الفترة الأولى من عام ١٩٨١ م إلى عام ١٩٨٧ م
٢- الفترة الثانية من عام ١٩٨٧ إلى عام ١٩٩٣ م
٣- الفترة الثالثة من عام ١٩٩٣ م إلى عام ١٩٩٩ م
٤- الفترة الرابعة من عام ١٩٩٩ م إلى ٢٠٠٥ م
٥- الفترة الخامسة من عام ٢٠٠٥ م إلى عام ٢٠١١ م

ونحن نعتبر التقسيم الأخير هو الأنسب من وجهة نظرنا لأنه يوضح التطور التدريجي للرئاسة فى عهد الرئيس السابق مبارك وهى التى اعتمدنا عليها عند دراسة فترة الرئاسة وطبيعتها .
وتتميز كل فترة من الفترات السابقة بصفات خاصة للحكم الرئاسى للرئيس مبارك وعائلته وطريقة إدارة الحكم واختيار المعاونين حيث يدرك المصريون تماما بأن كل فترة رئاسية لها متطلباتها الخاصة ورجالها.

الفترة الأولى الديكتاتور العادل

من عام ١٩٨١ م إلى عام ١٩٨٧ م .
تتميز تلك الفترة من حكم الرئيس مبارك بالعديد من المزايا عن الفترات الأخرى فقد بدأ الرئيس مبارك بمفهوم الديكتاتور العادل أى أنه لا يهتم بالديموقراطية قدر اهتمامه بالعدل لذلك حاول فى تلك الفترة بعد الاستقرار السلمي مع إسرائيل وضع البلاد على الخريطة الاقتصادية الصحيحة فأقام العديد من المؤتمرات الاقتصادية وكلف رؤساء وزاراته فى تلك الفترة بالتركيز على الإصلاحات الاقتصادية منذ وزارة فؤاد محى الدين إلى وزارة كمال حسن على إلى وزارة على لطفى ، وقد اهتم الرئيس مبارك ووزاراته بتلك الإصلاحات وبالفعل باتت تؤتى ثمارها مع نهاية الثمانينات وانخفضت ديون مصر وأحس الشعب المصري خلال تلك الفترة بنوع من الثبات الاقتصادي وليس الرخاء مما انعكس على تثبيت حكمه .
ونبغت فى تلك الفترة بعض الشخصيات مثل يوسف والى وزير الزراعة الذى فتح الباب للتعاون مع أمريكا وإسرائيل وكمال الجنزورى الذى وضع خطة للإصلاح لمدة عشرين عاما تمتد إلى عام ٢٠٠٣ م والمشير أبوغزالة كوزير للدفاع وعصمت عبد المجيد كوزير للخارجية بالإضافة إلى شخصيات هامة استمرت من حكم الرئيس السابق مثل النبوى إسماعيل وزير الداخلية وكذلك رئيس مجلس الشعب صوفى أبو طالب ثم رفعت المحجوب .

ومن المميزات الكبيرة لتلك الفترة هو انشغال الرئيس التام بشأن مصر من إصلاح إقتصادى والسلام مع إسرائيل ومحاولة الانحياز التام للشعب المصرى بكل قطاعاته واستكمال بناء المجتمعات العمرانية الجديدة فى جميع أنحاء مصر ومراعاة اختيار الوزراء على أساس علمى فنتج عن ذلك أيضا قلة الاحتجاجات لدى فئات الشعب العاملة وبداية نشاط قطاع هام من قطاعات الاقتصاد المهملة هو القطاع السياحي الذى امتد إلى منطقة البحر الأحمر وسيناء وغرب الإسكندرية بعد أن كان مقتصرا على الجيزة والأقصر ، كما بدأ النشاط الصناعى للمدن الجديدة التى خطط لها فى عهد الرئيس السابق أنور السادات مثل مدينة العاشر من رمضان ومدينة السادس من أكتوبر ومدينة السادات وغيرها وكذلك توجه بالإصلاح الزراعى من منطقة الصالحية شرقا إلى غرب النوبارية .

كما تتميز تلك الفترة بعدم وضوح دور السيدة سوزان حرم الرئيس السابق فى أمور الدولة وحتى فى العمل الاجتماعى حتى عام ١٩٨٧م حيث لم تكن لتظهر إلا فى الاحتفالات الرسمية فقط.

أما عيوب تلك الفترة فهى الاستمرار فى قانون الطوارئ وكثرة الاعتقالات خاصة للإسلاميين المتشددين وغير المتشددين مما أدى إلى تنامى دور الشرطة فى القمع، ومع استمرار القمع تدهور دور التعليم العادى والتعليم العالى فى ظل غياب حرية الرأى .

إلا أن أهم عيوب تلك الفترة وهى عيوب خطيرة تتمثل فى التعدى على الأراضى الزراعية التى بدأت فى عصر الرئيس السادات ولكنها فى الثمانينيات تحولت إلى غابة من التعديات أدت إلى ظهور مناطق جديدة فى جميع أنحاء مصر تسمى بالمناطق العشوائية وبدأت تحيط بكل المحافظات وبدأت تؤوى فئات الشعب الفقيرة حيث أن تكلفة السكن فى تلك المناطق منخفضة تتناسب مع الدخول الفقيرة وأصبحت بعض مناطق محافظة القاهرة والجيزة والقليوبية والإسكندرية يقطنها الملايين وبعض أطرافها تتكون من مناطق عشوائية قليلة الخدمات الأساسية والصحية، ففى محافظة القاهرة هناك المناطق العشوائية فى

دار السلام وحول المرج وعين شمس والمطرية وحدائق القبة والساحل والشرابية وغيرها وكذلك الحال بالنسبة لمحافظة الجيزة التى احتوت مناطق مثل بولاق الدكرور والعمرانية وامبابة والمنيب ونفس الحال فى محافظة القليوبية حيث أصبحت منطقة شبرا الخيمة وما حولها يفوق عدد سكانها عدد سكان بعض البلاد العربية وأصبح المثل القائل آنذاك بأن مأمور قسم شبرا الخيمة أو بولاق الدكرور أو البساتين ودار السلام يحكم عددا من الناس يفوق عدد بعض الدول العربية وأصبحت تلك المناطق تسمى فى عرف المصريين بـ" الصين الشعبية " . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل امتدت تلك العشوائيات لتغزو باقى محافظات مصر من الإسكندرية إلى أسوان ومن الإسماعيلية إلى مطروح ولم يستثن من ذلك إلا محافظات سيناء حيث كانت فى مرحلة الخروج من الاحتلال وبداية الإعمار .

ويمكن اعتبار تلك المرحلة مرحلة اختبار الشعب لرئيسه حيث اختبر فيها الشعب قدرات الرئيس ووافقه فيها خاصة أن الرئيس مبارك فتح باب الرزق بلا حدود للمصريين الراغبين للعمل بالخارج دون أى قيد أو شرط فى جميع البلاد العربية حتى المعادية لمصر مثل العراق التى استوعبت أكثر من مليون عامل مصرى خلال فترة الحرب مع إيران وكذلك السعودية والكويت والإمارات وليبيا ، وقد عمل بتلك البلاد أكثر من عشر سكان مصر ولم يعد فى العالم بلد غير الفاتيكان لا يعمل بها مصريون فى أى مجال وبالتالى خرج أكثر من عشر عدد سكان مصر من طابور الخبز المصرى للعمل بالخارج مما ساهم فى تخفيف حدة الديون وظهور بوادر الإصلاح الإقتصادى الناتج عن تحويل مدخرات العاملين بالخارج . وعلى الجانب الأمنى تميزت تلك الفترة باستمرارية وجود المنصب السياسى للجيش متمثلا فى المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة الذى أعطى للجيش قوة تفوق قوة الشرطة لدى عامة الشعب المصرى .

أما فى جانب الشرطة فقد انقسمت تلك الفترة إلى قسمين : قسم ما قبل الوزير أحمد رشدى ويعتمد على عدم استخدام القوة المفرطة إلا فى

المعتقلات مع تطبيق شعار الشرطة فى خدمة الشعب، وقسم يبدأ من الوزير زكى بدر يعتمد على الاستخدام المفرط للقوة مع التعالى والاحساس بهيبة الشرطة وانتقل ذلك إلى الفترة الثانية .

وعلى صعيد الهيئة التشريعية وانتخابات مجلس الشعب فقد كان يشوبها العديد من التزوير حيث يتم التزوير فى بعض الدوائر التى بها وزراء أو رجال كبار من رجالات الحزب الحاكم ، وكان يتم التزوير بصورة كاملة فقط فى الاستفتاءات أو فى انتخابات مجلس الشورى لصعوبة ضبط دوائره المترامية الأطراف ولم يكن أحد من العامة ليذهب للإدلاء بصوته فى الاستفتاءات أو فى مجلس الشورى عادة لأنه معروف نسبتها مقدما وهى ٩٩.٩% من الحاضرين يقول نعم والباقى يقول لا كما كان يعلنها المسئول عن الانتخابات ، ولكن البرلمان آنذاك كان قويا ويضم العديد من الشخصيات المثيرة للجدل داخل الشارع المصرى سواءً من الحكومة أو المعارضة وكان الشعب المصرى يستمتع بجلسات مجلس الشعب والمناقشات بل و"الخناقات" التى تجرى داخله فقد حمل بعضهم الرغيف المدعم وعرضه على المجلس وقام أحدهم بالتشابك مع وزير الداخلية زكى بدر وغير ذلك من المواقف الغريبة التى لم يشاهدها الشعب المصرى بعد سنة ١٩٩٠م .

وقد انتهت تلك الفترة مع نهاية وزارة الدكتور على لطفى تقريبا لتبدأ مصر مرحلة جديدة مع وزارة الدكتور عاطف صدقى .

وقبل أن نترك تلك الفترة نود أن نشير إلى أن الرئيس مبارك أقنع الشعب بأنه رئيس حقيقى ولكنه لم يكن قادرا على إقناع العالم بذلك قبل عام ١٩٩٠ م حيث أشارت السيدة مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا إلى أن فترة حكم الرئيس مبارك ستكون قصيرة جدا ولعدة سنوات ، ولكن للأسف تركت هى رئاسة وزراء بريطانيا بعد كلمتها تلك وتركتنا نحن لرئيسنا لفترة تصل إلى ثلاثين عاما وكذلك فعل الرئيس الأمريكي رونالد ريجان الذى لم يكن مقتنعا تماما بقدرة الرئيس مبارك على حكم دولة كبرى مثل مصر فانضم إلى معسكر مارجريت تاتشر الذى يرى عدم صلاحية الرئيس مبارك للحكم.

الفترة الثانية : أنا الدولة

من عام ١٩٨٧ م إلى عام ١٩٩٣ م

تعتبر تلك الفترة أخصب فترات حكم الرئيس السابق مبارك حيث تغير أسلوب الرئاسة تغيرا جذريا مع نهاية عام ١٩٨٩ م حيث بدأ الرئيس مبارك فى الدخول فى أحلاف سياسية عربية بغرض طرق الأبواب العربية واستعادة مكانة مصر العربية وبالفعل نجح فى استعادة الجامعة العربية من تونس (مرة أخرى تشاركنا تونس فى الجامعة العربية كما شاركتنا فى الثورة) ولكنه لم يفلح فى استعادة العلاقات الكاملة مع الدول الغربية بالرغم من المساعدات التى تقدمها الولايات المتحدة لمصر فى شتى المجالات العسكرية وغير العسكرية آنذاك ولكن مع بداية غزو العراق للكويت فى الثانى من أغسطس عام ١٩٩٠م تغيرت وجهة الرئيس مبارك فقد أدار وجهه للرئيس العراقى صدام حسين واتجه بوجهه إلى دول الخليج من جهة وامتدت يده للدول الغربية لجنى ثمار تأييد الموقف الغربى المتمثل فى تخفيض الديون المصرية من جهة أخرى ، وبالفعل نجح الرئيس السابق مبارك فى ذلك وتقلصت ديون مصر بصورة كبيرة بل وهبطت ثروات الخليج على مصر كمكافأة على موقفها المساند للكويت فى صورة استثمارات متعددة وأحس الرئيس السابق بالقوة وحصافة الرأى مما انعكس ايجابيا على مكانة مصر العربية . وكذلك استفاد الرئيس السابق من زلزال عام ١٩٩٢ م وقدمت العديد من الدول المساعدات لمصر وانضمت تلك المساعدات إلى مساعدات ومنح حرب الخليج لتذوب فى خبايا الدهاليز المصرية الغير معروفة . ولكن هذا التطور فى السياسات الخارجية الذكية بفضل المستشارين السياسيين للرئيس أمثال الدكتور أسامة الباز لم يقابله نفس التطور فى السياسات الداخلية حيث انكفأ المصريون[١١] على البحث عن "لقمة العيش" وأصبح رب الأسرة مضطرا للعمل معظم ساعات اليوم ليلبى احتياجات أسرته ، وبدأ المصريون فى الدوران حول أنفسهم، وبدأت معالم أحادية الرأى والمفهوم لدى

[١١] عادة ما تزيد ساعات العمل للعمال قبل قيام معظم الثورات نتيجة للفقر وعدم وجود عدالة اجتماعية

الرئيس مبارك تظهر ولم يترك الفرصة لأحد لكى يبدى أى نوع من الاقتراحات فقد أصبحت كل الخيوط فى تلك الفترة فى يد شخص واحد أخذها بعنف فكان الرئيس السابق مبارك هو رئيس الحزب الوطنى الحاكم ورئيس المحلس الأعلى للقوات المسلحة بعد إقصاء الوزير القوى المشير أبوغزالة ورئيس المجلس الأعلى للشرطة بعد وصول وزراء داخلية مشهود لهم بالعنف من أمثال زكى بدر وحسن الألفي ، وكذلك رئيس المجلس الأعلى للقضاء ، ولا تتم أى خطوة فى السياسة الخارجية إلا بإذنه، أى أن مصر أصبحت رجلا واحدا قويا هو الرئيس مبارك ومن اللافت للنظر أن الولايات المتحدة شجعته فى ذلك كمكافأة على الموقف من غزو الكويت وأغدقت عليه بالمعونات والاستشارات الأمنية وتغيرت السياسة الأمريكية لتؤمن بنظرية أن المصالح الأمريكية فى يد ديكتاتور متعاون خير منها فى يد ديموقراطية غير متعاونة لذلك غضت الطرف عن الممارسات غير الديموقراطية التى اتسم بها النظام المصرى خاصة مع المتشددين الاسلاميين .

أما اللافت للنظر فى تلك الفترة وخاصة أولها هو بزوغ نجم السيدة الأولى سوزان مبارك فقد بدأت فى الظهور فى الفعاليات الاجتماعية المختلفة خاصة المتعلقة بالطفل والقراءة للجميع والجمعيات الخيرية والأنشطة الثقافية والإعلامية وكذلك ارتفاع مكانة الدكتور زكريا عزمى كرئيس ديوان رئيس الجمهورية ليصبح على درجة أقرب للوزير -قبل أن يصبح وزيرا بالفعل- وبروز أدوار لاعبين جدد فى السياسة المصرية لم يكونوا متواجدين من قبل .

ومع استمرار وزارة عاطف صدقى بدأت عملية الخصخصة فى الاتساع وبدأت مكاسبها تثير اللعاب مما دفع الفئة المحيطة بالرئيس للدخول فى العديد من الاستثمارات الزراعية والعقارية وبدأت فى الظهور بوادر فك الاحتكارات التجارية وإعادة ترتيب الأوراق التجارية لتظهر مافيات جديدة لكل تجارة فهناك مافيا اللحوم والسكر والسلع التموينية والقمح والحديد والأسمنت وحتى السيارات وأصبح

من المستحيل أن تكون وكيلا لأى تجارة شهيرة دون وجود وسيط وموافقة من الجهات الأعلى أيا كانت تلك الجهات التى تعطى مظلة الحماية . ومن الغريب أن تلك الفترة لم تشهد أى نشاط ملحوظ لنجل الرئيس "جمال " حيث كان فى مرحلة التدريب على الأعمال البنكية فى انجلترا من خلال عمله فى بنك أوف أميركا ولكنه بدأ فى الانخراط فى دراسة الاشتراك مع الشركات التى يمكنها أن تتكسب من تحمل مخاطر الديون المصرية بعد بيعها.

أما من ناحية ترتيب البيت فى داخل الرئاسة - حيث تستطيع تلك الهيئة الرئاسية من المحيطين بالرئيس وعائلته تقديم وتأخير التقارير وبالتالي القرارات- فقد كانت تلك الفترة عصيبة جدا حيث شهدت سقوط وصعود العديد من الرجال المحيطين بالرئيس وهو أمر معهود دائما فى شئون الرئاسة ولكنه كان شديدا فى تلك المرحلة حيث كانت الصراعات والوشايات معظمها سياسية وقليل منها صراعات اقتصادية أو صراعات مصالح وترتب على ذلك وصول رجال جدد للرئاسة والمخابرات والحرس الجمهورى، أى أن الوجوه تبدلت لتبدأ حاشية جديدة تنقل وجهات النظر والتقارير للرئيس وعائلته وتتحكم فى وصول تلك التقارير والأخبار، وهو أمر لم يكن مهما قبل ذلك ولكن مع وصول تلك النخبة أصبح أمر شئون رئاسة الجمهورية هو رابع أضلاع المربع الحامل لكرسى الرئاسة وهم الجيش والمخابرات العامة والشرطة وشئون الرئاسة بل وأصبح الضلع الأول لكل من السيدة سوزان مبارك وكل من علاء وجمال مبارك حيث أن أمور الوزراء والحزب الوطني وما شابه لم تكن ذات أهمية فى تلك الفترة لأن الوزراء والحزب ينفذون تعليمات الرئيس مبارك بحذافيرها حيث أن الرئيس مبارك هو الدولة .

الفترة الثالثة : بناء دولة المصالح

من عام ١٩٩٣ م إلى عام ١٩٩٩ م

شهدت تلك الفترة تغيرا شديدا فى سلوك الرئيس مبارك حيث يقر معظم العاملين فى رئاسة الجمهورية والمقربين من الرئيس أن هناك

تغيرا طرأ على الرئاسة مع نهاية عام ١٩٩٣ واختيار كل من المشير محمد حسين طنطاوى كوزير للدفاع و اللواء عمر سليمان كمدير للمخابرات العامة وتربع الدكتور زكريا عزمى على منصب رئيس ديوان رئيس الجمهورية وتعرض الرئيس لعدة محاولات اغتيال سواءً فى أديسابابا بإثيوبيا كما شاهدها العالم عام ١٩٩٥ ونجا منها الرئيس بأعجوبة أو فى بورسعيد كما تصورها أو صورها المعاونون عام ١٩٩٩ م ، وكذلك تعرضت مصر للكثير من الحوادث والمآسى التى أضرت كثيرا بالسياحة .

وقد بدأت تلك الفترة بالانحياز إلى خصخصة شركات مصر الحكومية أو شبه الحكومية وشركات القطاع العام وقطاع الأعمال وقد حاول الدكتور كمال الجنزورى رئيس الوزراء أن يستفيد من خصخصة الشركات الخاسرة ليعيد بناء مشروعات أخرى زراعية سواء جديدة مثل توشكى أو تطوير مناطق مثل النوبارية وغرب محافظات الصعيد أو سيناء أو مشروعات صناعية فى مدن أكتوبر والعاشر والسادات وبرج العرب وشرق بورسعيد وغيرها أو حتى مشروعات عمرانية فى طريق مصر الاسكندرية الصحراوى وشرق وجنوب وشمال طريقي الإسماعيلية والسويس ومشروعات غرب الاسكندرية والساحل الشمالى حتى مطروح ولكنه كثيرا ما كان يصطدم بطموحات رجال الأعمال القريبين من الرئاسة والذين يودون السيطرة على تلك الشركات والأراضى الجديدة والمجتمعات العمرانية الناشئة وقد ترك الدكتور الجنزورى الوزارة فى نهاية تلك الفترة وقد حاول قدر الإمكان المحافظة على مكتسبات الخصخصة ولكنه فشل مع إقصاءه فى نهاية الفترة ، ويحكى عنه كل المصريين بدون استثناء أنه كان آخر رئيس وزراء حقيقى يمكن أن يأخذ قرارات بعد إقناع الرئيس بها ومن كان بعده كان لا يقترح أى رأى ولكن ينفذ ما يملى عليه فقط ، وعلى ذلك فقد اعتبر من أتى بعده من رؤساء الوزارات هو منسق الوزارات.

ولكن ما يميز تلك الفترة هو كثرة الحوادث المأساوية البحرية والحوادث الإرهابية التى أضرت بسمعة مصر السياحية وأهمها حادث

الأقصر عام ١٩٩٨ م والذى تأثر به قطاع السياحة فى مصر لعدة أشهر وأتى بوزير الداخلية الأشهر فى تاريخ مصر وهو حبيب العادلى حيث قام العادلى بتطبيق مفهوم أمن الدولة بمعناه الحرفى لينطبق بصورة كاملة على كل المصريين من جميع الأعمار والفئات وهو ما سيتضح خلال الفترة التالية لحكم الرئيس مبارك حيث أصبح أمن الدولة مثل السافاك الإيرانى أو الجيستابو الألمانى وبدأ فى محاولة تصنيف المصريين أمنيا.

ومن اللافت للنظر فى تلك الفترة هو صعود نجم السيدة سوزان مبارك فى المجالات الإجتماعية والثقافية والإعلامية ولم يعترض الشعب على ذلك فقد كان همها الأساسى حقوق المرأة والطفل والقراءة والثقافة والمعلومات وهى أمور لا تشغل بال المصريين البسطاء الذين يعانون ويقاسون الويل فى الحصول على القوت اليومى وليس القراءة والمعلومات – على أهميتها - وأصبحت مناصب مثل وزير الإعلام ووزير الثقافة ومحافظ القاهرة وأمين المجلس الأعلى للآثار وأحيانا الصحة والسكان لابد أن تدين بالولاء أولا للسيدة الأولى قبل ولاءها للرئيس مبارك بالرغم من أن الرئيس مبارك نفسه هو من اختارهم، ولكنها لم تنجح ولا نعلم لماذا - أو قل هناك العديد من علامات الإستفهام حول ذلك – فى محو أمية المصريين التى كانت من وجهة نظر الكثيرين أهم من الثقافة والقراءة فى تلك المرحلة حيث أنها تصل إلى ما يقرب من ٣٥% من عدد السكان . ويحكى عن تلك الفترة كما ذكر فى وسائل الإعلام [١٢] أن السيدة سوزان مبارك أقنعت الرئيس مبارك بضرورة دخول نجل الرئيس جمال مبارك المعترك السياسي ليكون هو الرئيس القادم وقد اعتقد العاملون برئاسة الجمهورية هذا الاعتقاد مع عرض الكثير من التقارير على جمال مبارك ليقول رأيه فيها أو حتى ليطلع عليها من باب العلم بالشئ أو التدريب، ولم يكن غالبا ليحضر الاجتماعات الرئاسية فى تلك الفترة ولكنه كان قد بدأ فى دور آخر له صبغة اقتصادية تمثلت فى مكاسب كبيرة وفرها له وزير

[١٢] نشرت تلك الأقوال قناة الجزيرة من خلال اعترافات أحد المقربين من الرئاسة فى مارس ٢٠١١م

قطاع الإعمال آنذاك الدكتور عاطف عبيد من خلال مخاطر إئتمان قروض مصر وعمولات رسمية بصفته مصرفيا تدخل فى ضمان تلك القروض ولم تنف الدول الأوربية ذلك لأنها تبيح ذلك للشركات العاملة فى المجالات الإقتصادية ما دامت بطريقة شرعية ولكنها كانت تعترض على الممارسات الإقتصادية لحسين سالم المقرب من الرئيس مبارك وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية التى تغاضت عن اتهامات ضده لقربه من السلطات المصرية آنذاك .

وفى شئون الرئاسة لمع بصورة كبيرة نجم الدكتور زكريا عزمى كرئيس لديوان رئيس الجمهورية بدرجة أكبر فأصبح وزيرا وبالتالى لا يكون له تجديد مع سن المعاش ولأول مرة يصبح هذا المنصب هو أحد المناصب الوزارية مثل مدير المخابرات العامة ولكن لا يكتب قبل منصبه كلمة وزير. وليت التاريخ يسمح لنا يوما ما بقراءة مذكرات هذا الرجل بعد خروجه من السجن ليسجل لنا بدقة ما حدث فى تطور النظام الرئاسى فى عهد مبارك فهو وحده من كان يملك خيوط تلك اللعبة .

وإجمالا يمكن اعتبار تلك الفترة آخر فترة يعيش فيها المصريون قبل الدخول تحت خط الفقر حيث انتهت تلك الفترة والمصريون معظمهم على خط الفقر يعملون لفترات طويلة كى يهربوا من خط الفقر فحدث بناءً على هذا العمل بداية التفسخ الأسرى والجرائم الإجتماعية الناشئة عن بعد الأب عن الإسرة وظهرت جرائم القتل العنيف والذبح والتقطيع والقتل بالسم والخطف والاغتصاب وهى جرائم كانت غائبة عن المجتمع المصرى العادى كما انتشرت المخدرات غير العادية بصورة لم يسبق لها مثيل حيث اعتاد المصريون على "الحشيش والأفيون" ولكنهم فى تلك الفترة لمسوا كل أنواع المخدرات بصورة واضحة كانت تظهر على استحياء فى الفترات الرئاسية السابقة . أما تلك الفترة من الناحية التكنولوجية فقد بدأت مصر فى فقد مكانتها العلمية على المستوى العالمى وأصبحت الدراسة العلمية من الصعوبة بمكان حتى أصبح من يدخلون القسم الأدبى والكليات النظرية يفوق بكثير طلاب

الكليات العملية وبدأ الفساد يستشرى فى مراكز البحوث والكليات بحيث تكاثرت سرقة الأبحاث، بل أن بعض الأساتذة كانوا يفرضون على طلابهم العمل لهم لعدة سنوات قبل الحصول على الماجستير أو الدكتوراة وبالتالي لم تواكب مصر النهضة التكنولوجية العالمية التى أعد لها الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون من خلال نشر الانترنت والبث الفضائى والتحدث عبر الموبايل أو الجوال ولم تحصل جامعاتها على ترتيب هام عالميا.

الفترة الرابعة : نظرية الولاء التام

من عام ١٩٩٩ م إلى عام ٢٠٠٥ م

كل المصريون عاصروا تلك الفترة التى بدأت بتحول أفكار الرئاسة لتعتمد إجراءات جديدة لاختيار المرشحين لأى منصب بداية من الوزير للغفير معتمدة على الولاء وليس على الكفاءة وقد لمسها كل المصريين حيث تم حظر جميع الوظائف الحكومية وحظر الترقيات إلا اعتمادا على مدى القرب والولاء من الرئيس المباشر وامتد هذا الأمر ليصل لحد التوريث فى كل الوظائف وكل المصالح الحكومية وتحولت كل مصلحة إلى ملكية أو "أبعدية" لمديرها أو رئيسها يفعل بها كما يشاء طالما حافظ على الولاء لرؤسائه . وقد بدأت تلك الفترة فى مصر مع البيع المريب لشركات القطاع العام وقطاع الأعمال ليشتريها المستثمرون بأبخس الأثمان ثم يقومون بعد فترة ببيع أراضيها أو تطويرها لتصبح شركة كبيرة حتى أن العديد من المصريين لمسوا قيام بعض مجالس إدارات الشركات بمحاولة دفع الشركات للخسارة ليتم بيعها للمستثمرين بأرخص الأثمان وشاهد المصريون بأعينهم بيع مصانع مثل حديد الدخيلة وشركات الأسمنت وشركات صناعية كبرى وحتى الفنادق الشهيرة بأبخس الأثمان . ولم يكتف البيع بالشركات فقط بل امتد ليشمل الأراضى الزراعية والصناعية بالتخصيص المباشر دون المرور بالقواعد المتعارف عليها فى كل دول العالم للوصول لأعلى سعر للبيع بل وبدأ التحايل على تحويل الأراضى الزراعية التى يتم تخصيصها بأقل من دولار واحد للمتر لتصبح أراضى سكنية فيما

عرف فيما بعد بأنه " تسقيع الأراضى والوحدات السكنية " وحملت تلك الأفكار لأصحابها ملايين الجنيهات وامتد بعضها إلى المليارات لتظهر طبقة جديدة من رجال الأعمال استفادت من قربها من السلطة فى الحصول على الأموال بطرق غير مشروعة وظهرت الملايين فى مرتبات وعمولات رؤساء البنوك ورؤساء الصحف القومية ورؤساء الهيئات وحتى الوزراء والمحافظين ورؤساء الأحياء ووصل الأمر إلى مرتبات ضخمة وعمولات لمديري مكاتب وسكرتارية الوزراء وأصحاب المناصب العليا، وبالطبع ترتب على ذلك نظرا لارتفاع سقف المكاسب أن تقوم تلك الفئة بالمحافظة عليها بمنع دخول دماء جديدة لتلك المنظومة لتستفيد منها ، ويجب المحافظة على مبدأ التوريث أو الولاء التام حتى لا يتم كشف المستور ، وأصبح المصريون كلهم يلمسون نظرية محجوب عبد الدايم فى فيلم القاهرة ٣٠ – المنقول عن رواية القاهرة الجديدة - الذى سوف يتم ترقيته لأنه يعلم خبايا وخفايا رئيسه ويتستر عليها وبالفعل يتم ترقيته كلما ترقى رئيسه – ما أروع كاتب تلك القصة نجيب محفوظ - أى أن مصر عادت لفترة ما قبل ثورة ١٩٥٢ م من فساد الحاشية الذى امتد ليشمل معظم مصالح الدولة . والأدهى من ذلك هو الاستعانة بمنظومة من محترفى " تفتيح المخ " لتتوه القضايا فى دهاليز القضاء إذا تم اكتشافها أو وردت فى تقارير الجهاز المركزى للمحاسبات أو الرقابة الإدارية ، أو الاستعانة بالبلطجية للتخلص من المواقف الصعبة . إذن لقد وضعت مصر فى تلك الفترة على أول طريق الانهيار الكامل .

وأهم ما ساعد تلك الفترة على ظهور الفساد هو بزوغ نجم أمن الدولة بصفة خاصة والداخلية بصفة عامة لتتحكم فى كل المجالات والقضايا وتقوم بتحويلها إلى قضايا أمنية فلا يمكن تعيين مدير لأى مدرسة أو عميد لكلية أو مدير عام أو رئيس لأى مصلحة دون الرجوع إلى تقارير أمن الدولة وامتد الأمر ليشمل الأمن العام والأمن المركزى فقد اتسعت دائرتهم لتحيط بكل المصريين فقد أحيطت جميع الجامعات بأرتال من عربات وجنود الأمن المركزى ترابط بصورة دائمة

وأصبح مشاهدة تلك العربات بجوار الأقسام وفى الميادين العامة من الأمور المعتادة للعين المصرية وأصبح التقييد على المصريين فى كل النواحى الأمنية هو السمة السائدة وتم استبدال شعار " الشرطة فى خدمة الشعب " بشعار هو "الشرطة والشعب فى خدمة الوطن" وأصبح المصريون يتعجبون كيف يخدم الشعب الوطن لأنه بعد الشعب لا يوجد معنى لكلمة وطن، بيد أن حبيب العادلى وزير الداخلية كان يقصد الشرطة والشعب فى خدمة النظام الرئاسى لأن كلمة النظام والوطن ضاقت فى عهده لكى لا تنطبق إلا على الرئاسة فقط .

ولم يكتف حبيب العادلى بذلك بل حاول إجهاد المواطن العادى بإدخاله فى متاهات الأزمات المرورية والقوانين المقيدة للحريات وأصبح رجل الشرطة هو العصا الغليظة للنظام فهو المتكبر المتعالى وهو الذى يقوم بتحصيل غرامات المرور الفورية القانونية وغير القانونية وهو الذى يقوم بتحصيل رسوم استخراج جواز السفر أو بطاقة الهوية أو رخصة القيادة أو شهادة ميلاد وهى فى معظم دول العالم بدون رسوم بل الأدهى من ذلك أن يشاهد كل الشعب تجار المخدرات والبلطجية المعروفين لجميع ضباط المباحث وهم يتركون ليعيثوا فى الأرض فسادا ولا يطبق عليهم قانون الطوارئ . كل هذه الأمور تزايدت حدتها فى الفترة التى تولى فيها حبيب العادلى وزارة الداخلية منذ نهاية عام ١٩٩٨ وامتد الأمر ليصل إلى الانتخابات البرلمانية لتقوم عمليات التزوير على استحياء وفى الخفاء يتم استبدال الصناديق بصناديق المرشحين المطلوب نجاحهم وهكذا تحولت مصر فى تلك الفترة إلى دولة بوليسية حقيقية سمع كل العالم بما يجرى فيها وشاركها فى ذلك تونس وليبيا وسوريا والعراق بصورة واضحة وباقى البلاد العربية بصورة أقل وضوحا .

أما من ناحية الرئاسة فقد بدأ نجم الابن جمال مبارك فى الوضوح وأصبح يضم حوله كل رجال الأعمال المستفيدين من السلطة وأصبح ذا كلمة مسموعة فى الحزب وبدأت صوره تظهر فى وسائل الإعلام المختلفة وكأنه التمهيد الرسمى لتوليه الرئاسة حيث خصصت له

حراسات تفوق الوزراء وتقارب نائب رئيس الجمهورية وليس ابن الرئيس وأصبح يتحدث فى الحزب ومع الشباب ولكنه لم يكن يجيد التحدث ولا يملك "كاريزما" الحكام التى امتلكها والده لذلك كان لابد من تسويقه لدى الشعب فتكونت لجنة السياسات التى رأسها لتضع قوانين وسياسات الحزب الوطنى وقام بإعادة هيكلة الحزب الوطنى ليضم دماءً جديدة تدين له بالولاء التام فبدأ بزوغ نجوم جدد أو تلميع نجوم قدامى واندثرت الوجوه القديمة تماما.

أما من الناحية الاقتصادية فبالرغم من تنامى البورصة المصرية وحتى بداية النمو الاقتصادى فلم تصل إلى المواطن العادى أية إشارة تنبئ بالخير وذلك لعدم وجود عدالة اجتماعية ، بل وزادت على المافيات الخاصة بالسلع والأراضي مافيات جديدة خاصة بالقروض والبنوك تساعد رجال الأعمال على الاقتراض بضمانات وهمية والهرب بالملايين خارج مصر ثم يجرى التصالح بما يضر بالبنوك واستفاد من تلك المافيا وذلك الفساد معظم رجال الأعمال الناشئين المحيطين بالرئاسة وخاصة المحيطين بجمال مبارك فقد أعطيت قروضا كبيرة لرجال أعمال بدون ضمانات حقيقة واضحة وتم إحالة مسئولين متعددين للتحقيق ببنوك متعددة أشهرهم بنك القاهرة وبنك النيل وبنك مصر اكستريور ولكن لم ترجع تلك الملايين حيث أنها قد طارت وهاجرت كما هاجر أصحابها ، كما ظهرت مافيا جديدة تقترب جدا من الرئاسة تحتكر المنتجات البترولية من غاز طبيعى وغاز أنابيب ومنتجات بترولية بل وأصبحت تتم عليها أزمات مفتعلة فيتم تخزينها وبيعها بعد غلاء أسعارها وتطرق الأمر – بدون شواهد ثابتة وواضحة – إلى أقوال وشائعات قد تبدو أقرب للصدق من كثرة ترددها وعدم نفيها عن ظهور مافيا للثروات المعدنية مثل الذهب والمعادن ترتبط أيضا بأشخاص مقربين من الرئاسة بالتعاون مع أشخاص من وزارة البترول . كما حدثت فى تلك الفترة أول المصائب الكبرى فى عدد القتلى وهو حادث قطار الصعيد الذى احترق بمن فيه ليصل عدد القتلى

إلـى المئـات ويـؤدى إلـى اسـتقالة وزيـر النقـل لإرضـاء الشـعب. وإجمالا يمكن اعتبار تلك الفترة هى التـى مهدت لفتـرة الفسـاد الأعظم التالية.

الفترة الخامسة : فترة الانـهيار منذ عام ٢٠٠٦

من عام ٢٠٠٦ م إلى عام ٢٠١١ م

اقتنع كل المصـريين وبـدون أيـة شـواهد بأنـه لـو انكشـف كل الفسـاد فـى تلك الفترة لتعدى التريليون جنيهـا مصـريا (ألـف مليـار) فقد أصـبحت كلمة مليون ومليونير فى تلك الفترة لا تدل علـى الغنـى وأصـبحت كلمـة مليـار ومليـاردير هـى الكلمـة المعتـادة المعبـرة عـن الأغنيـاء وبحسـبة بسـيطة لـو أن هنـاك ألفـا مـنهم لأصـبح معهـم تريليـون جنيـه هـذا هـو ملخص تلك الفتـرة . ونظـرا لأهميـة تلـك الفتـرة فـى كونـها الفتـرة التـى تسبق الثورة فيبنغى تسليط الضوء على كل جزء من مكوناتها ودراسته بصورة مستفيضة حيث أن تلك المرحلة هى مرحلـة التمهيد لقيـام ثـورة ٢٥ يناير لأنـها ضمت كل السلبيات التى توجد قبل كل الثورات من فقر وقمع وفساد مـع عدم وجـود عدالـة اجتماعيـة . وتتضـمن تلـك السـلبيات التى يمكن اعتبارها من دوافع الثورة البنود التالية :

أولا : انتخابات الرئاسة عام ٢٠٠٥ :

بـدأت الفتـرة الأخيـرة لحكـم الـرئيس السـابق بتمثيليـة ديموقراطيـة متقنـة الشخوص والحبكة الفنية فى انتخابات الرئاسة نهاية عام ٢٠٠٥م حيث ألغى نظام الاستفتاء وأصبح رئيس الجمهورية بالانتخاب ولكن مـع مـن سـيتبارى الـرئيس ؟ فلـم يكـن ليتواجـد أحـد مشـهود لـه بالقيمـة حسـب قوانين الترشح للرئاسة حينها إلا أيمن نـور وكانـت تحـوم حولـه وحـول أجندتـه الشـبهات حسـب أقـوال الحكومـة ولـم يـر الشـعب أشخاصـا مثـل عمرو موسى أو الجنزورى أو الجويلى أو أبوغزالـة وجميعهم يقدرهم الشـعب تقـديرا كبيـرا ولكـنهم رأوا أشخاصـا غيـر معـروفين بعضـهم رؤساء أحزاب عدد أعضاءها لم يصل إلـى عدة آلاف ، وطبعـا وحتـى بدون تزوير سوف ينجح الـرئيس مبـارك فـى تلك الانتخابـات وقد فهم الشـعب الفكـرة ، فـالتزوير اليـوم لـيس بالصـناديق ولكـن بالأشـخاص

المرشحين للرئاسة بحيث لا يكون هناك منافس حقيقى للرئيس وبالتالى نجح الرئيس السابق مبارك بالأغلبية المطلقة بنسبة تقارب ٨٨% بل تم التخلص من كل من تحدث بصوت عال وتصور أنه فى انتخابات حقيقية فقد سجن أيمن نور الحائز على أعلى الأصوات بعد الرئيس مبارك بنسبة حوالى ٨% واستبعد نعمان جمعة الحاصل على نسبة حوالى ٣% من حزب الوفد .

وبالتالى أصبح الرئيس السابق أول رئيس منتخب بصورة شبه حقيقية منذ عصر محمد على وبداية مصر الحديثة وإن اختلف الناس فى صحة طريقة الترشيح إلا أنهم اتفقوا بصورة ضمنية على صحة الانتخابات الرئاسية .

ثانيا : الانتخابات البرلمانية عامى ٢٠٠٥ م :

بالرغم من أن تلك الانتخابات تمت عام ٢٠٠٥ م فقد آثرت ضمها لفترة الرئاسة الأخيرة لأنها كانت بداية الانهيار لوصول تحالف المال والسلطة لمجلس الشعب وتغلبه على السياسيين المخضرمين.

فقد أقيمت انتخابات مجلس الشعب تحت الإشراف القضائى وكان من حسن الطالع أن تتم على ثلاثة مراحل خسر فيها الحزب الوطنى فى المرحلة الأولى العديد من المقاعد الهامة فانتبه رجال الحزب وقاموا بالتزوير الواضح فى المرحلتين التاليتين حتى لا تحصل المعارضة على نسبة تتعدى الثلث من أعضاء مجلس الشعب وبالتالى يمكنها أن توقف تدفق القوانين وحدثت مشادات بين القضاء والشرطة نتيجة الإشراف القضائى وتمسك بعض القضاة برفض التزوير .

إلا أن أهم ما فى تلك الانتخابات هو ظهور قوتين جديدتين لم تكن تتضح معالمهما فيما سبق من انتخابات بالرغم من تواجدهما سابقا بالإضافة إلى سقوط قوة الأحزاب السياسية جميعها بما فيها قوة الجزء السياسى للحزب الوطنى الحاكم . وهاتان القوتان هما :

القوة الأولى : وهى القوة الأكبر وهى قوة رجال الأعمال التى غزت مجلس الشعب بعدة طرق القليل منها بالكفاءة والغالبية الأعم بالتزوير و بشراء الأصوات والتبرعات وقد لمس الشعب المصرى وصول قيمة

الصوت فى بعض مناطق بالقاهرة إلى ٣٠٠ جنيه فى انتخابات الإعادة، وانتشرت تلك القوة فى كل المحافظات وإن كانت بصورة أقل فى صعيد مصر وبذلك أصبح أكثر من نصف أعضاء مجلس الشعب من رجال الأعمال وليسوا من السياسيين وقد لوحظ قربهم جميعا من حاشية الرئاسة وخاصة حاشية جمال مبارك فتكونت بذلك قوة جديدة هى قوة رجال أعمال السلطة التشريعية وسقطت بذلك القوة السياسية لكل الأحزاب بما فيها الحزب الوطنى.

القوة الثانية : القوة الأصغر وهى قوة الإخوان المسلمين[١٣] المعارضة بحصولهم على نسبة تقارب خمس الأعضاء المنتخبين فى مجلس الشعب وقد حاولت الحكومة والرئاسة والحزب الوطنى استغلال ذلك فى ترويع الشعب ودول الغرب من وصول الإخوان للسلطة حيث أنهم ذوى أيديولوجيات دينية وسيقيمون دولة إسلامية تشبه إيران وبالتالى يجب التضييق عليهم فى كل المجالات فطالتهم الاعتقالات وصودرت أموالهم وحوصروا فى أعمالهم بطريقة تصورهم على أنهم هم الإرهابيون بعينهم ولم يكن ليجرؤ أى كاتب فى صحيفة أو معلق تليفزيوني على لفظ "الإخوان المسلمين" واستبدلت "بالجماعة المحظورة" ، ولكن الشعب الواعى كان الأذكى فقد انتخبهم وأعلى قدرهم ليس حبا فيهم كما يتصورون بل نكاية فى الحزب الوطنى، ولكن الحزب الوطنى لم يفهم أو لم يحاول فهم ذلك . وكان الصراع فى مجلس الشعب منذ عام ٢٠٠٦م إلى نهاية عام ٢٠١٠م هو صراع غير متكافئ بين هاتين القوتين دون وجود فعلى لكل الأحزاب بما فيها الشق السياسى الحزب الوطنى.

وقد نتج عن مجلس الشعب السابق تمرير التعديلات الدستورية الخاصة بالرئاسة والمقيدة لترشيح أى شخص لمنصب الرئاسة عدا من سيختاره الحزب الوطنى كما تم تمرير كل القوانين والقرارات التى تخدم رجال الأعمال وتم تقسيم وتوزيع أراضى وممتلكات الدولة وحماية التوكيلات التجارية والاحتكارات وتوزيع الشركات الخاسرة

---

[١٣] انظر الملحق رقم ١ الخاص بجماعة الاخوان المسلمين لمعرفة افكارهم لأهميتهم فى المرحلة القادمة .

ليشتريها رجال الأعمال بل والمتاجرة فى قرارات العلاج على نفقة الدولة وزيادة الأعباء على كاهل المواطن العادى بزيادة فواتير الكهرباء والغاز والاتصالات والنظافة وزيادة أسعار المحروقات كالبنزين والغاز والسولار وزيادة الضرائب والاقتطاعات والرسوم القانونية ، كل ذلك كان يتم مع التعتيم الكامل على تقارير الجهاز المركزى للمحاسبات وجهاز الرقابة الإدارية ودفنها فى غياهب مجلس الشعب حيث أن المجلس دائما سيد قراره سواءً بالإحياء أو الدفن ولا وجود لقوانين تحمى الشعب .

ثالثا : حكومة الدكتور احمد نظيف الثانية نهاية عام ٢٠٠٥ م :

حين تولى الدكتور أحمد نظيف رئاسة الوزراء فى منتصف عام ٢٠٠٤ م استبشر العاملون فى مجال المعلومات خيرا بوصوله لكرسي رئاسة الوزارة بعد أن كان وزيرا للاتصالات ولكنهم فوجئوا بدخول بعض الوزراء من رجال الأعمال مما أوحى لكل الشعب أن الدكتور أحمد نظيف ليس رئيس الوزراء بل منسق الوزارات أو مدير الوزارات أما الرئيس الحقيقى فهو جمال مبارك لأن كل رجال الأعمال الموجودين فى الوزارة بينهم إما قرابة أو صداقة وجمعهم الولاء التام لجمال مبارك وبالتالى وقعت مصر ومواردها فى أيدى مجموعة من الوزراء من رجال الأعمال .

وقد كان فى الوزارة الأولى عام ٢٠٠٤ م بعض الوزراء من الوجوه القديمة وكأنها وزارة انتقالية قبل الانتخابات التالية عام ٢٠٠٥ م وهناك غير الفاعلين من التكنوقراط المتخصصين فى مجالهم .

أى يمكن القول بأن الوزراء من غير رجال الأعمال تحولوا إلى خدمة الرئاسة وليس خدمة المواطن فانضموا لقائمة رجال الأعمال ومن لم يرض منهم فقد أقيل فى التعديل التالى نهاية عام ٢٠٠٥ م لكى ياتى بدلا منه الأكثر ولاءً . وفى التعديل الذى تم بعد انتخابات مجلس الشعب فى نهاية ديسمبر عام ٢٠٠٥ م تم إضافة وزراء جدد من رجال الأعمال ، وبالطبع ستجد مافيا رجال الأعمال قد اتضحت فى تلك الوزارة فقد أصبحت تضم أكثر من نصفها من رجال الأعمال أو ممن

لهم شركات أو يساهمون فى شركات تجارية خاصة ، علما بأن أيا من الوزراء لم تتوقف أعماله الخاصة أثناء توليه الوزارة وهو ما دفع جموع الشعب إلى القول بأن حكومة رجال الأعمال بدأت فى تقسيم مصر بالتعاون مع رجال أعمال مجلس الشعب، وبذلك اتحدت سلطة المال المتمثلة فى رجال أعمال السلطة التشريعية (رجال أعمال مجلس الشعب) مع رجال أعمال السلطة التنفيذية (رجال أعمال وزراء) وساندتهم رجالات أمن الدولة المصرية والقيادات الشرطية المختلفة وأصبحت المعادلة الاقتصادية هى :

"رجال أعمال + رجال أعمال = فساد فى كل مجال".

رابعا : الفساد السياسى والاقتصادى والإدارى:

اتسمت فترة الرئاسة الأخيرة للرئيس السابق بوصول الفساد السياسى والإقتصادى والإدارى إلى قمته وتأخرت مصر فى الترتيب حسب قائمة الشفافية الدولية وارتفعت درجتها فى الفساد على مستوى العالم حيث استشرى الفساد فى كل قطاعات الدولة وعلى كل المستويات حتى أنه قلما تجد قطاعاً فى الدولة لا توجد فيه رشوة أو فساد مالى وإداري وقد لمس كل المصريين على اختلاف طوائفهم ذلك الفساد فانخرط معظم المصريين فيه سواءً برضاهم أو بغير رضاهم ولم ينج من ذلك إلا من اعتزل العمل السياسي والتفت لدينه أو من ضيق العمل الاقتصادي على نفسه بمشروعات بها عدد أقل من الأيدى العاملة وبالتالى قلة الاحتياج إلى المصالح من الدولة ، وأصبح الدخول والانتساب للحزب الوطنى ليس حبا فى السياسة بل تقربا من السلطة وذوى النفوذ أو الحصول على الحماية .

وقد اتضح الفساد السياسى والاقتصادى على المستوى الأعلى بدءاً من الوزراء وخاصة رجال الأعمال منهم حيث بيعت ووزعت أراضى الدولة على فئة فليلة من المستفيدين وبعضها بأوامر مباشرة ، واتسعت دائرة الأراضى شيئا فشيئا لتصل إلى ملايين الأمتار المربعة وفى مختلف محافظات الجمهورية واستفاد منها أيضا أعضاء المجالس النيابية والشعبية والمحلية وتضخمت ثروات العاملين بالمحليات لتصل

إلى أرقام خيالية تحتوى على سبعة أصفار فأكثر من الجنيهات وأصبحت الرشاوى بالملايين أو بالمشاركة فى بناء الأبراج والفيلات والقصور أو الأراضي الخاضعة لملكية الدولة وامتلأت ترعة المنصورية وترعة المريوطية وطريق الاسكندرية والاسماعيلية الصحراويين كما امتلأت من قبل مارينا والغردقة بالفيلات والقصور، بل وأصبحت هناك مناطق معينة تتجاوز فيها بعض الفيلات والقصور عشرات الملايين من الدولارات وليس الجنيهات وأصبحت بعض المنتجعات فى البحر الأحمر لا تختص إلا بالمليونيرات وأحيانا بالمليارديرات ولا يستطيع الرجل العادى دخولها أو الاقتراب من أسوارها بل أن بعضها به مهابط للطائرات الخاصة أو بالقرب من مطارات تسمح بهبوط الطائرات الخاصة .

والأغرب من ذلك ظهور " بيزنيس" من أنواع جديدة مثل العلاج على نفقة الدولة فى الداخل والخارج بمليارات الجنيهات سنويا وكذلك ظهرت شركات من أنواع جديدة تحت المسميات القديمة فهناك شركات للأدوية تستورد المنشطات الجنسية - وغيرها !- التى يقوم بتهريبها رجال الأعمال وهناك شركات للسمسرة فى التعيينات الحكومية وغير الحكومية تحت مسميات الموارد البشرية وشركات لتحصيل الديون بالبلطجة تحت مسميات مكاتب الاستشارات القانونية أما شركات التصدير والاستيراد والتسويق العقارى وتقسيم الأراضى وشركات السياحة والعمرة والحج والتايم شير والمضاربة فى الأوراق المالية فحدث عنها بلا حرج فقد تكاثرت إلى درجة أخطبوطية مخيفة وأصبحت كلمة "جروب" تطلق على الشركات المتنوعة والمتداخلة الأغراض التى يملكها رجال الأعمال .

وعلى مستوى شركات رجال الأعمال فقد كانت المنافسة شديدة فيما بينها للفوز باحتكار سلعة ما فتغولت كل شركات ومستوردى كل صنف معين فأصبحت مافيات مثل مافيا اللحوم من القوة بحيث تحتكر – ليس اللحوم فى داخل مصر – بل قبل دخولها مصر فى البلاد المصدرة لها فلحوم البرازيل لها مستوردها ولحوم الهند لها آخر

ولحوم استراليا لها ثالث ولحوم أثيوبيا لها من يغرقها فى البحر ولحوم السودان لها من يصيبها بأفتك الأمراض حتى لا تصل ، وما يقاس على اللحوم يقاس على كل السلع ، وقد شاهدنا بالفعل أحد كبار مافيا الحديد حاول الدخول إلى دهاليز مافيا القمح فما كان منه إلا أن قضى فترة فى السجن خرج بعدها " يدعو " على من دله على طريق القمح ، وبذلك أصبح لكل سلعة رجل أعمال يسمى الحوت .

أما على مستوى الطبقة المتوسطة فقد أصبحت هى وقود الفساد فانقلب حالهم ليصبحوا مع طبقة الفقراء بما يرزحون من أعباء اقتصادية جديدة تبدأ من الرسوم الشهرية للكهرباء والغاز والمياه والنظافة والتليفون والعلاج ثم رسوم الدروس الخصوصية الناتجة عن صعوبة المناهج الدراسية ثم أعباء السيارات من ارتفاع أسعار المحروقات وزيادة رسوم المرور والضريبة ، وبالتالى بدأت تلك الطبقة فى التآكل والانقراض لتنضم إلى الطبقة الفقيرة فتحولت مصر إلى ثلاث طبقات اثنتان منهم من الأحياء وثالثة فى عداد الموتى ، فالطبقة العليا فى حدود ٥% من السكان تملك كل شئ وتستحوذ على ٨٠% من الدخل القومى المصرى وطبقة دنيا من محدودى الدخل فى حدود ٧٥% من السكان لا تملك الكثير[١٤] ولكن تكدح وراء لقمة العيش بصورة يومية وبدخل متوسط يكاد يقيم الحياة غير السليمة – أقل من ثلاثة دولارات يوميا للفرد[١٥] - وتملك فى حدود ٢٠% من الدخل القومى وبالتالى انضم معظم المصريين لتلك الطبقة التى جعلت من رب الأسرة آلة دائمة العمل بعدد ساعات يصل إلى ١٨ ساعة يوميا لكى يحقق لأسرته الوقوف على أول طريق الحياة ، أما باقى السكان وهم طبقة الموتى بغير قبور فهم فى حدود ٢٠% ولا ينتمون للطبقات أصلا لأنهم ميتون

---

[١٤] أشارت تقارير التنمبة البشرية للأمم المتحدة وتقارير البنك الدولى للأعوام من ٢٠٠٤ إلى ٢٠٠٨ إلى أن ٢٠% من المصريين يملكون ٨٠% من الدخل القومى وبالتالى يوجد ٨٠% من المصريين يملكون ٢٠% من الدخل القومى مما يعنى قلة العدالة الاجتماعية واستشراء الفساد . ولكن الوضع تغير عامى ٢٠٠٩ و ٢٠١٠ ليقل الرقم عن ٢٠% ..

[١٥] فى حالة حساب دخل الأسرة المكونة من أربعة أفراد فهو فى حدود ١٢ دولار يوميا أى ٦٨ جنيها يوميا أى حوالى ٢٠٠٠ جنيها شهريا وهذا هو خط محدودى الدخل العالمى الذى يستوجب منحة حكومية وبالتالى يوجد ٧٥% من السكان ممن هم دخلهم يساوى أو يقل عن هذا الدخل الشهرى.

واقعيا فى غياهب العشوائيات والقرى والنجوع على مستوى الجمهورية – بل أن بعضهم سكن القبور فعلا - ولا يمكن بأى حال ضمهم لطبقة الفقراء لأنهم معدومو الدخل يقضون معظم يومهم فى طابور الخبز أو فى التسول بأى صورة ويفرحون بقدوم شهر رمضان والدخول فى موائد الرحمن المجانية وينتظرون من بائعى الدجاج الحصول على هياكل الدجاج العظمية أو من الجزارين الحصول على العظم لكى يتم طبخه ويذهبون لسوق الخضار فى نهاية اليوم للحصول على الخضروات المجانية الملقاة على الأرض، وليس هذا الكلام من باب التندر أو الكلام فى الهواء ولكنه حقيقي شاهده كل من عاش فى كل المناطق الشعبية فى القاهرة والجيزة والقليوبية والإسكندرية ومعظم المحافظات المصرية فلأول مرة فى مصر خلال الخمس سنوات السابقة تباع أو تعطى مجانا للفقراء هياكل ورؤوس الدجاج بعد أن كانت تعطى لمنتجى الأعلاف بأسعار شبه مجانية. وإذا أردت أن تتحدث عن الفساد السياسى والاقتصادي والإداري فى مصر فسوف تكتب من الكتب و المجلدات ما يملأ ميدان التحرير عن آخره بدلا من المتظاهرين ، لذلك سنتكتفى بهذا القدر .

خامسا : الفساد الأمنى:

مررنا سابقا على مظاهر الفساد الإداري والاقتصادي والسياسى فى الدولة لكننا خصصنا هذا البند للفساد الأمنى لأنه كان أحد الأسباب الهامة لقيام ثورة ٢٥ يناير. وإذا نظرنا للناحية التاريخية لهذا الفساد سنجد أنه كان متواجدا قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو فى صورة البوليس السياسى ثم تطور مع ثورة ١٩٥٢م ليكون القمع من خلال تنفيذه لقرارات المخابرات مع نهاية الستينات إلا أنه تغير تماما مع وصول اللواء النبوى إسماعيل كوزير للداخلية وقيام انتفاضة ١٨ و ١٩ يناير عام ١٩٧٧ م . حيث كان من الدروس المستفادة من تلك الانتفاضة هو الحاجة إلى زيادة أعداد قوات الشرطة لتقوم بدور جديد يتعدى مفهوم الدفاع المدنى القديم وساعده فى ذلك أمران : الأول هو موافقة الرئيس السادات على قمع كل معارضيه فى نهاية حكمه عام ١٩٨٠ م والثانى

هو استيعاب الشباب من غير المتعلمين الذين سيرفضهم التجنيد فـى القـوات المسـلحة بعـد تحديـد عـدد القـوات حسـب معاهـدة السـلام وتفضيل القوات المسلحة للمتعلمين الحاصلين علـى الشـهادة الإعداديـة علـى الأقـل، وبالفعـل بـدأ مفهـوم التوسـع فـى اسـتيعاب قـوات للأمـن المركزى من المجندين يعملون فى كل المجالات الشرطية من أمن عـام وحراسات للمنشآت إلى تنظيم المرور بالإضافة إلى فض المنازعـات والمظاهرات، ونظرا لتزايد عدد المجندين فقد استحدثت وظيفـة جديـدة هـى أمين الشـرطة وتـم زيـادة عـدد المتطـوعين المطلـوبين وكـذلك زاد عدد ضباط الشرطة الذين يقومون بالإشراف على هذه الأعداد الكبيـرة.

وبعد اغتيـال الـرئيس السـادات ووصـول الـرئيس السـابق مبـارك للحكـم وفى ظل هذه الأعـداد الكبيـرة المتناميـة مـن الجنـود والأمنـاء والضـباط وضـباط الصـف علـى مـر السـنين بـدأ وزراء الداخليـة فـى توظيفهـا فـى مجالات أخـرى اتسـعت مـع اشـتداد قـوة الجماعـات الإسـلامية المتشـددة ومـع تغلغـل الشـرطة فـى قطاعـات مثـل التعلـيم الجـامعى والحراسـات الخاصـــة للشـــركات والبنـــوك الحكوميـــة والخاصـــة وهنـــا بـــدأت هيبـــة الشرطة وذراعها القوى فى الظهور بقوة فى كل مكان .

وبعـد انتشـار تجـارة المخـدرات بصـورة غيـر مسـبوقة فـى منتصـف الثمانينـات وظهـور حالـة التمـرد عـام ١٩٨٦ م فـى معسـكرات الأمـن المركـزى والتـى أدت إلـى القضـاء علـى آخـر وزيـر للداخليـة يتسـم بالتواضع وهو اللواء أحمد رشدى ، تغير مفهوم مصـر الأمنـى ليشـتد عود فرع من فروع الأمن فى مصر وهو أمن الدولة وأصبح من يتولى هـذا الجهـاز بمثابـة رئـيس أركـان وزارة الداخليـة أو مـن يلـى مـدير المخـابرات العامـة والعسكرية فـى الأهميـة وأخـذ الجهـاز يرصـد كـل الحركات فى مصر من إرهاب إلى مخدرات إلى جامعات إلى اقتصـاد إلـى سياسـة وأصـبحت تقـاريره تمتـد لتشـمل كـل المجـالات وأصـبح لـه عيون فى كل مكان فى مصر وأصبح راصدا لكل التحركات الإسلامية العاديـة منهـا والإرهابيـة فـى كـل محافظـات مصـر وأصـبح لـه عـين حاضرة فى كل مسجد وكنيسة وكلية وجامعة بل وحتى المدن الجامعيـة

وتجمعات الطلبة خارج الجامعة ووصل كذلك إلى المصانع والشركات الكبرى كما فى مصانع المحلة أو مصانع حلوان وتغلب عليه الهاجس الدينى والسياسى أكثر من الهاجس الأمنى البحت المتمثل فى الأمن الداخلى للدولة [١٦] لذلك قام بنجاح فى وأد معظم العمليات الإرهابية ولكنه ترك الكثير من مهربى المخدرات ليفترسوا الشعب فى الفترة الثانية والثالثة لفترة حكم الرئيس السابق مبارك وليس ذلك عن موالسة بل عن عدم اهتمام بهذا الجانب وتركه لإدارات أخرى خاصة بالمخدرات والمباحث العامة، وظهر ذلك بوضوح بعد نجاة الرئيس من محاولة اغتياله عام ١٩٩٥ م حيث تحولت كل قضايا مصر إلى قضايا أمنية.

أما العلامة الفارقة فى تغيير المفهوم الأمنى الجديد فى مصر فهو حادث الأقصر عام ١٩٩٨ م حيث تم عزل اللواء الألفى واستبداله برئيس مباحث أمن الدولة آنذاك والذى تنبأ بالحادثة قبل وقوعها وهو اللواء حبيب العادلى ، ومع وصول العادلى لكرسى الوزارة طغى مفهوم أمن الدولة على مفهوم الشرطة العادية وزاد تغلغل الشرطة فى كل مكان فى مصر وأصبح جهاز الأمن العام وأمن الدولة هو من لديه كل التقارير عن كل المصريين توضع تحت يد من يطلبها من أولى الأمر بإذن الرئاسة . ومع هذا التغلغل أصيب رجال وضباط الشرطة بالكبرياء والتعالى على عامة الشعب فهم من يملكون كل خيوط اللعبة وهم من يقابلهم المواطن العادى بصورة غير عادية تزيد عن الاحتكاك الذى يقابله الرجل العادى مع الشرطة فى أى دولة فى العالم، فرجل الشرطة يبدأ معك فى الصباح فى المرور وقد تضطر لدفع الغرامة المالية إن خالفت القواعد أو لم تخالفها وهو الذى تشاهده فى كمين فى كل الميادين وحول كل أبواب الجامعات وعند مدخل كل هيئة أو بنك حكومى أو غير حكومى ورجل الشرطة أيضا هو المصاحب لرجل التموين ورجل الصحة والطب البيطرى ورجل المصنفات الفنية

[١٦] نظرا لوجود تقارير فى أمن الدولة تمس جوانب حساسة وشخصية لبعض التيارات فقد قام جهاز أمن الدولة بحرق وإتلاف ملفات " سرى للغاية " وبعض ملفات " سرى جدا " مما عرض رئيس الجهاز للمساءلة القانونية.

ورجل التأمينات فى كل حملاته التى يقوم بها والتى تنتهى عادة بدفع رشوة لكى يتم التغاضى عن المخالفات ويظن دافع الرشوة أن رجل الشرطة موالس مع رجل الحملة المشار إليه سابقا وقد لا يكون كذلك ، وفى نفس الوقت يترك مروّج المخدرات و" البلطجى" المعروف فى كل شارع ومنطقة يعيش طليقا تحت حماية غير معلنة من ضباط مباحث كل قسم تحت دعوى "عدم وجود دليل" ولا ينطبق عليه قانون الطوارئ . كل هذه الصدامات التى يقابلها الشخص العادى يوميا مع الشرطة بالإضافة إلى الأكمنة التى تقوم بها الشرطة على الطرق السريعة وغير السريعة مما يؤدى إلى تعطيل المرور تجعل الرجل العادى يزيد من حنقه على رجل الشرطة . أما ما يحدث داخل قسم الشرطة فهو يفوق الوصف حتى أن الناس فى تلك الفترة كانوا يؤثرون ضياع حقوق هم على التوجه للقسم للإبلاغ عن مخالفة أو ضرر لأنهم يعرفون مقدما أنه إن لم يكن لهم " واسطة أو معرفة " فى ذلك القسم فسوف يهانون أو تضيع حقوقهم بصورة مؤكدة ، وهنا لم يعد يشعر المصرى بعد عام ١٩٩٩ م بأى أمان مع وجود الشرطة التى هى مخصصة للأمان وأصبح البعد عن أى التقاء بالشرطة هو قمة الأمان عند المصرى العادى ، وكلنا عاصر تلك الفترة التى كان يتم إنزال من له لحية من كل وسائل المواصلات ويتم ضربه أمام العامة وأخذه فى سيارة الشرطة . ولو أنك عزيزى القارئ تصورت حال ذلك الرجل أو من هو أشد منه من السلفيين [١٧] بعد الثورة فماذا تظن أنه فاعل بنا جميعا ؟ أترك لك الإجابة فهى ليست بحاجة إلى حكم تاريخى ، وإذا أردت أن أساعدك فى الإجابة –" أغششك " - فلسوف تشاهد بعد الثورة ولمدة طويلة نتيجة لانتزاع الخوف من القلوب بعد الثورة ما لم تشاهده من قبل فلسوف تهاجم أقسام الشرطة والسجون ويهاجم رجال الشرطة حتى فى بيوتهم إن علم أماكن سكنهم ممن قاموا بالتعذيب وأيضا ستهاجم الكنائس ودور عبادة الأقليات وحتى المساجد التى بها قبور بالإضافة إلى محال البيرة والخمور تحت أى سبب

[١٧] انظر الملحق رقم ٢ الخاص بتعريف السلفيين والاقتراب من مفاهيمهم الدينية .

وسيغتال العلمانيون بحجة كفرهم وستضرب النساء المتبرجات فى الشارع . كل هذا يمكن أن يحدث – وقد يحدث بصورة أقل عنفا- كرد فعل على فساد الشرطة خلال الفترة السابقة كما حدث فى فترة السبعينات التى حدث فيها ذلك بالتفصيل منذ عام ١٩٧٢م .
أما ما يحدث فى الانتخابات وعلاقتها بالفساد الأمنى فسوف نتحدث عنه بالتفصيل فى البند التالى . ولكن كل تلك الأمور ولدت عند رجل الشرطة الكبر والتعالى وولدت عند الرجل العادى الحنق والغيظ المكبوت المكتوم لينتظر من يخرجه وقد أخرجته جمعة ٢٨ يناير ٢٠١١م حيث هوجمت معظم أقسام الشرطة وتم حرقها كما هوجمت السجون وتم تهريب المعتقلين منها وتم حرق العديد من مقار مباحث أمن الدولة بل وامتد الأمر ليصل إلى مديريات الأمن فى العديد من المحافظات والأدهى هو محاولة الوصول لوزارة الداخلية نفسها فى القاهرة ولم ينقذها سوى تدخل الجيش .

سادسا : الحركات و الاحتجاجات بعد عام ٢٠٠٥ م :

انتشرت الحركات والاحتجاجات التى لم يسمع عنها الرجل العادى وكانت تكتب عنها بعض صحف المعارضة وبعض مواقع الانترنت منذ عام ٢٠٠٥ م فقد ظهرت حركة " كفاية " التى تطالب الرئيس بالرحيل وتضافر معها بعض الأحزاب مثل حزب الغد والحزب الناصرى والجبهة الوطنية وحزب الكرامة وشباب الأخوان المسلمين وبعض الناشطين السياسيين ثم ظهرت حركة ٦ ابريل ٢٠٠٨ م التى بدأت بعد انتفاضة المحلة الكبرى والإضراب العام الذى شارك فيه كل المثقفين المصريين والأحزاب المصرية للتعبير عن رفضهم للحكومة والممارسات الأمنية الزائدة ، وتعتبر تلك الحركة يوم ٦ ابريل عام ٢٠٠٨ م هو أول يوم حراك جماعى عبر الانترنت أو الواقع الافتراضى اشترك فيه كل فئات المثقفين والأحزاب وشباب الإخوان لتجربة التعبير الجماعى ونقله من الواقع الافتراضى عبر الانترنت إلى الواقع العملى الحقيقى ، وقد حاولوا تكرار ذلك فى كل يوم ٦ ابريل عام ٢٠٠٩ م و٢٠١٠ م بنجاح أقل مما حدث فى عام ٢٠٠٨ م ولكن

تلك التجربة كانت التجربة التمهيدية لما سيحدث فى الثورة من انتقال من واقع تخيلى يختفى وراء شاشات الكمبيوتر إلى واقع حقيقى فى الشارع [١٨] ، كما انضم لهم أستاذة الجامعات الذين أسسوا حركة ٩ مارس ، ولكنهم وللأسف فى كل مرة لا يلاقون من الأمن إلا كل عنف كما حدث فى الاسكندرية والقاهرة والمحلة يوم ٦ ابريل عام ٢٠٠٨ م فقد تم القبض على العديد ممن نظموا تلك الحركات وأظهر الأمن العصا الغليظة التى تمثلت فى الضرب وحتى التحرش بالنساء والبنات المشتركات فى التظاهرة على يد من يرتدون الملابس المدنية من رجال الشرطة حتى لا يعودوا مرة أخرى بحجة أن لهم أجندة خارجية حيث أن بعضهم قد سافر للخارج لحضور مؤتمرات للحريات فى عدة دول غربية وقد يحمل أجندات خارجية يريد تنفيذها فى مصر حسب رأيهم آنذاك .

واستمرت تلك الاحتجاجات ولكنها زادت كثيرا عام ٢٠١٠ م وتحولت إلى اعتصامات من كل فئات الشعب من صحفيين لمحامين لأطباء لعمال مصانع وحتى لأناس عاديين ذوى مشاكل عائلية وكانت تلك الاعتصامات تتم أمام مجلس الشعب ودار القضاء العالى ومجلس الوزراء فى مناسبات متعددة وأيضا أظهر الأمن عصاه الغليظة للمعتصمين والمحتجين ولم تحاول الحكومة فهم مغزى تلك الاعتصامات التى خلع منفذوها ملابسهم الخارجية وبقوا بملابسهم الداخلية وظنت الحكومة انها مجرد مطالبات بزيادة الحد الأدنى للأجور ولكنها لم تدرك انها شذرات نار تحت الرماد تنتظر من يؤججها لتشتعل الثورة .

سابعا : حادث غرق العبارة عام ٢٠٠٦ م :

فى واحدة من أكبر الكوارث المصرية خلال العصر الحديث كانت حادثة غرق العبارة المصرية بعد اختفاءها يوم ٢ فبراير من عام

[١٨] هناك شائعات تتردد منذ عام ٢٠٠٨ م عن تدريب بعض قادة تلك الحركة بالولايات المتحدة وهو ما نفته الحركة وكانت تؤكده دائما مباحث أمن الدولة وهذا الأمر قد يكون غير حقيقى لأن الولايات المتحدة تحاول دائما التعرف على كل التحركات التى تتم فى البلاد المؤثرة مثل مصر وبالتالى فهى تدعو تلك الحركات لتعرف كل شئ عنهم فمن غير المنطقى أن تقوم الولايات المتحدة بعمل ما ضد حليفها الرئيسى الرئيس مبارك .

٢٠٠٦ م وعلى متنها أكثر من ألف وأربعمائة شخص غرق منهم أكثر من ألف شخص وتم العثور على مكان غرقها صباح اليوم التالى وانقاذ أقل من ثلث ركابها.
أما ما أحزن المصريون فهو الفساد الذى اتضحت معالمه فى قيام تلك السفينة بالتحميل الزائد للركاب والبضائع وحتى السولار بالإضافة إلى عدم وجود وسائل إنقاذ سليمة مصاحبة للسفينة بالرغم من أنها تم التصريح لها باستمرار العمل على الخط الملاحى البحرى بين ضبا السعودية والغردقة المصرية ، ولكن المصريين اكتشفوا بعد ذلك أن مالكها وهو صديق مقرب لأحد أفراد الرئاسة - وربما صديق من هو أعلى منه - كانت تعطى له التصاريح الملاحية بدون تطبيق قواعد السلامة البحرية مما أدى إلى ارتفاع عدد الغرقى ليصل إلى أكثر من ألف شخص بالرغم من عدم بعد المسافة التى تصل إلى حدود ٩٠ كيلومترا فقط يمكن بسهولة أن تقطعها سفن الانقاذ أو الطائرات فى أقل من ساعة إن علمت بغرق السفينة بسرعة ، ولكن لم تصل إشارة الاستغاثة ولا وسائل الانقاذ بالسرعة المطلوبة فتركتت الجثث لأسماك القرش التى توحشت من الفتك بتلك الجثث.
ولم يقف أمر الفساد على غرق العبارة ولكنه امتد ليصل إلى اعتبار تلك الحادثة وهذا التقصير "جنحة وليس جناية" ثم امتد الفساد ليسمح بهروب مالك العبارة ورئيس مجلس إدارة الشركة الملاحية إلى لندن فى تحد خطير وغريب لمشاعر الشعب المصرى الذى رأى أمام عينيه وسمع بأذنيه أحد أقطاب الرئاسة وهو يدافع عنه مما كان له الأثر الكبير فى فقد شعبيته ، وهرب مالك العبارة وترك للشعب المصرى مرارة الكأس الذى تجرعه ليزيد الاحتقان خلال الفترة الأخيرة لحكم الرئيس السابق مبارك .

ثامنا : عودة البرادعى :

مع نهاية عام ٢٠٠٩م قام الدكتور محمد البرادعى بإلقاء أكبر حجر فى البحيرة السياسية المصرية الراكدة حيث أعلن نيته الترشح لانتخابات الرئاسة فى مصر عام ٢٠١١ م وقد أحدث هذا الحجر هزة

كبيرة فى الحياة السياسية المصرية حيث وجده بعض المصريين أنه هو " المخلص " القادم من مسلسل التوريث الذى يدار فى مصر وبالتالى أحس الحزب الوطنى بثقل تلك المهمة مع هذا الهبوط المفاجئ "بالبراشوت" على كرسى الرئاسة من حائز على جائزة نوبل فى السلام وحاصل على قلادة النيل والمدير السابق لوكالة الطاقة الذرية والمعروف فى كل العالم بمناوراته السياسية بين إيران ومن قبلها العراق وكوريا الشمالية من جانب والولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية من جانب آخر ، وهنا أدرك الحزب الوطنى أنه ينبغى محاربته بكل الوسائل الشريفة وغير الشريفة وامتدت الحرب على صفحات كل الجرائد الحكومية واتسعت لتسفه من مكانته الدولية بل وتتهمه بحصوله على جنسيات أخرى ولكنه كان فى فترته الأولى يقف صلبا مقتنعا ومقنعا بأنه مصرى ومن أب مصرى كان نقيبا للمحامين أوائل الستينات من القرن العشرين وهمه الشاغل الآن هو تحرير مصر من براثن التخلف وأمله الكبير فى الشباب ويثق فى جموع الشعب المصرى لتقف وراءه ، والحقيقة أن جموع الشعب خذلت هذا الرجل فلم ييأس وأسس الجمعية الوطنية للتغيير التى ضمت مئات الألوف من المثقفين خلال عدة أشهر لدرجة أن دولة الكويت ألغت عقود بعض من ساندوا البرادعى وأعادتهم إلى مصر فى سابقة لم يكن لها مثيل فى العالم ، ولكنه لم ييأس بل تحالف مع كل القوى السياسية ليستمر هذا الحراك ولكنه كان كثير السفر لإلقاء المحاضرات أو لقاء الجاليات المصرية فى الخارج مما أضر كثيرا بتحالفه ولكنه فى النهاية تحالف مع الإخوان المسلمين فتطورت الجمعية الوطنية للتغيير واجتذبت مليون مشترك على الانترنت وهو أكبر رقم تصل إليه مجموعة مصرية آنذاك حيث تجاوزت مجموعة "كلنا خالد سعيد " مما ساهم بنسبة كبيرة فى قيام ثورة ٢٥ يناير . ولكن فى النهاية اضطرت الجهات المعادية له إلى توجيه ضربات له "تحت الحزام" تخص أسرته وابنته وموقفه من العراق مما اضطره إلى السفر لفترات أطول حين أحس بأن الشعب المصرى يحتاج لشئ أكبر لتحريكه .

تاسعا : "كلنا خالد سعيد" المفجر الحقيقى للثورة :

فى ٦ يونيو ٢٠١٠ م قتل خالد محمد سعيد صبحى عن عمر يناهز ٢٨ عاما فى منطقة سيدى جابر بالإسكندرية وتختلف الآراء فى طريقة وسبب وفاته ولكن أقربها للصدق أن اثنين من المخبرين التابعين لقسم الشرطة هجما عليه فى مقهى انترنت وقاما باحتجازه وضربه مما أدى إلى إصابته إصابات بالغة ، وكل ذلك تم أمام أهل منطقته وقد حاول الاستنجاد بهم فلم يستطيعوا أن ينقذوه وأخذه المخبران وعادا به بعد عدة ساعات على وشك الموت ومنعوا الإسعاف من نقله حتى يموت ثم ألقوه فى مكانه ميتا عبرة لمن يقوم بالتشهير بالشرطة ، حيث ظنوا أنه وراء الفيديو المسرب على الانترنت عن قيام الشرطة بضبط كمية من المخدرات وتوزيع جزء كبير منها على الذين قاموا بضبطها من رجال الشرطة و"تحريز" المتبقى من الشحنة على أنها هى الكمية التى وجدت ، وعند قراءتى لتلك القصة بعد أيام من حدوثها تأثرت بها وتابعت القضية التى ظن كل المتابعين لها معى أن الطب الشرعى قد جانبه الصواب فى تقريره عن ابتلاع خالد لفافة بانجو وهى التى أدت إلى اختناقه ثم محاولة الضغط على من شاهدوه لكى يغيروا أقوالهم وبالتالى حفظت القضية ، ولكن المظاهرات والاحتجاجات قامت من كل الطوائف أمام تلك القصة حيث اعتبرت كل الحركات السياسية أن خالد سعيد هو شهيد قانون الطوارئ واضطر النائب العام إلى إعادة التحقيق مرة أخرى وتم القبض على المخبرين ولكن لم يثبت عليهما أى دليل على قتله وتم تأجيل القضية عدة مرات حتى قامت الثورة .

أما تلك القصة فقد تأثر بها المصريون واعتقد الكثيرون أنها المفجر الأساسى لثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ م فهى تذكرنا بالقصص الشعبية والدينية وإنى أعتذر مقدما إن قارنتها من ناحية تقبل الناس لما بعد القتل لما حدث عند شهادة الإمام الحسين رضى الله عنه – وعذرا مرة أخرى فلا يمكن أن تتم المقارنة بين الإمام الحسين رضى الله عنه وخالد سعيد – ولكن بعد موت الإمام الحسين أحس أهله ومتبعوه فى العراق أنهم لم يناصروه فى حربه وتركوه وأثروا السلامة مما أدى

إلى استشهاد الحسين فندموا أشد الندم بعد ذلك ، وأظن ذلك ما حدث مع خالد سعيد حيث علم معظم أهل الإسكندرية بالقصة وأحس أهل منطقته أنهم لم يساندوه حينما استنجد بهم قبل أن يقتله المخبران حسب رواية من شاهدوه وبالتالى حدث احتقان زائد لدى أهل الإسكندرية وانتقلت مصر وكل القوى السياسية إلى منزل والدة خالد سعيد وتحول الشارع الذى تقيم فيه إلى شارع سياسى قبل قيام الثورة بفترة قصيرة . أما ما جعل تلك القضية هى العامل الأول فى تفجير الثورة فهى كونها نقلت بالفعل إلى كل شباب مصر بعدما قام مجموعة من الشباب برئاسة وائل غنيم - الناشط الشبابى ومدير التسويق بشركة جوجل الأمريكية للشرق الأوسط- بإنشاء أشهر جروب مصرى على موقع فيس بوك سموه باسم " كلنا خالد سعيد " أوضحوا فيه للشباب أنه يمكن أن يحدث لأى منكم ما حدث لخالد سعيد وينبغى أن يقف الشعب المصرى كله فى وجه الظلم والقهر الذى لاقاه خالد سعيد على يد الشرطة المتكبرة مما أدى إلى وفاته ظلما وعدوانا.

وأصبح خالد سعيد هو الشرارة الحقيقية لقيام الثورة حيث زاد عدد الزائرين لهذا الجروب على فيس بوك بطريقة تدعو للدهشة وضمت تلك الصفحة مئات الألوف من الشباب وأصبحت هى المتنفس السياسى الأول لشباب الثورة حيث كانت تدار الحوارات والمناقشات فى شتى القضايا لتدفع الشباب باتجاه الثورة مما جعل الحكومة تحجب موقع فيس بوك بعد قيام الثورة خوفا من التنسيق بينهم ولكنها لم تنجح ونجحت الثورة وانتصر خالد سعيد وظهر كاريكاتور على الانترنت به صورة خالد سعيد وقد كبرت قبضته لتحاول ضرب صورة الرئيس السابق مبارك التى تحولت إلى قزم صغير يحاول اتقاء الضربة ... لكنه لم يستطع الصمود أمام تلك الضربة وانتصر المرحوم الشهيد خالد سعيد وبكت أمه وأبكت الحاضرين معها فى ميدان التحرير بعد قيام الثورة وتقبلت العزاء أخيرا فى ابنها الشهيد خالد سعيد ، أما وائل غنيم فقد اعتقل منذ قيام الثورة ولم يفرج عنه إلا بعد أن أدرك النظام بأن نهايته قد اقتربت .

وقد نعتقد حسب قوانين التاريخ أن هذا النجاح الذى حققته تلك المجموعة سيجعل وائل غنيم وتلك المجموعة هم المفجرون الحقيقيون فعلا للثورة وقد ينصفهم التاريخ بعد عدة سنوات ليحول أولئك الشباب إلى ضباط أحرار إلكترونيين جدد ، وهذا ممكن فى ظل رقمنة كل أوجه الحياة التى حولت كل الأجهزة اليدوية إلى أجهزة إلكترونية حتى الثورة تحولت من ثورة يدوية بأسلحة ودبابات عام ١٩٥٢م إلى **ثورة ديجيتال عام ٢٠١١ م** ... هل هذا ممكن ...

عاشرا : انتخابات مجلس الشعب عام ٢٠١٠ م

لم تكد تمر عدة أشهر على قضية خالد سعيد وعنف الشرطة معه حتى شاهد المصريون قمة الجبروت السياسي فى انتخابات التجديد النصفى لمجلس الشورى فى سبتمبر ٢٠١٠ م حيث تم التزوير الواضح ونجح أعضاء الحزب الوطنى بالرغم من عدم حضور المنتخبين حيث تم تقدير العدد الحقيقى للحضور بأقل من ٣%. أما قمة المأساة فكانت مع انتخابات مجلس الشعب فى نهاية نوفمبر عام ٢٠١٠ م حيث أنه ولأول مرة يتم تسويد الصناديق فى دوائر المعارضة بطريقة فجة واضحة وكأن الصناديق ملئت قبل فتح اللجان وهو ما لم يعتد عليه المنتخبون سابقا ، حيث كانت تستبدل الصناديق بعد الانتخاب، وقد حدث هذا مع كل من ذهب لتلك الانتخابات فقد كانت كل الانتخابات السابقة تزور بعدة طرق ولكنها كانت تزور بطريقة غير مكشوفة أما وأن تزور عام ٢٠١٠ م بطريقة واضحة "عينى عينك" حسب تعبير المصريين فهذه هى الوقاحة السياسية بعينها .

وبالفعل حصل الحزب الوطنى على أكثر من ٩٥ % من الأعضاء ولم يترك للمعارضة إلا عدة مقاعد بالصدفة وتوقع كل العالم – وليس المصريون وحدهم - أن تتحول المعارضة إلى الشارع طالما انها لم تعد تتواجد بالمجالس النيابية وهو ما حدث بالفعل .

خلاصة القول قالها الكاتب جمال الغيطانى حيث وصف مصر خلال فترة مبارك الأخيرة بقوله فى الصحف بعد الثورة " أن هناك مجموعة شيطانية أو عصابة تغتصب وطنا كاملا " .

الفصل الثالث

تطورات الثورة

ما بين ٢٥ ـ ٢٩ يناير

مقدمة :

"واحد اثنين الشعب المصرى فين" "يا أهالينا انضموا لينا" [١٩] قالتها الجموع التى احتشدت فى الطريق من بولاق الدكرور متجهة إلى شارع جامعة الدول العربية بعد أن نجحت فى فك حاجز الطوق الأمنى على كوبرى ناهيا ببولاق الدكرور بالجيزة بعد ظهر يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ يناير لتلتقى بمجموعات أخرى عند مسجد مصطفى محمود لتردد " حرية وعدالة اجتماعية " وهى متجهة صوب ميدان التحرير . وفى نفس الوقت كانت محموعات أخرى تأتى من شارع القصر العينى ودار الحكمة وثالثة من دار القضاء العالى وشارع ٢٦ يوليو ورابعة من رمسيس وخامسة من شبرا وسادسة من ميدان عبد المنعم رياض وسابعة وثامنة وتاسعة لم تستطع الوصول لميدان التحرير من المطرية ودوران شبرا والعديد من مناطق القاهرة والاسكندرية والسويس والمحلة ودمياط والاسماعيلية وشمال سيناء ومعظم محافظات مصر .

وهنا أحست الشرطة المصرية التى أعلنت حالة الطوارئ يوم عيدها بأن الوضع خطير وليس مثلما يحدث فى كل مظاهرة سابقة لا يزيد العدد فيها عن خمسمائة متظاهر تفرقهم قنبلة واحدة مسيلة للدموع أو عدة أفراد شرطة يرتدون ملابس مدنية يقومون بالضرب ولكن الإعداد تتزايد بعد العصر لتصل إلى الآلاف فى كل تجمع للمظاهرات مما استدعى الأمر طلب تعزيزات فى كل الأماكن المحتملة للمظاهرات فى القاهرة والجيزة والاسكندرية والسويس والمحلة والمنصورة ودمياط والإسماعيلية وشمال سيناء وبدأت المناوشات والصدام بين الشرطة والشعب وسقط أول الشهداء فى السويس ثم الاسكندرية والجرحى فى كل المناطق السايقة بالمئات ... يا الله ... لقد بدأت الثورة بالفعل أيها المصريون " تحيا مصر".

---

[١٩] انظر الملحق رقم (٤) الخاص بهتافات الثورة حتى تكون موثقة للأجيال التالية .

تجهيزات ما قبل الثورة :

كان للسقوط المدوى للرئيس التونسى بن على وهروبه يوم الجمعة ١٤ يناير ٢٠١١م إلى السعودية الأثر الكبير على كل الحركات المصرية المعارضة فقد أحس المصريون أنه من الممكن إزاحة نظامهم مثلما أزاحه التونسيون وبدأت تتوالى دعوات على المواقع الالكترونية ومنها موقع " كلنا خالد سعيد " وموقع جماعة ٦ ابريل[٢٠] تتطالب بالتظاهر، وتم الاتفاق بعد عدة اقتراحات الكترونية على اختيار يوم ٢٥ يناير ٢٠١١ م وهو يوم عيد الشرطة للتظاهر ضد القهر والظلم وتتطالب بالحرية والعدالة الاجتماعية ، فاستجابت كل القوى الوطنية لتلك الدعوة وتم نشرها عبر الانترنت ثم عبر صحف المعارضة وخلال أسبوع علم معظم من يدخلون على الانترنت أو من يقرأون صحف المعارضة بموعد بداية التظاهر يوم ٢٥ يناير مع اعتذار معظم الأحزاب الكبرى عن المشاركة وخاصة حزب التجمع ، وهنا أحس النظام بالخطر فبدأت التجهيزات المضادة للتظاهر بداية من اللعب على الوتر الدينى فقد أعلنت الكنيسة بصورة رسمية رفضها للتظاهر ودعت إلى الاعتكاف فى هذا اليوم ودعت معظم المجموعات السلفية إلى عدم الخروج فى هذا اليوم كما أعلنت جماعة الاخوان عدم مشاركتها ولكنها تترك لأعضاءها حرية الخروج الشخصية وخاصة مجموعة شباب الإخوان ، ثم تطرق الأمر إلى زيادة التضييق على الجماهير فتم القبض على العديد من قادة تلك الحركات وتخويفهم ثم إطلاق سراحهم كما تم القبض على قيادات جماعة الإخوان المسلمين ولكن لم يتم الافراج عنهم ثم زادت اللجان المرورية التى تعطى الشعب الاحساس بهيبة الشرطة بل وتوقيف الشباب لسؤالهم عن بطاقات الهوية لإرهابهم وتخويفهم ولكن تجهيزات المظاهرة تسربت ولم تعد خافية على كل شباب الفيسبوك الذين تجمعوا حول الموقع

---

[٢٠] جماعة ٦ ابريل هى الجماعة التى لا تظهر بها ميول سياسية محددة وتكونت على خلفية أحداث المحلة فى ابريل عام ٢٠٠٨ م وكانت هى الداعى لإضراب ٦ ابريل عام ٢٠٠٨ م والذى نجح بصورة مبدئية وهناك شكوك مثارة حول بعض أفراد تلك الجماعة وليس كلهم بالرغم من عدم وجود أدلة واضحة على ذلك.

الشهير " كلنا خالد سعيد " الذى ضم ما يقرب من ٤٣٠ ألف مشترك قبل قيام الثورة بيوم واحد وبالطبع كلهم من الشباب الذى لو حدث ونزل ٢٠% منهم لكان العدد أكثر من ٨٠ ألفا وهو أقصى حلم يمكن الوصول إليه ممن قاموا بالتجهيز للثورة أو الذين يريدون المشاركة من الحركات المعارضة المشهورة وهم : جروب " كلنا خالد سعيد " وحركة شباب ٦ أبريل وحركة كفاية وحركة شباب الاخوان والجمعية الوطنية للتغيير(د.محمد البرادعى) وحركة شباب حزب الغد (جناح د. أيمن نور) وحزب الجبهة الوطنية وغيرها بالإضافة إلى العديد من المحامين والصحفيين والسياسيين والفنانين وشباب الثورة [٢١].

ولكن تنظيم الأماكن واللقاءات تم عن طريق استخدام الانترنت والمواقع الاجتماعية من خلال جروب كل من : "كلنا خالد سعيد" أو " معا سنغير" أو " حنغير" أو " ٦ ابريل " ، وتم نشرها فى صحيفة الدستور الالكترونية بالتفصيل أو التنويه عنها فى المصرى اليوم أو اليوم السابع. وحسب موقع الدستور الأصلى على الانترنت كانت تلك المواقع التى ستتم فيها التظاهرات بعد الساعة ١٢ ظهرا هى :

القاهرة : دوران شبرا – دوران المطرية – وسط القاهرة

الجيزة : شارع جامعة الدول العربية – إمبابة – جامعة القاهرة

الاسكندرية : منطقة القائد إبراهيم الساعة الثالثة عصرا لتجميع مظاهرات الكورنيش الممتد عبر الاسكندرية كلها

الاسماعيلية : شارع الثلاثينى و السكة الحديد بجوار الحمزاوى

---

[٢١] منهم أيمن نور وأسامة الغزالى حرب ومحمد أبوالغار وجميلة إسماعيل وحمدين صباحى ومصطفى بكرى وابراهيم عيسى ومحمد البلتاجى وعبد الرحمن يوسف غيرهم وكذلك المفكرين والفنانين منهم حمدى قنديل وبلال فضل وعلاء الأسوانى وعمرو واكد وعمروسلامة وخالد الصاوى وعبد العزيز مخيون ومن قيادات الشباب وائل غنيم ومصطفى النجار وأحمد ماهر وأسماء محفوظ ونوارة نجم وشريف منصور وإسراء عبد الفتاح ومحمد عادل وعبد الرحمن فارس واحمد دومة وانجى حمدى وأحمد بدوى وباسم سمير وزياد العليمى وإسلام لطفى ومحمد عباس وشادى الغزالى حرب وخالد سيد وخالد عبد الحميد وناصر عبد الحميد والعديد من شباب الإخوان وكذلك العشرات من الأسماء الأخرى التى سوف يتم توثيقها فيما بعد .

الغربية : طنطا أمام مبنى المحافظة بشارع البحر
المحلة الكبرى : ميدان البندر وميدان الشون والشعبية والجمهورية
كفر الشيخ : بلطيم ميدان بورسعيد
قنا : ميدان بنزايون
السويس : ميدان الأربعين

ومن الغريب أن هؤلاء الشباب استعدوا جيدا بالطرق البديلة التى تعلموها من الشباب التونسي فقد جهزوا أنفسهم لقطع خدمات الانترنت وتويتر وفيس بوك باستخدام رسائل الموبايل وجهزوا أنفسهم بالدخول للمواقع الالكترونية عبر المواقع البديلة باستخدام مواقع " بروكسى " للالتفاف على المواقع المحجوبة أو حتى بالدخول إلى الانترنت من التليفون الأرضى بأرقام أجنبية وفرتها شركة جوجل ، كل تلك الطرق لم تكن جديدة عليهم فكلها جربها التونسيون من قبل ، بل أنهم نصحوا النازلين إلى التظاهرات بنصائح تختلف فى عددها فهناك النصائح العشر قبل المظاهرة بعدم التظاهر وحيدا أو أعداد قليلة وبحمل الأعلام وشراء الكمامات والمياه الغازية والخل والبصل للتغلب على الغازات المسيلة للدموع وكذلك ارتداء ملابس ضد المياه وتجهيز أكياس شفافة لارتداءها على العين وكرتون مقوى لاتقاء الضربات والطوب مع التأكيد الدائم على أن المظاهرات " سلمية سلمية سلمية ".

كل تلك التجهيزات تم تجهيزها قبل الثورة بعدة أيام تحسبا للقبض على مفجرى الثورة وهو ما حدث بالفعل فقد تم القبض على العديد من الناشطين الاسلاميين وحتى على وائل غنيم ليلة قيام الثورة .

يوم ٢٥ يناير وبداية الثورة :

ذهبت صباحا للتحرير لاستطلاع الأمر فلم أكن مثل كل المصريين مؤمنا بخروج الشباب فى ذلك اليوم وحتى وإن خرجوا فلن يكونوا إلا عدة مئات مثل كل مرة وقد استخدمت المترو فى الوصول إلى التحرير فوجدت الشرطة بأعداد هائلة ولم يكن قد حان بعد موعد التظاهرات فى الثانية عشر ظهرا ولكنى لاحظت وجود أعداد كبيرة من الشرطة السرية فى محطة مترو التحرير تستوقف الشباب بصفة

خاصة إذا كانوا أكثر من واحد وتستجوبهم بطريقة فجة فأحسست عندئذ بالخطر وأدركت أن هذا اليوم لن يكون سهلا على تاريخ الشعب المصرى الذى بدأت بوادره من هذا الكم من رجال الأمن .
لقد أدرك المصريون مثلى وهم يتابعون قناة الجزيرة أن هذا اليوم ليس ككل الأيام السابقة وهنا اتجهت إلى شبكة الانترنت وموقع جريدة الدستور الأصلى واليوم السابع وبى بى سى والعربية والحرة لأعرف المزيد من المعلومات والتطورات عن تلك التظاهرات التى شاهدت الاستعدادات لها فى التحرير وجامعة الدول العربية وقد أدركت بالفعل أننى أمام تظاهرة تقترب شيئا فشيئا من انتفاضة ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧م ، فقد بدأت أخبار التظاهرات تصل بعد الواحدة ظهرا إلى أماكن متعددة فى القاهرة كلها تحيط بميدان التحرير من كل الاتجاهات من اتجاه القصر العينى ودار الحكمة ومن اتجاه طلعت حرب وعند دار القضاء العالى ومن ميدان عبد المنعم رياض ومن طريق الكورنيش عند ماسبيرو وفوق كوبرى قصر النيل وبدأت الأعداد تزيد إلى مئات فى كل جانب ثم التحركات التى تتم فى بولاق الدكرور لتعبر كوبرى ناهية وتتجه إلى ميدان مصطفى محمود وجامعة الدول العربية وبدأت الأعداد تزيد إلى عدة آلاف فزاد الكردون الأمنى فى ميدان مصطفى محمود ولكنه تم اختراقه واجتمع المتظاهرون من عدة اتجاهات فى جامعة الدول العربية ليتجهوا جميعا إلى التحرير ويلتقون مع من خرجوا من بولاق ووصلوا إلى شارع ٢٦ يوليو ليمتلئ الشارع تماما مع قرب الثالثة عصرا . على الجانب الآخر تجمعت نفس الحشود جنوب التحرير من خلال شارع القصر العينى وعند دار الحكمة أخذت الجموع تزيد وتم التصدى لها فتفرقت الجموع للشوارع الجانبية فى جاردن سيتى وكلها تبغى الوصول للتحرير بعد إغلاق الشارع أمام الحركة تماما . أما عند دار القضاء العالى فقد تجمعت الصفوة من القيادات الحزبية والمحامين والصحفيين وبدأت الأعداد فى الزيادة التدريجية، وفى رمسيس وميدان عبد المنعم رياض حدث مثل ذلك وحتى فى العتبة والموسكى . لقد تحولت مناطق وسط البلد فى

القاهرة إلى ثكنة عسكرية لمواجهة المتظاهرين الذين يزحفون بالمئات من كل اتجاه ووصل الكثير منهم إلى ميدان التحرير مع صلاة العصر فقام المصلون بالصلاة ولكن الشرطة أطلقت خراطيم المياه عليهم مما جعل الأمور تسوء مع غضب المتظاهرين فيقومون بمقاومة خراطيم المياه بل والهجوم على السيارات المجهزة التى تطلق خراطيم المياه وقد نجحوا فى كسر خراطيمها .

وانتشرت المظاهرات بالمئات فى أحياء القاهرة المتعددة فى المطرية وفى شبرا واستمرت لفترة طويلة وحتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالى .

أما ما حدث فى السويس والاسكندرية فكان أصعب من القاهرة حيث سقط أول قتيل فى مدينة السويس الباسلة وتلاه الثانى ثم الثالث متأثرا بجراحه ومن هنا اعتبرت مدينة السويس هى المدينة المفجرة للثورة ، ومع كثرة عدد الجرحى من جراء إطلاق الرصاص الحى على المتظاهرين تزايد العدد فى السويس لتبدأ مرحلة الثورة الحقيقية مع سقوط الجرحى ، وكذلك فى الاسكندرية التى احتوت خالد سعيد فقد بدأت المظاهرات فى العديد من مناطق الاسكندرية فى العصافرة والمنشية وباب شرقى ووصلت إلى محطة الرمل وسيدى جابر وانتهت عند مسجد القائد ابراهيم قرب العصر واستمرت المظاهرات فى العديد من المدن وانتشر الخبر فخرجت محافظات ومدن المنصورة ودمياط والزرقا والاسماعيلية واستمرت إلى أول الليل .

وقد أحست الشرطة بالخطر فبدأت فى توزيع التعزيزات على المناطق التى تزيد فيها القلاقل واستخدمت القنابل المسيلة للدموع لتفريق المتظاهرين ثم استخدم الرصاص المطاطى مما أدى إلى زيادة عدد الجرحى والمصابين فى التحرير والسويس والاسكندرية ومن ثم تم أغلاق محطة مترو التحرير وتم حجب موقع فيس بوك وتويتر لكى لا يتم التواصل بين المتظاهرين ولكن لم يتم قطع الانترنت بصورة عامة. وأدركت حينذاك القيادة السياسية أن الأمر دخل مرحلة الخطورة فتم تعبئة الإعلام لكى يتم التعتيم على المظاهرات مما جعل

إعلامـى مثـل محمـود سـعد يـتم وقفـه عـن العمـل لاعتراضـه علـى طريقـة تغطيـة المظـاهرات حيـث طلـب أن يـتم الإعـلان عـن حقيقـة المظاهرات ، كما قام شباب مساندون للثورة باختراق موقع الحزب الوطنى لكى لا يبث أكاذيبه ، وتحول المشاهدون المهتمون من مشاهدة قنـوات الإعـلام الحكـومى التـى تنظـر إلـى المظـاهرات علـى أنهـا مظاهرات طلبة داخل الجامعة إلى قنوات الجزيرة والعربية والبى بى سـي والحـرة التـى تنقـل بالصـوت والصـورة مـا يحـدث فـى القـاهرة والاسكندرية والسويس .

أما فى اليوم التالى فقد تحدثت جريدة المصرى اليوم عن التظـاهرات وتجاهلتهـا الصـحف القوميـة وأظهرتهـا فـى صـورة احتجاجـات بسيطة مما جعل الشعب المصرى يفقد الثقة فى الصحف القومية كما فقد الثقة فى الإعلام المصرى بصفة عامة . واستمرت التظـاهرات فـى اليـومين التاليين الأربعـاء والخمـيس وخفـت حدتها يوم الخميس للتحضير ليوم الغضب الأكبر وهو يوم الجمعة حيث تم توزيع أوراق من حركـة ٦ أبريـل فـى كـل الميـادين تـدعو ليـوم الغضـب كمـا نشـرت صـحف المعارضة والقنوات الفضائية خبر قيام جمعة الغضب المصرية يوم ٢٨ يناير .

يـوم " جمعـة الغضـب " وبدايـة الثـورة الحقيقيـة يـوم ٢٨ يناير ٢٠١١م :

" الشـعب يريـد إسـقاط النظـام " " يسـقط يسـقط حسـنى مبـارك " قالهـا المصلون عقب خروجهم من صلاة الجمعة بمسجد الاستقامة بميدان الجيزة كما قالوها فى أكثر من ثلاثين مكانـا علـى مستوى الجمهوريـة نشـرت أسـماؤها فـى كـل مواقـع الانترنـت بالإضـافة إلـى كـل ميـادين مصـر فـى كـل المحافظـات لتبـدأ جمعـة الغضـب المصـرية ، وكنـت مشـاركا فيهـا فـى مسجد الاستقامة بميدان الجيزة وعند خروجنـا مـن المسجد أطلقت القنابل المسيلة للدموع بكثافة شديدة ممـا جعـل الـدكتور البرادعى ورفاقه وأصدقاءه يتحصنون بالمسجد أمـا الصـحفى إبـراهيم عيسى رئـيس تحريـر الدسـتور السـابق فقد كـان دائـم الخـروج لمحاولـة

الانضمام المتظاهرين ولكنه كان يعود عند إطلاق القنابل المسيلة للدموع قرب باب المسجد فلم يستطع الخروج واستمر الأمر هكذا لمدة ثلاث ساعات حتى صلاة العصر ما بين محاولات الخروج من المسجد وإطلاق الغازات المسيلة للدموع على أبواب المسجد وما حوله . وبعد صلاة العصر اقتحم المسجد مئات الأشخاص من الباب الخلفى ظن من بالمسجد أنهم من الشرطة فوجدوهم من المتظاهرين الذين أتوا من منطقة الهرم وفيصل وشارع الربيع الجيزى والمنيب فاكتظ المسجد بالمتحصنيين وخرجت الجموع دفعة واحدة للخارج فأطلقت القنابل مرة أخرى ولكن فى تلك اللحظة شاهدت بعينى الشباب الذين يقاومون القنابل المسيلة للدموع بل ويقامون خراطيم المياه ويقفون أمامها فاتحين صدورهم للماء الكبريتى ولا يهابون الموت ويشتبكون مع الجنود المحصنين ويستولون على عصيهم وخوذاتهم أسفل كوبرى الجيزة[٢٢] وفى خضم المواجهات استطاعت الجماهير الشبابية الآتية من الجيزة الصعود إلى أعلى كوبرى الجيزة لتطرد الجنود المرابطين بأعلى الكوبرى إلى أسفل واحتل الشباب أعلى الكوبرى وبدأوا فى إلقاء الحجارة على الشرطة من أعلى فتطلق الشرطة عليهم قنابل الغاز فيأخذون القنابل ويعيدون إطلاقها على الشرطة من أعلى لتصل إلى أبعد مدى فاضطرت الشرطة إلى الابتعاد عن المسجد بمسافة مائتى متر إلى أول شارع الجامعة مما سمح بزيادة عدد المتظاهرين مع توقف إطلاق القنابل بكثافة وأصبحت القنبلة تطلق كل عشر ثوان مما جعل الشباب يعتقدون بأن الذخيرة قد نفذت من الشرطة نتيجة الضرب العشوائى الذى حدث بعد صلاة الجمعة لمدة ثلاث ساعات وهو ما حدث بالفعل فقد بدأت الشرطة فى الانسحاب أمام عشرات الألوف الذين شاهدتهم بنفسى وتحصن رجال الشرطة بالعربات المدرعة فهاجمها المتظاهرون فاضطروا للهرب

[٢٢] توجد صور تلك الموقعة على صفحة مجلة دير شبيجل الألمانية على الانترنت حيث كان المصور موجودا فى المسجد وكان يخرج كل فترة للتصوير ويعود للمسجد وقد استعنت ببعضها فى غلاف الكتاب وهى الصورة التى يظهر فيها الدكتور البرادعى والصحفى ابراهيم عيسى وصورة الشباب المقامومين .للشرطة .

إلى مسافة أبعد عند مدخل كوبرى الجيزة أما العربات التى وقفت فى الميدان فقد طالها المتظاهرون وأحرقوها إثر هروب الجنود والضباط من المتظاهرين وهتف المتظاهرون حينذاك " الشعب يريد إسقاط النظام " وأيضا " قالوا علينا شعب جبان واحنا أهوه فى كل مكان " وأخيرا قالوا " ع التحرير ع التحرير " وتحركت الجموع الغفيرة من ميدان الجيزة إلى التحرير. وقد ساعدت السلطات على نشر الفوضى حتى يمكنها وقف الزحف الثورى فقامت بقطع كل وسائل الاتصال، فتم قطع اتصالات الموبايل فى القاهرة الكبرى والاسكندرية والسويس وتم حجب الانترنت من خلال شبكات الانترنت الكبرى وتم حجب حتى رسائل الموبايل .

كل ما سبق حدث لى شخصيا يوم الجمعة ٢٨ يناير ٢٠١١ م والذى يعتبره الكثيرون أمثالى من الناس العاديين هو يوم الثورة الحقيقى حيث خرجت جموع المصريين بدون تخطيط وبدون ضغوط خارجية وبدون عمالة أمريكية فلم تعد الثورة ثورة الإخوان المسلمين ولاشباب ٦ ابريل ولا خالد سعيد ولا الغد ولا البرادعى ولا وائل غنيم ولا أي حزب من الأحزاب المعروفة لقد أصبحت الثورة ثورة الشعب المصرى من جميع طوائفه التى غالبيتها لم تكن لتنتمى إلى مجموعة سياسية من قبل ، لقد خرجت تلك الجموع الغفيرة – مثلى - فقط للتعبير عما قاسوه خلال فترة حكم الرئيس مبارك من قهر وذل وفساد فى كل مكان .

وما حدث لنا فى ميدان الجيزة حدث فى كل أماكن مصر وكل محافظاتها فقد استمرت المصادمات طوال الليل فى التحرير والسويس والاسكندرية وكل المحافظات واتجهت الجماهير صوب صور الرئيس مبارك لتمزقها كما اتجهت إلى مقار الحزب الوطنى لتحاصرها وتحرقها وعاشت مصر ليلة ليس لها مثيل منذ قيام ثورة ١٩١٩ م حيث حدث انفلات أمني أكاد أوقن تماما أنه غير مقصود، حيث شاهدت بنفسى صراعا استمر منذ العاشرة مساء إلى العاشرة صباحا فى اليوم التالى بين شباب كارهين للشرطة وعناصر الشرطة

أمـام قسـم الجيـزة وعلمـت أنهـم إمـا عـذبوا أو أهينـوا فـى القسـم فتجمعوا للثأر فامتلأت الأجواء بالغازات المسيلة للدموع ومع دخـول ساعات الصباح كانـت عناصـر الشـرطة قد طالهـا التعـب مـن كثـرة السـهر لعدة أيام متتالية فتركت قسم الشرطة عند الظهر ليتم حرقه على مرأى ومسمع من سكان الجيزة ، بل أن هناك عناصر أخرى من المجرمين محترفى الإجرام استغلت انتصار الشباب الموتورين بعد تركهم القسم بعد حرقه دون سرقته لتدخل تلك المجموعة الهمجية قسم الشرطة وتنهب كل ما تبقى من الاحتراق ووصل الأمر إلى سرقة الأبواب الحديدية والشبابيك وحتى المدفع التاريخى المرابط أمام قسم الجيزة منذ أكثر من خمسين عاما ، ثم تطرقت تلك المجموعة من المجرمين إلى أحد المكتبات المجاروة لقسم الشرطة ويطلق عليها أهل المنطقة مكتبة سوزان مبارك (مكتبة البحر الأعظم) فتم نهبها وحرقها ولم تتطرق تلك المجموعة إلى مدرسة خلف المكتبة كانت بلا حراسة وتحتوى على عدد من أجهزة الكمبيوتر يفوق ما تم سرقته من المكتبة فلم تدخلها ولم تقترب منها مما جعلنى أستغرب أمر أولئك المجرمين .

وقد حدث ذلك أيضا فى منطقة الهرم حيث نهبت فنادق وكازينوهات كان يظن أنها سيئة السمعة – ولا نستطيع أن نجزم بذلك - وتركت فنادق ومحال لم يعرف عنها ذلك وحدث أيضا فى اركاديا مول بالقاهرة الذى حدث به أكبر محاولة للنهب والسرقة وكذلك العديد من الأسواق والمحلات الكبرى . ولكن ماحدث فى قسم الجيزة حدث مع معظم أقسام الشرطة وخاصة قسم شرطة الأزبكية بالقاهرة الذى تعرض للحرق عدة مرات متتابعة وبالتالى نال انتقاما مضاعفا وبالمثل قسم باب شرقى بالإسكندرية ، حيث كان يتوقف عدد مرات الحرق على كم الكره لهذا القسم علما بأن هناك أقساما مثل الدقى والهرم والكثير من أقسام شرطة محافظات الوجه القبلى لم يتعرض أي منهم لأى محاولة حرق أو نهب بل أن بعض البلاد من جنوب أسيوط إلى الأقصر لم تصلها الثورة أصلا إلا بعد قيامها بعدة أيام ،

وامتدت محاولات الحرق والاتلاف لمقار مباحث أمن الدولة والحزب الوطنى فى معظم المحافظات ، ولا أعتقد أن العملية كانت منظمة ولكن الجماهير والعمل الجماعى جعل تلك الأمور متشابهة فى كل المناطق ، كما حدث ذلك من قبل فى تونس ، فعاشت مصر ليلة ٢٩ يناير كأسعد ليلة نظرا لقيام الثورة وكأتعس ليلة نظرا للانفلات الأمنى الذى اضطر معه الجيش إلى النزول فى نهاية الأمر بعد أن سقطت الشرطة المصرية وفقدت هيبتها التى حاولت بناءها لمدة تصل إلى ٣٠ عاما خلال حكم الرئيس مبارك. أما ميدان التحرير الذى اكتظ بالمتظاهرين من كل الاتجاهات فلم تستطع قوات الشرطة ولا القناصة - الذين اعتلوا أسطح المبانى المطلة على الميدان وخاصة مبنى الجامعة الأمريكية وأطلقوا الرصاص الحى- ولا العربات المدرعة ولا خراطيم المياه ولا الغازات المسيلة للدموع ولا الرصاص المطاطى أن يوقف تلك الجموع الهادرة التى زأرت فى كل أرجاء الميدان ووصل عددها إلى ما يفوق المليون شخص أحاطوا بكل مداخل ميدان التحرير ووصلوا إلى مبنى التليفزيون ووزارة الداخلية التى استعانت بالجيش لحمايتها من جموع وموجات " تسونامى" المتظاهرين التى تأتى موجة إثر موجة ومجموعة إثر مجموعة ولا تعلم الشرطة ولم تعلم إلى الآن كيف تمت المفاجأة المدوية من الشعب ولا السرعة التى انتشرت بها تلك الثورة لأنها لم تدرك حجم الغضب الذى اختزن فى صدور المصريين من الممارسات الظالمة للنظام السابق بكل هيئاته ... لقد أعلن المتظاهرون ظهر يوم السبت ٢٩ يناير ٢٠١١ م سقوط هيبة الشرطة المصرية بأسلحتها العتيدة تمهيدا لسقوط النظام بأكمله بعد سقوك اكثر من ٦٠ شهيدا وأكثر من ثلاثة ألاف جريح خلال جمعة الغضب فقط .

وما حدث للتحرير يوم جمعة الغضب ونقلته القنوات الفضائية خاصة قناة الجزيرة القطرية أشعل النار فى كل محافظات مصر فلم تستطع أى محافظة أن تبقى ساكنة واشتعلت المظاهرات فى مصر من شمالها لجنوبها ومن شرقها لغربها فى سابقة لم يشهدها التاريخ المصرى

الحديث منذ عام ١٩١٩م ، حيث تتميز تلك الثورة عن ثورة ١٩١٩م بوجود وسائل إعلام سريعة تنقل الأخبار أولا بأول وهو ما لم يكن متوفرا منذ تسعين عاما لذلك انتقلت تلك الثورة إلى كل المحافظات وكان أشدها فى السويس بلد الشهداء حيث حاولت قوات الشرطة استرجاع الهيبة بإطلاق الرصاص الحى فما كان من الجماهير الغاضبة إلا أن تتعامل معها كما تعاملوا سابقا مع قوات الثغرة الاسرائيلية فتكونت لجان للمقاومة الشعبية ضد الشرطة التى أطلقت كل أسلحتها دون رحمة ضد المسالمين العزل ، وكأن تلك الجموع الغاضبة ليست من الشعب المصرى لكى يتم قتلها بالرصاص الحى فى منطقة الصدر والبطن والرأس وليس منطقة القدم أو الرجل كما تحدد قوانين الدفاع عن النفس فى حالة الضرورة القصوى . أما فى الاسكندرية فكان الموقف يشبه القاهرة تماما حيث قامت المظاهرات فى كل ميدان بالاسكندرية وتجمعت الجماهير الغاضبة فى ميدان القائد ابراهيم الذى تحول إلى ميدان تحرير الاسكندرية وتم حرق كل أقسام الشرطة بالاسكندرية بل امتدت المواجهات لتفوق القاهرة حيث تم مهاجمة مديرية الأمن ذاتها وكأن شعب الاسكندرية أراد أن ينتقم لما حدث فى كنيسة القديسين ليلة رأس السنة وممن قتلوا خالد سعيد وسيد بلال ولم تتم محاكمتهم، وبالفعل سقطت هيبة الشرطة بصورة تامة فى الاسكندرية يصعب معها استردادها خلال وقت قصير حيث أنها المحافظة الوحيدة التى تم فيها محاولة حرق مبنى مديرية الأمن ومبنى المحافظة بالإضافة إلى أقسام الشرطة ومقار الحزب الوطنى. وفى شمال سيناء كانت هناك مفاجأة للشرطة حيث اشتركت سيناء كأكبر رابع محافظة فى الثورة فقام سكان شمال سيناء بقطع الطريق الساحلى ومهاجمة معسكرات الشرطة فى كل مكان انتقاما لما حدث مع أبناءهم أثناء فترة تولى حبيب العادلى وزارة الداخلية ، ووصل الأمر إلى الحدود مع غزة وإسرائيل مما اضطر الجيش إلى إدخال دبابات وعربات مدرعة للحدود مخالفا بذلك اتفاقية السلام مع إسرائيل ولكن بموافقة مبدئية من إسرائيل للتغلب على

الانفلات الأمنى فى سيناء . واشتعلت الثورة كذلك وتأججت فى المنصورة والمحلة ودمياط والإسماعيلية وأسيوط والمنيا وبنى سويف ودمنهور وحتى المنوفية بلد الرئيس السابق وكل تلك المحافظات مع القاهرة والإسكندرية والجيزة والقليوبية والسويس سقط فيها شهداء مسالمين عزل لا يحملون أى أسلحة إلا الإيمان بالتغيير الذى سيتم فهو البندقية الوحيدة التى كان يمسك بها المتظاهرون ورصاصها الهتاف بأعلى صوت " **الشعب يريد إسقاط النظام** " فيقشعر له البدن.

الفصل الرابع

بوادر نجاح الثورة

بداية النجاح بتعيين نائب الرئيس واستقالة وزارة أحمد نظيف :

لقد حاولت السلطة احتواء الموقف يوم ٢٩ يناير فأعلن حظر التجول اعتبارا من الثالثة عصرا ثم تقدمت حكومة الدكتور نظيف باستقالتها وتم تكليف الفريق أحمد شفيق وزير الطيران المدنى برئاسة الحكومة الجديدة فى محاولة يائسة لامتصاص الغضب الشعبى، كما أعلن الرئيس السابق مبارك عن أول تنازل له فى تاريخه العسكرى حيث أعلن تعيين السيد عمر سليمان مدير المخابرات العامة المصرية نائبا له يوم ٢٩ يناير ٢٠١١ م وكانت تلك بدايات نجاح الثورة المصرية .

وبعد أن أعلن الرئيس السابق تعيين نائب له بعد ثلاثين عاما قضاها بدون نائب ، ظهرت بوادر نجاح الثورة حيث أن الرئيس مبارك لم يكن ليعين نائبا له إلا مضطرا فلم يفعل ذلك من قبل حتى عند مرضه الشديد ، وكان ذلك دلالة على كبر حجم الثورة وتخطيها الحدود والخطوط الحمراء التى وضعها الرئيس السابق حيث أصدر الرئيس مبارك مرسوما بتعيين السيد عمر سليمان مدير المخابرات المصرية العامة نائبا لرئيس الجمهورية كما أصدر قرارا بقبول استقالة وزارة الدكتور أحمد نظيف وتكليف الفريق أحمد شفيق وزير الطيران المدنى وتلميذه القديم فى القوات الجوية بتشكيل الوزارة الجديدة. ولكن رد فعل الرئيس مبارك حسب جميع الآراء والتحليلات كان دائما متأخرا عن أفعال شباب الثورة فدائما الثوار هم السابقون وهو من يحاول الرد وكأن هناك دائما "فرق سرعات" كما قالها الممثل هانى رمزى وحفظها المصريون فى أحد أفلامه فكانت سرعة الشباب هى سرعة الصواريخ والطائرات أما سرعة الاستجابة من النظام فهى سرعة الجمال والخيول كما حدث فى الموقعة الشهيرة التى حسمت نجاح الثورة فيما بعد . ومنذ اليوم التالى وهو يوم السبت ٢٩ يناير أحست كل دول العالم بأن الانتفاضة المصرية تحولت إلى ثورة بعد سقوط الشهداء وسقوط هيبة الشرطة وحرق مقارها -كما حدث فى باريس عام ١٧٨٩ م مع سقوط سجن الباستيل- فدعت الدول الغربية رعاياها إلى ترك مصر فورا وألا يتواجد منهم إلا من كان وجوده ضروريا

وبدأت الاجتماعات والاتصالات بين الدول الغربية والدول المجاورة لتقييم الموقف فى مصر فكثرت محادثات الرئيس الأمريكى أوباما مع قيادات السعودية وإسرائيل وتركيا ثم مع انجلترا والاتحاد الأوربى واضطر إلى إرسال عدة نصائح للرئيس مبارك والجيش بضرورة توخى أقصى درجات ضبط النفس والاستجابة لمطالب الجماهير وطموحاتهم ثم تطور الأمر إلى القول بمحاولة نقل السلطة بطريقة سلمية يرضى عنها الشعب فأرسل مبعوثا له ليصل مصر ويلتقى مع الرئيس مبارك يوم ٣١ يناير وبدأت الولايات المتحدة فى الدخول إلى درب التخطبات حيث ظهرت تصريحات كلها تدل على المفاجأة بتطور الوضع فى مصر فقد أصبحت الولايات المتحدة تركب نفس الجمل الذى ركبه الرئيس مبارك ولم تستطع هى أيضا اللحاق بالثورة .

موقعة الجمل يوم ٢ فبراير وجمعة الرحيل ٤ فبراير :

وصل عدد المتظاهرين فى ميدان التحرير يوم الثلاثاء العظيم أول فبراير إلى أكثر من مليونى متظاهر وقد خشى شباب الثورة من الإعمال الإرهابية فشرعوا فى عمل كردونات أمنية حول ميدان التحرير تمنع دخول من يحمل بطاقة هوية تدل على أنه من هيئة الشرطة وتمنع كذلك دخول أى أسلحة حتى تكون الثورة سلمية، وتجمع كذلك أكثر من مليون شخص فى الإسكندرية ومئات الألوف فى السويس وعشرات الألوف فى المدن والمحافظات مما دعا الرئيس مبارك إلى أن يلقى خطابه ، وبعد إلقاء الرئيس السابق مبارك خطابا للشعب يوم ١ فبراير أوضح فيه عدم نيته الترشح للرئاسة وبأنه قضى عمرا فى خدمة مصر وبأن هناك من يحاول الالتفاف على الشرعية أحس البعض بالانحياز إلى استكمال الرئيس فترته الرئاسية[٢٣] ولكن مع عصر اليوم التالى بدات مأساة دامية فى ميدان التحرير حيث ظهرت الجمال والخيول فى ميدان التحرير تحت دعوى العودة

[٢٣] نشر استطلاع رأى على مواقع إخبارية عديدة منها موقع بى بى سى أظهر ميل ٣٥% من المصريين للتريث فى الثورة حتى يستكمل الرئيس مبارك مدته القانونية نهاية ٢٠١١ م بعد ذلك الخطاب .

للاستقرار ضد المتظاهرين بالتحرير وتطور الأمر بسرعة شديدة إلى استخدام المناوئين للتظاهرت كافة الأسلحة الشعبية من رصاص حى وسكاكين و"سنج" إلى حجارة من الرخام إلى قنابل مولوتوف وكان هذا هو الخطأ الأكبر الذى قوى الثورة بدلا من هدمها حيث تعاطف الشعب تعاطفا تاما مع المتظاهرين السلميين أمام البلطجية المسلحين الذين يقف ورائهم رجال أعمال وأعضاء مجلس شعب فى مناطق متعددة من القاهرة والجيزة مثل منطقة الهرم ونزلة السمان بالجيزة أصحاب الجمال والخيول التى غزت ميدان التحرير، وقد استمرت تلك الموقعة بطريقة أدمت قلوب الشعب المصرى حتى الصباح وكان من المنتظر نهايتها عند صلاة الفجر ولكن لم يستطع بلطجية رجال الأعمال ذلك لأنهم يقاتلون بدون دافع واضح بينما صمد المتظاهرون وخاصة من جماعات الإخوان المسلمين الذين بصمودهم ذلك اليوم استحقوا لقب حامى الثورة بعد الجيش الذى وقف على طريق الحياد السلبى وعدم الانحياز ، أما الغريب فى أمر تلك الموقعة هو طريقة سيرها ونجاحها حيث يكاد يجمع الشهود على أن الهجوم المباغت من رجال الحزب الوطنى جعل المتظاهرون ينسحبون ويدركون أنهم انهزموا ، وفجأة صمد العشرات منهم فتراجع كل فلول الوطنى بطريقة غير مفهومة مما جعل المتظاهرون يرجعون مرة أخرى ولديهم شحنة ربانية تدعوهم للبقاء ، وانتصر شباب الثورة الذين تسلل إليهم الآلاف الذين أتوا فى جنح الليل من كافة مناطق القاهرة مشيا على الأقدام حيث كان حظر التجول ما زال ساريا حاملين معهم المئونات الطبية التى لم تقدمها وزارة الصحة الحكومية ، وكان انتصار هؤلاء الشباب لأنهم يدافعون عن مبدأ أمام البلطجية الذين تلقوا الأموال والدعم من رجال الأعمال وأمن الدولة . وفى الصباح بدأت جموع المؤيدين للمتظاهرين تتدافع بمئات الألوف من كل مكان فى مصر لحماية المتظاهرين فى الميدان ضد بلطجية الثورة المضادة فأخذت الثورة زخما جديدا رغم أنف رجال الأعمال وأنف حاشية

الرئيس بل والرئيس نفسه وقد حسم هذا الزخم نجاح الثورة حيث لم يتبق للرئيس مبارك من مناصرين إلا فلول الحزب الوطنى .
وبعدها حاولت حكومة الفريق شفيق الاعتذار للشعب ولكن الشعب كان قد أخذ الحكم الواضح القاطع بأنه لابد من إسقاط النظام ولا يوجد أى حل آخر وتحولت الجمعة التالية يوم ٤ فبراير إلى جمعة الرحيل والمطالبة برحيل الرئيس مبارك ونظامه واستقطبت تلك الجمعة عدة ملايين فى القاهرة والإسكندرية والسويس وباقى المحافظات .

الرحيل ١١ فبراير وبوادر نجاح الثورة :

كان إعلان صحيفة الجارديان البريطانية عن ثروة عائلة الرئيس بأنها قد تجاوز ٤٠ مليار دولار وقد تصل إلى ٧٠ مليار دولار فعل السحر فى الشعب المصرى حيث نشرتها كل القنوات الفضائية وصحف العالم وهنا أحس من لم يتظاهر من جموع الشعب المصرى بأنه كان مخدوعا فى رئيسه وأبناءه وحاشيته ، ومما زاد الطين بلة تسرب أنباء الفساد فى النظام السابق فى قطاع السياحة والإسكان والإعلام والشرطة والزراعة والصحة مما أهدر عشرات المليارات استفاد منها رجال أعمال حاشية جمال مبارك فبدأت الثورة تأخذ إلى جانبها قطاعا عريضا من السيدات والرجال كبار السن الذين كانوا من المؤيدين للاستقرار وتحولوا إلى مؤيدين للثورة فأخذت الجموع تزيد فى ميدان التحرير حتى وصلت إلى أرقام جديدة بلغت ثلاثة ملايين، وهنا أحس الرئيس السابق مبارك بالخطر فبدأ خطابه الأخير قبل الرحيل ظن المصريون بأنه خطاب التنحى حيث تنازل عن سلطاته لنائب الرئيس ولكن التنحى لم يرد فى الخطاب حيث طلب عمر سليمان نائب الرئيس المتظاهرين بالعودة لمنازلهم حيث أن الرئيس سيترك السلطة فى موعد الانتخابات القادمة، ولكن الشعب صمم على رأس النظام وبدأت الدعوة لجمعة التحدى فى كل أنحاء مصر وأن تتجه الجموع إلى قصر الرئاسة بمصر الجديدة وهنا ظهر اجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة بدون وجود الرئيس مبارك مما يعنى أن هناك أمرا جديدا قد بدأت ملامحه تبدو للعيان .

وفـى يـوم الجمعـة المشـهود يـوم ١١ فبرايـر وبعـد صـلاة الجمعـة تحولت مصر كلها إلـى بركـان غضـب وتحـدى حتـى أنـه تم تقدير عدد من اشتركوا فى تلك المظاهرات بما يقارب ١٢ مليون شخص فى مدن مصر من شمالها لجنوبها ومن شرقها لغربها وهو رقم كبير جدا لم تصل إليه مظاهرة شعبية من قبل ، كان من هؤلاء الاثنـى عشر مليونـا فى ميدان التحرير نفسه ما يزيد على ستة ملايين نسمة شاهدتهم بنفسـى يملئـون التحريـر مـن كـل الجوانـب والاتجاهـات حيـث ظللنـا أكثـر مـن ساعة فى طريق الكورنيش لكـى يتحـرك مـن كـانوا قبلنـا للوصـول إلـى التحرير ولكن الأعظم هو وصول تظاهرات قصر الرئاسـة إلـى نصـف مليون شخص مما أجبر الرئيس مبارك على التنحـى مسـاء يوم الجمعة ١١ فبرايـر حسـب الخطـاب الـذى ألقـاه النائـب عمـر سـليمان والقاضـى بتنحـى الـرئيس مبـارك عـن الحكـم وتسـليمه جميـع سـلطاته للمجلـس الأعلـى للقـوات المسـلحة. ويمكـن وضـع التصـورات الافتراضـية لسيناريو التنحى من خـلال الأقـوال والشـائعات التـى تنـاثرت فـى مصـر كلها عن ذلـك الحـدث وأود التأكيد علـى أنهـا شـائعات وتخمينـات وكلهـا دارت فى فلك ثلاث سيناريوهات لتنحى الرئيس مبارك وهى :

السيناريو الأول : هـو أعطـاء الأومـر للجيش بالضـرب بالرصـاص الحـى واستخدام القوة المفرطـة للقضـاء علـى المظـاهرات منذ الأربعـاء السابق لجمعة التنحى ولكن الجيش رفض الأمر ليس عن عنـاد للـرئيس ولكن خوفا من ضياع هيبة الجيش إن دخـل فـى صدام مع الشعب كما حدث فى إيران عـام ١٩٧٩ م حيـث سيميل كـل الجنـود والضـباط ذوى الرتب الأقل إلى الشعب وسيبقى القادة من رتبـة مقدم فـأعلى فـى جانـب النظـام فيصبحون هم فـى جانـب والشـعب والجيش العـادى فـى جانـب آخر وحتما سينتصر الشعب بعد موت مئات الألوف ويتم محاكمـة كبـار الضباط وإعدامهم وضيـاع هيبة الجيش كما ضـاعت هيبة الشـرطة وهو ما لم يرضـه قـادة الجيش فطلبـوا مـن الـرئيس وضـع تصـور آخـر غيـر استخدام القوة مع المتظاهرين .

السيناريو الثانى : فى حالة رفض الرئيس التنحى خاصة بعد تدخل جمال مبارك – وبالطبع معاونيه- الذى لا يحمل الود لكل من المشير حسين طنطاوى ولا لقادة الجيش الذين لا يدينون له بالولاء فقد قام المجلس الأعلى للقوات المسلحة بالوقوف إلى جانب الشعب عن طريق خلع قائده الأعلى حماية للشعب الذى تعلو سلطته على سلطة رئيس الجمهورية وبدون أى ضغوط أو أوامر بفض المظاهرات بالقوة ويتم الخلع بالبيان الذى يلقيه نائب الرئيس - تحت الضغط – ليعلن أن الرئيس تنازل عن سلطاته للمجلس الأعلى للقوات المسلحة ، وقد عبرت جماهير الفيسبوك – وليست جموع الشعب الحقيقية- عن موافقتها على هذا التصور بإقامة أكثر من جروب كلها تتحدث عن شخص " الراجل اللى ورا عمر سليمان " وكل منها ضم عشرات الألوف وكلها تصوره بطرق طريفة لتظهر أن من يقف وراء عمر سليمان يبدو متجهما وجاهزا لفعل شئ ما بطريقة أثارت ضحك الشعب المصرى فى خضم الثورة والشهداء ... ما هذا الشعب الغريب الذى يخترع النكات و"القفشات" فى أشد الفترات التاريخية صعوبة ... أنه الشعب المصرى العظيم.

السيناريو الثالث : قيام المجلس الأعلى للقوات المسلحة بإقناع الرئيس مبارك بالتنازل عن السلطة لصالح الشعب حيث أن الأمور خرجت عن السيطرة وإن تم السكوت أكثر من ذلك سيتجه الشعب إلى الإخوان المسلمين أو السلفيين وقد تبدأ حرب أهلية وتأتى بما لا يحمد عقباه ، ووافق الرئيس مبارك على ذلك بدون ضغوط حتى من أبناءه وزوجته بشرط حماية تاريخه العسكرى وعدم محاكمته مستقبلا مثلما تم مع الرئيس الروسى بوريس يلتسين فى روسيا حيث قام الرئيس بوتن بحماية الرئيس السابق يلتسين بعد تركه الرئاسة .

والحقيقة أن كل السيناريوهات التى تناقلتها شائعات المصريين وتصوراتهم محتملة الورود ولكن أقربها للتصديق من الشعب المصرى هو السيناريو الأخير الذى يعطى الأولوية للطريق السلمى للتحاور بين الرئيس وقادته العسكريين وموافقة الرئيس بعد إقناع

المجلس العسكرى للرئيس يوم الأربعاء ٨ فبراير بضرورة ترك الحكم طواعية وأعطى الرئيس السابق مبارك فرصة حتى يوم ١١ فبراير ليقرر ذلك بصورة اختيارية وقد حدث .

وبذلك يكون يوم ١١ فبراير هو يوم المصريين الذي أذهل العالم، ففى ذلك اليوم احتفل معهم العالم حتى الصباح بسقوط النظام المصرى المتمثل فى شخص الرئيس وحاشيته حيث يوجد أكثر من ثمانية ملايين مصرى بالخارج يتوزعون على معظم دول العالم احتفلوا ذلك اليوم برفع رأسهم عاليا وكأن بلدهم مصر قد أصبحت بين ليلة وضحاها من الدول العظمى التى ينظر إليها العالم على أنها صاحبة أقوى ثورة بعد تونس تنتقل من العالم الافتراضى الخيالى عبر الانترنت والكمبيوتر إلى عالم الواقع الحقيقى وتنتهى بإسقاط النظام وأصبح ميدان التحرير بتسميته **Tahrir** أشهر ميدان فى العالم يذكر فى صدارة كل وسائل الإعلام لمدة تقارب الشهر .

وكما أن لكل زلزال العديد من التوابع التى تلحق به فبعد قيام زلزال ٢٥ يناير ونهايته يوم ١١ فبراير بدأت توابع الزلزال فى الظهور واختلفت تلك التوابع فى شدتها من تابع لآخر . وكان أول توابع الزلزال هو السقوط المدوى للبرلمان حيث سقط مجلسا الشعب والشورى يوم ١٣ فبراير فقد صدر مرسوم من القوات المسلحة التى تسلمت إدارة البلاد بحل مجلسى الشعب والشورى وبذلك تم إغلاق باب البرلمان المزور الذى جاء نهاية عام ٢٠١٠ م.

وتتابع السقوط بتوابع الزلزال فسقطت حكومة الفريق أحمد شفيق يوم الخميس ٣ مارس ٢٠١١ ، وبالرغم من وجود بعض التعاطف من الشعب مع الفريق أحمد شفيق إلا أن الغالبية تعتبره رمزا من رموز النظام السابق فقد ترددت أنباء وشائعات تم نفيها فيما بعد أنه قريب زوجة جمال مبارك مما قلل من تعاطف الشعب معه وهو ما حدث بالفعل فقد استقبل الشعب نبأ الاستقالة بفرح شديد.

وبعد سقوط حكومة الفريق شفيق تم تشكيل الحكومة المؤقتة للدكتور عصام شرف أحد الذين خرجوا من حكومة الدكتور أحمد نظيف عام

٢٠٠٥ لأنـه – كمـا قيـل - لـم يوافـق علـى التخـبط فـى الخطـوط الملاحيـة وقواعـد السـلامة التـى يتبعهـا ممـدوح إسـماعيل فـى عبـارات النقـل ، وقـد اتبـع الـدكتور عصـام شـرف نهجـا جديـدا بأخـذ البيعـة مـن جماهير التحرير حيث حمله المتظاهرون على أعناقهم ولم يصدقوا أنـه يمكـن لأى مـنهم أن يقابـل أو " يسـلم علـى" الرجـل المرشـح لرئاسـة الوزراء فى مصر... أخيرا أصبحت مصر مثل أى دولـة ديموقراطيـة حيث يمكن أن يتجول رئيس الـوزراء بـدون حراسـة مشـددة ويمكنـه أن يتعامل مع أناس من عامة الشعب .

أما السقوط الأعظم أو أشد توابع الزلزال فكان هو سقوط دولة مباحث أمن الدولـة المصرية يـوم ٦ مـارس ٢٠١١ م حيث توجـه الآلاف مـن المعذبين إلى مقر مباحث أمن الدولة بالإسكندرية وحاولوا حرق المبنـى وحدث نفس الشئ بالمبنى الرئيسى لمباحث أمـن الدولـة بمدينـة نصـر – الذى يشبه سجن الباستيل – وقاموا بمحاصـرته ومحاولـة حرقـه ولكنهم لم يفلحوا فى ذلك وبعضهم نجح فى الدخول إلـى المقر مـن بـاب جـانبى وذهب إلى الغـرف التـى تـم تعذيبـه فيهـا ليشـرح لزملائـه طـرق الـدخول لمبنـى التعـذيب المقـام تحـت المبنـى الواضـح فـوق الأرض فهـو سـجن كامل يحتـوى علـى العديد مـن وسـائل التعـذيب المختلفـة - النفسـى منهـا والجسدى - ، وتم العثور على العديد من ملفـات ذلـك المبنـى بعـد أن تـم التخلص من معظم ملفاته بواسطة الضباط خوفـا مـن وقوعهـا فـى أيـدى الشـعب الـذى بـالطبع سيدينهم بعد أن يكتشـف هـذا الكـم مـن المخالفـات التى ارتكبت خلال ثلاثين عاما من القهر .

ولكن من محاسن تلك الثورة وتوابعها هو سقوط رموز النظـام السـابق حيث بدأت سلسلة من الاعتقـالات القانونيـة طالـت العديـد مـن الرمـوز مثـل أولاد الـرئيس مبـارك وحتـى الـرئيس نفسـه وكـذلك زكريـا عزمـى وصفوت الشريف وفتحى سرور بالإضـافة إلـى المعتقلين السـابقين مثـل وزيـر الداخليـة ووزراء الفسـاد مثـل المغربـى وجرانـة وأنـس الفقـى ورئيسهم أحمد نظيف ومن قبلهم جميعـا أحمـد عز وغيرهم مـن رمـوز

الفساد ، ثم تطرق امر الاعتقال إلى كل المشاركين فى قتل المتظاهرين بموقعة الجمل.

ويعتبر يوم وصول أول استفتاء حر بدون تزوير يحدث فى مصر منذ عام ١٩٢٤ م هو أول يوم للديموقراطية المصرية ينبئ بنجاح الثورة فقد حدث ذلك يوم السبت ١٩ مارس ٢٠١١م ووافق فيه المصريون على تعديل الدستور ليلغى النصوص التى ابتدعها نظام الرئيس مبارك لكى يبقى فى الحكم .

وبعد كل تلك الدعائم التى سقطت فسقط معها عرش النظام السابق أحس الشعب المصرى فى الداخل والخارج بالفخر فالشعب أراد فأسقط النظام كاملا من رئيس ومجلس شعب وشورى وحزب وطنى وقوة الشرطة الغاشمة ، وقد اكتملت تلك الانتصارات بمحاكمة الرئيس وأبناءه وأعوانه ورموز نظامه ، وهنا ظهر القول المصرى باللهجة العامية داعيا كل مصرى للفخر بثورته قائلا :

" إرفع رأسك لفوق إنت مصرى " .

الباب الثالث

مستقبل الثورة المصرية

الفصل الأول : بداية الثورة المضادة ومعوقات الثورة
الفصل الثانى : مدى نجاح زلزال ٢٥ يناير وتوابعه
الفصل الثالث : تأثير التكنولوجيات الحديثة على نجاح الثورة

الفصل الأول

بداية الثورة المضادة ومعوقات الثورة

مقدمة :

لا يمكن أن تقوم ثورة فى العالم بدون وجود ثورة مضادة ومن بعدها معوقات للثورة سواء تمت بالتنظيم أو بغير تنظيم فالثورة المضادة حدثت من الملك والإقطاعيين فى الثورة الفرنسية والروسية وحتى من قادة الجيش والسافاك فى إيران وكذلك من حاشية الملك فاروق بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو المصرية ، لذلك لا يجب أن نستثنى ثورة ٢٥ يناير من ذلك التصور حيث لا بد من وجود ثورة مضادة وكذلك وجود معوقات للثورة تحاول أبطاء الحركة لأن الثورة عادة لا تدوم لفترة طويلة بفعل معوقات الثورة .

وفى مصر يمكن أن تستمر الثورة المضادة لفترة قد لا تكون قصيرة فقد تستمر لعدة سنوات كما حدث مع الثورة الفرنسية أو لسنة أو أكثر كما حدث مع الثورة الإيرانية وقد تتوقف مع انتخاب أول رئيس جمهورية بعد الثورة ولكنها فى جميع الحالات ليست قصيرة لعدة أشهر كما يتصورها البعض وسوف يصاحبها بالطبع توقف لعجلة الإنتاج أو خسائر إقتصادية شديدة وكذلك اهتزاز أمنى نتيجة إزاحة الخوف من النفوس وخاصة لدى الشباب ، حيث أن إزاحة الخوف من نفوس الشباب يترتب عليه الكثير من المآسى والصدامات التى تكبر مع فقد هيبة الشرطة وقد تصل إلى حد البلطجة وكثرة السرقات والفتنة الطائفية وحتى الفتنة العرقية .

بداية الثورة المضادة :

هناك ملامح متعددة للثورة المضادة بدأت فى الظهور منذ مساء يوم الجمعة ٢٨ يناير ٢٠١١ م يمكن تلخيصها فى التالى :

١ ـ الانفلات الأمنى وبث الرعب فى قلوب المصريين:

بدأت ملامح الثورة المضادة منذ مساء يوم الجمعة ومع الانفلات الأمنى سواء العفوى أو الممنهج حيث بدأت وسائل الإعلام فى ترويع الناس من الانفلات الأمنى وبدأت فى بث الرعب بينهم بالتحدث المنظم والممنهج عن حوادث قتل وسرقة فى كل مكان، وبالتالى يتم التأثير

علـى المـواطن المصـرى عـن طريـق إقناعـه بأنـه : لا داعـى أن تخرج من بيتك ولا داعى لأن تساند الثورة التـى ستأتى بالفوضـى كمـا هـى الآن ، ولكـن الشـعب المصـرى الـواعى تغلـب علـى النقطـة الأولـى بتشكيل لجـان شـعبية مـن الشـباب لحمايـة الممتلكـات الخاصـة بطريقـة التعبئة الشعبية كما حدث فى حرب عام ١٩٥٦م ضد الاحتلال الثلاثـى لمصـر ، وظهـرت العبـارة الشـهيرة فـى صـحف المعارضـة مثـل المصرى اليوم " الشعب فى خدمة الوطن " أى بدون الشرطة، ولأول مرة فى التاريخ الحديث تقوم دولة لعدة أسابيع بدون شرطة ولا تنهار حيـث أن عـدم وجـود الشـرطة قـد يـؤدى إلـى الانهيـار ولكـن الشـعب المصرى بتاريخه حال دون انهيار الدولة وسعى فقط إلى أسقاط النظام المتمثل فى الرئيس وحاشيته ودعائم حكمه .

٢- موقعة الخيل والجمال يوم ٢ فبراير :

ظهـرت بـادرة أخـرى للثـورة المضـادة يـوم ٢ فبرايـر بموقعـة الخيـول والجمال التـى أطلـق الشـعب عليهـا "موقعـة الجمـل" وهـى بـالطبع غيـر موقعة الجمل التاريخية الإسلامية التى حدثت فى عصر الإمام على بن أبى طالب رضـى الله عنـه ، حيـث قـام رجـال الأعمـال وبعـض أعضـاء مجلس الشعب بإرسـال " بلطجيـة " أو " شـبيحة" كمـا يقـول السـوريون لوقـف تـدفق الثـورة فـى ميـدان التحريـر ، وتـم تقسـيم أدوار أولئـك المتـواطئين علـى الشـعب تحـت قيـادة أحـد أهـم أعضـاء النظـام السـابق، فـالبعض يـدفع المـال للبلطجيـة والـبعض يجلـب الحجـارة والرخـام مـن منطقة شق الثعبان بالقاهرة وثالث يتبرع بوسائل النقل للبلطجيـة ورابـع بالطعـام وهكـذا ، وقـد أشـيع أن تكلفـة حشـد أولئـك "البلطجيـة " تكلفـت أكثـر مـن خمسـين مليـون جنيهـا ، بـل أن هنـاك شـائعات أنـه تـم توزيـع أقـراص مخـدرة علـيهم وكـأن الله سـبحانه وتعـالى أعمـى أولئـك المتواطئـون لكـى يخرجـوا هـؤلاء " البلطجيـة " عـن تركيـزهم كـى لا ينتصـروا ، ثـم أخـذت أبـواق الثـورة المضـادة فـى الارتفـاع واسـتمرت الإمدادات تتلاحق على البلطجية ووصـل الأمر إلى دفع مبـالغ مضـاعفة حيث يقال بانهـا بـدأت مـن خمسين جنيهـا وتصـاعدت إلـى خمسـة آلاف

جنيه نظير البقاء أمام المتظاهرين فى التحرير ، وأخذت المعارك مستمرة طوال الليل من شارع لآخر حول ميدان التحرير ولم يستطع أحد فى مصر أن ينام فى تلك الليلة العصيبة فى تاريخ مصر ، وفى النهاية هم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فقد جاءت النتيجة عكسية حيث استمالت القوة المفرطة للبلطجية الشعب لمساندة الثورة وتدافعت على ميدان التحرير الجموع الهادرة من كل التوجهات والأطياف الشعبية والسياسية وبصفة خاصة من أتباع الإخوان المسلمين حيث تم توزيع الأطعمة والأدوية وأقيمت المستشفيات الميدانية الشعبية والخيام وظهرت حالة التكافل الاجتماعى المصرى مما كان له الأثر الكبير على نجاح الثورة حيث يعتبر الكثيرون هذا اليوم هو يوم نجاح الثورة .

٣- مظاهرات مسجد مصطفى محمود :

استمرت الثورة المضادة باستمرار عمل حكومة الفريق شفيق لعلها تنجح فى إقناع الشعب بعيوب الثورة فبدأت تظهر مظاهرات قليلة العدد فى منطقة شارع جامعة الدول العربية وعند مسجد مصطفى محمود بالجيزة وبدأ التليفزيون المصرى يصور الأعداد على أنها أكبر من أعداد الموجودين بميدان التحرير حيث يسلط التليفزيون الكاميرا على كوبرى مايو الخالى من المارة فى التحرير ويسلط الأضواء على عدة آلاف بينهم بالطبع فنانون يحبهم الشعب على أنهم الكتلة الكبيرة ، وقد استجاب أصحاب المصانع من رجال الأعمال لذلك فأرسلوا العمال بالاتوبيسات ، وتم دفع أجورهم مع وجبات مجانية إلى ميدان مصطفى محمود تحت شعار " الجزيرة فين المصريين أهم " حتى يقوضوا ما تفعله قناة الجزيرة والعربية بنقل تظاهرات التحرير على الهواء ، ثم بدأت الصحف الحكومية والبرامج التليفزيونية فى القنوات الرسمية باجتذاب فنانين وشخصيات مرموقة وأخرى فنية لتتهم المتظاهرين فى التحرير بالفجور وانتشار الزنى و"شرب الحشيش والبانجو" بينهم وكأن التحرير عبارة عن ملهى ليلى مفتوح ، وأيضا أتى هذا الأمر بالعكس حيث أشاد كل من زار التحرير بالفعل بالالتزام - وليس من

سمع حيث أننى تواجدت بالفعل فى معظم الأيام وهناك عشرات الألوف ممن أقاموا هم وأولادهم إقامة دائمة لعشرة أيام متواصلة - وشاهد كل من زار التحرير كذلك النظام والتكافل الموجودين بالميدان، فهل يعقل أن يكون شباب الاخوان مثلا يمارسون الزنا وشرب الخمر والحشيش والبانجو فى التحرير، وهنا بدأت جموع الشعب فى المطالبة بمقاطعة الفنانين المشتركين فى هذا الأمر مما أخاف باقى الفنانين فى الاستمرار حتى لا يقعوا فى شر أعمالهم بعد نجاح الثورة أن حدث ونجحت الثورة . وينبغى ألا ننكر تواجد أى اخطاء بصفة مطلقة فما الضير إن وجد فى المليون متظاهر مائة يشربون الخمر أو خمسين يدخنون الحشيش والبانجو أو عشرين يمارسون الفجور فهذه النسبة هى واحد فى الألف لا تجعل كل من فى ميدان التحرير من المارقين والخارجين .

٤- الفتنة الطائفية والعرقية بين المسلمين أنفسهم وبين المسيحيين والمسلمين وبين العائلات والقبائل :

من أنجح الوسائل التى جربها الاستعمار الانجليزى فى مصر والفرنسى فى الجزائر سابقا واستعملها بعض الفاسدين فى الأنظمة السابقة منذ أوائل السبعينات هى محاولة إثارة الفتنة الطائفية والعرقية تحت أى مسمى وباستخدام عدة طرق ، كأن يتم التخويف من الاسلاميين والسلفيين وأن يتم حرق أو هدم كنيسة أو مقام أو محاولة إبراز قصص تتم بصورة عفوية على أنها طائفية فمثلا قصص إسلام مسيحيين أو تنصير مسلمين تتم بصورة معتادة فى الغرب ولكنها فى مصر دائما ما تكون دموية أما اعتداء مسيحى على مسلمة – حتى ولو كانت سيئة السلوك – هو من الأمور التى لابد وأن تنتهى بكارثة ، ومن هنا بدأت مظاهرات المتشددين المسيحيين والسلفيين المسلمين ضد كل شئ وضد أى شئ حتى أن أمر الاستفتاء يوم ١٩ مارس ٢٠١١ م تحول كله إلى اندفاع دينى غير مسبوق فاختيار "نعم" يعنى المسلم واختيار "لا" يعنى المسيحى حتى أن بعض المساجد والكنائس تم التنبيه فيها على تلك التوجهات . ثم تطور الأمر إلى محاولة شق

التيار الإسلامى نفسه بإبراز دور التيار السلفى ورفعه إلى سطح الحراك الإعلامى بل واستقبال رموزه على أنهم فاتحين مما جعل الشعب المصرى يتخوف من قدوم التيار السلفى وكانه " البعبع" أو "الفزاعة" التى يمكن من خلالها إخافة المصريين من الثورة والحرية التى تنتظرهم حيث أن الحرية من وجهة نظر المعارضين للثورة ستأتى دائما بالمتشددين وبالسلفيين وبالتالى لا داعى للثورة أو حتى الاستمرار فيها حتى لا تجر معها تلك العواقب السلفية الدينية .

٥- المظاهرات الفئوية :

بالرغم من أن التظاهرات الفئوية دائما ما تقوم بعد الثورات حيث أن تلك التظاهرات لها أهمية كبيرة فى كشف الفساد فى النظام القديم وتقليب التربة العفنة التى نما فيها الفساد إلا أنها فى مصر اتخذت منحى آخر حيث بدأت المطالب الفئوية تأخذ اتجاهات مختلفة بل واستغلها بعض المغرضين حيث لم تفضح فسادا بصورة واضحة ولم تقدم نموذجا عصريا باختيار أيام معينة للتظاهر مع استمرار العمل فى باقى الأيام الأخرى مما جعلها من معوقات الثورة فى العديد من تظاهراتها وليس كلها . وقد كان من أغرب ما حدث هو تظاهر موظفى أحد البنوك الحكومية الكبرى فقد تجمعوا أمام باب البنك ومنعوا الدخول وعطلوا العمل لأن الرؤساء يتقاضون أكثر من خمسة عشر ألف جنيه شهريا وهم يتقاضون عدة آلاف فقط أما رئيس البنك فراتبه وحوافزه تتجاوز المليون جنيه شهريا ففضحت تلك الحادثة ما كان مخفيا داخل دهاليز البنوك وأطلعت الشعب كله على رواتب العاملين بالبنوك والتى أدنى مرتبات للعاملين فيها – وهم القائمون بالمظاهرة أمام البنك – يفوق ما يحصل عليه المدير العام فى معظم المصالح الحكومية الأخرى مما يوحى بأن هناك سوء توزيع للدخل حتى فى داخل المصالح الحكومية نفسها .

ولم يقف أمر المظاهرات الفئوية عند البنوك فقط بل تعدى تلك المرحلة ليصل إلى كل الفئات فأصبح العاملون فى معظم المصالح والوزارات يتظاهرون اعتراضا على تردى أوضاعهم المالية ، وأخذت كل فئة من

فئـات الشـعب تتجمـع لكـى تقـوم بمظـاهرة حتـى ولـو بسـيطة أمـام مجلس الوزراء أو الوزارة المختصـة أو حتـى المجلس الأعلـى للقوات المسلحة لعرض مطالبهم .
وينبغى للمتابع لتلك المظاهرات الفئوية ألا يعتبر أنها كلها من معوقـات الثورة فبعضها بالفعل يبين ما كـان عليـه الحـال خـلال ثلاثين عامـا من الفساد الذى استشرى فى كل قطاعات الدولة المصرية .

٦ ـ بطء العدالة وصعوبة اتخاذ القرارات :

بعد قيام الثورة توقع الشعب المصرى أن يتم اتخـاذ قرارات ثوريـة فـى الأمور الهامـة مثل كل الثورات التـى تمت فـى كل الـدول فيجب علـى الفور محاسبة المخطئين فى حق الشعب وحق الثورة ولكن لم يتم ذلـك علـى الفور، عندئذ أحس المصـريون بـأن هنـاك ثمـة علامـات استفهام على بطء القرارات الثورية حتى فى مجال فرض الحراسات على كبار رجـال الدولـة وهـو إجـراء احتـرازى يمكـن أن يـتم بصـورة قانونيـة احترازية ثم تتولى الجهات القضائية التحقيق فيما بعد .
كما أن بطء الإجراءات القضـائية ضد كبـار رجـال النظـام السـابق كـان من دواعى الشك فى محاولـة وأد الثورة من جانـب العديد من الجهـات بالإضافة إلى احتمالية تهريب الأموال و" غسلها " نظـرا لطول الفتـرة الانتقالية ، فبدأت الشـائعات تسـرى فـى أوصـال الشـعب المصـرى عن تواطئ واضح فى التحقيقات وطالت تلك الشائعات العديد من المحققين ووكلاء النيابـة وامتدت تلـك الشـائعات لتتهم بعض القضـاة الـذين كـان يشـاع عـنهم ولاءهـم التـام للنظـام السـابق- ولا توجـد وثـائق توكـد تلـك الشائعات ولكن لعمل بعضهم منتدبا فى أمـاكن حكوميـة - حيث كانـت أحكـامهم الرادعـة تـتم خـلال شـهرين أو أقـل فـى القضـايا التـى تخـص أعداء النظام السابق ، وكانت تلك القضـايا تغلق تمامـا ليكـون صـاحبها فى السجن خلال ثلاثة أشهر . أمـا مـا حـدث مـن الشـباب فـى محـاولتهم تنظيف الشوارع وإعادة مصر إلـى بهجتهـا تـم وأدهـا منـذ بـدايتها وكـأن بـطء نـزول مـوظفى الأحيـاء والـوزراء فـى حكومـة الـدكتور شـفيق واحتـواء أولئـك الشـباب جعلهـم يحبطـون ويرجعـون مـرة أخـرى إلـى

المقاهى ، بل أن مشاهدة المرؤوسين لرؤسائهم وهم يعيثون فسادا كما كانوا من قبل أشعرهم بالاحباط الشديد ، فما فائدة الثورة إن لم تقلب الأوضاع وما أسهل عمل ذلك بدون هدم المؤسسات فما يضير إن حل الإداريين الأقل فى السلطة - وخاصة الشباب منهم - محل السلطات الأعلى التى جاء معظمها بطريقة الولاء والوراثة وأصبحوا على رأس النظام وما الضير فى تقاعد كل وكلاء الوزارات ورؤساء مجلس الإدارات والمديرين والمستشارين وكل رؤساء تحرير الصحف والمجلات وحتى كل عمداء الكليات ورؤساء الجامعات فلن يؤخر تقاعدهم من الأمور شيئا حيث أن معظمهم تمت ترقيتهم حسب القواعد القديمة المعتمدة على الولاء وليس الكفاءة . ونتيجة لهذا الأمر حدث بطء فى محاكمات رموز الفساد وكذلك فى صرف مستحقات أسر الشهداء مما أدى إلى وقوع أكبر توابع لزلزال ٢٥ يناير يوم ٨ يوليو ٢٠١١م وهو قيام تظاهرة مليونية بميدان التحرير مرة أخرى لمحاولة تصحيح مسار الثورة لتعود مرة أخرى للشعب المصرى ويحس كل الشعب على جميع مستوياته بأن هناك ثورة قد قامت ، وبالفعل حقق ذلك التابع من توابع الزلزال الكثير من المطالب من تغيير الحكومة إلى محاكمة الرئيس السابق نفسه بصورة علنية .

٧- محاولة الوقيعة بين الشعب والجيش :

قد تمتد آثار الثورة المضادة لتصل إلى القوات المسلحة وبعض أفرادها الذين هم أيضا من أفراد الشعب حيث قد تحدث مناوشات بين أفراد من الجيش والشعب تحت أى ظروف تساندها عناصر من الثورة المضادة بهدف خلق حالة من عدم الاتزان فى الشارع المصرى لكى يترحم الشعب على الأيام الخوالى قبل الثورة وقد ينتج عن تلك المناوشات ما لا يحمد عقباه وقد حدث ذلك فى العديد من الثورات فى بدايتها كما حدث فى رومانيا وفى إيران وحتى مع ثورة ٢٣ يوليو المصرية حين تم الوقيعة بين الجيش والإخوان المسلمين عام ١٩٥٤ م وترتب على ذلك حملة اعتقالات طالت الإخوان .

٨ ـ الثورة المضادة الخارجية القادمة من الدول المجاورة :

من أشد الثورات المضادة التى لم تظهر فى مصر بصورة علنية واضحة هى الثورة المضادة القادمة من الخارج فقد حدث ذلك مع الثورة الفرنسية والثورة الإيرانية من قبل. فقد لا ترضى الدول المجاروة فى منطقة الشرق الأوسط الكبير الممتد من إيران إلى المغرب عن التطور الذى سيحدث فى مصر لأنه سيجلب الخير لمصر وسيجلب معه الشر لتلك البلاد لذلك ستسعى تلك البلاد بكل قوة لوأد الثورة المصرية بكل الطرق الرسمية وغير الرسمية لأن تطور مصر سيجلب الشر لتلك الدول من منطلق أمرين هامين كلاهما مر : فالأول من وجهة نظرهم هو أن علو شان مصر سيخفض شأن بلاد كثيرة وسوف يعيد مصر إلى عصر التفوق كما كانت فى عصر عبد الناصر - والمصرى فرعون بطبعه- ولسوف يتدخل فى أمور كثيرة وسيساند الحركات التحررية فى بلاد متعددة مما سيجلب لهم الشر لا محالة ، والأمر الثانى هو أن انتصار مصر ومحاكمة الرموز السابقة سيجعل شعوب تلك المنطقة تتوق إلى محاكمة حكامها مما سيجعل العروش فى الدول المجاورة على شفا الانهيار وبالطبع لن ترضى تلك الحكومات عن حدوث مثل تلك الأمور ولسوف تتدخل بصورة كبيرة لمنع الثورة أو على الأقل منع محاكمة رؤوس النظام وسجنهم .

والغريب فى الأمر هو ظهور بوادر تخوف لدى دول غير عربية مثل الصين وبعض دول أمريكا الجنوبية وحتى بعض الدول الغربية من وصول الثورات العربية إليها فهل ستقف تلك الدول موقف المتفرج أم ستنزل الملعب الثورى لتلعب مع الفريق المعاكس للدول الغربية المساندة للثورات؟.

والخلاصة التى نؤكد عليها أن الثورة المضادة سواءً الممنهجة من فلول النظام السابق أو العفوية من جموع الشعب التى خرج من داخلها الخوف ستستمر لفترة قد لا تكون قصيرة وينبغى أن يتقبلها الشعب المصرى بما فيها من قلاقل ومناوشات وتراجعات كما هى ، فهى ليست جديدة على كل الثورات ولسوف تؤخر الوضع الاقتصادى

المصرى لفترة قد تتعدى السنة وقد تصل لعدة سنوات ولسوف يعانى منها كل المصريين كما عانت الشعوب من قبل أشد المعاناة لفترة طويلة فرجال الأعمال الفاسدين (مثلهم مثل نبلاء الثورة الفرنسية أو باشاوات مصر قبل الثورة) يتخوفون من المحاسبة ومن المحاكمات ويرتعدون من السجن وحتى من الإعدام لذلك لن يقفوا ساكنين ساكتين ولسوف يتحركون كل حسب قدرته فى اتجاه عكس الثورة ، ولو أنك تصورت عزيزى القارئ أن هناك ٥% من الشعب المصرى كان مستفيدا من الوضع السابق فهل سيكست هؤلاء الأربعة ملايين كلهم أم أن هناك على الأقل عشرهم أى أربعمائة ألف سيأخذون اتجاها عكس عقارب الساعة الثورية. أما المتدينون الأشداء من المسلمين والمسيحيين فسيتحركون أيضا كل فى اتجاهه حيث ينشد المسلمون دولة إسلامية تطبق الشريعة وينشد المسيحيون دولة ليبرالية تعطى للأقليات حرية أكبر وكل منهما أيضا سيكون سائرا فى اتجاه عكس اتجاه الثورة. وبنفس المقياس السابق فلو كان المتشددون الاسلاميون يشكلون – بدون تقدير واقعى يمكن الاطمئنان إليه – ثلاثة ملايين فعشرهم أى ثلثمائة ألف جاهزون للانقضاض على الثورة لتصبح ثورتهم بدلا من أن تكون ثورة الشعب المصرى ، وبالنسبة للمسيحيين الذين يشكلون حوالى ثمانية ملايين نسمة فعشرهم أى ثمنمائة ألف هم من عناصر مناهضة للثورة التى قد يتصورون أنها تسلبهم حقوقهم من وجهة نظرهم [٢٤] . وبالتالى لو أنك حسبت بحسبة بسيطة هؤلاء الأعشار المضادين للثورة فستجدهم يتجاوزون المليون ناشط متحرك بينما جموع الشعب الأخرى وهم يفوقون الثمانين مليون ساكتون وراضون عن الثورة بلا أى صخب او صوت عال .

[٢٤] من الغريب عدم وجود إحصائية دقيقة للمسيحيين فى مصر ، حيث تقوم عادة منظمات المجتمع المدنى والجامعات المعترف بصحة بياناتها بتلك الإحصاءات حتى لا تستشعر الدولة حرجا ، ويمكن ان يستفيد من ذلك حتى رجال الأعمال حيث أن بعض الأعمال تعتمد بصورة اساسية على تأثير الدين ، فمثلا استهلاك اللحوم والمنتجات الحيوانية فى الصيام المسيحى لا يكاد لا يذكر فيتأثر بذلك صانعو ومستوردو اللحوم ومشتقاتها بالتالى يزيد استهلاك الزيوت وأحيانا الأسماك فقد يحتاج هؤلاء إلى وجود إحصائية تقريبية واضحة لعدد المسيحيين ونسبتهم فى نسيج الأمة . أما من الناحية التقريبية لتعداد المسيحيين فيقدرهم موقع المخابرات الأمريكية على الانترنت بأقل من ستة ملايين ويقدرهم المصريون بصورة غير رسمية بعشر السكان أى ثمانية ملايين نسمة.

الفصل الثانـى
مدى نجاح زلزال ٢٥ يناير وتوابعه

لقد اعتادت الدول الغربية على تقييم أى تجربة بعد مرور فترة من الزمن بعضها مائة يوم وبعضها عام لتلمس بوادر نجاح تلك التجربة أو فشلها وكذلك وضع أسس جديدة لتلك التجربة أو تغيير بعض أسسها لضمان استمرار نجاح تلك التجربة فى تقديم التغيير المطلوب منها، وينطبق هذا الأمر على تعيين أى مدير جديد أو وزير جديد ويتم تقييم سير العمل فى الشركة أو الوزارة بعد تلك الفترة من خلال حجم التقدم الذى حدث لسير العمل أو زيادة المبيعات ، وتطبق أيضا نفس القواعد على تولى رئيس وزراء جديد أو رئيس جمهورية جديد لمنصبه حيث تقيم التجربة بعد مائة يوم أو بعد مرور عام من خلال دراسة استطلاع رأى لشعبية ذلك الرئيس أو رئيس الوزراء ومقارنة النتائج الجديدة بنتائج ما قبل تولى المنصب وهل هناك زيادة أم تدنى فى الشعبية التى حصل عليها .

والسؤال الآن هو هل يمكن تطبيق تلك القواعد على ثورة ٢٥ يناير المصرية أو دراستها قبل مرور عام على الأقل أم أن الثورات تحتاج إلى عدة أعوام لظهور بوادر نجاح أو فشل تلك الثورة فى تحقيق أهدافها ، الحقيقة أنه من العسير تطبيق معيار الزمن القصير أو الفشل والنجاح لتقييم أى ثورة لأنها تبدأ وليدا ضعيفا لا يستطيع الوقوف على قدميه مما يصعب تقييمه ولكن يمكن تلمس طريق العام الأول لمعرفة اتجاه تلك الثورة وليس لقياس درجة النجاح والفشل . فهناك العديد من الثورات التى قامت سابقا وتم حسمها خلال مائة يوم وأيضا هناك الكثير منها لم يتم حسمه حتى خلال مائة شهر. ولكى نحكم على استمرار نجاح الثورة ينبغى التأكد من معايير نجاحها المتمثل فى تحقيق البنود التالية :

١- تغيير النخبة الحاكمة فى الدولة
٢- تغيير الوضع السياسى للدولة
٣- تغيير الوضع الاجتماعى للدولة
٤ - تغيير الوضع الاقتصادى للدولة

وعند دراسة المتغيرات السابقة سنجد أن ثورة ٢٥ يناير تسير على النسق المطلوب الذى يجعل منها ثورة من أهم الثورات فى التاريخ الحديث بالرغم مما قد شاب فترتها الإنتقالية من عثرات متوقعة مرت بها كل الثورات الشعبية السابقة ، وبالطبع تمتد تلك الفترة الانتقالية لأعوام. فقد تقدمت الثورة تقدما كبيرا فى تحقيق المعايير السابقة بل أن أهم معايير النجاح وهو تغيير النخبة الحاكمة قد تم بالفعل ، أما باقى المعايير فهى فى طريقها للتحقيق، لأن تحقيق المعايير الأخرى قد يأخذ فترة من الزمن تصل إلى عشر سنوات كما حدث فى الثورة الفرنسية أو حتى عشرين عاما كما حدث فى الثورة الرومانية أو ثلاثين عاما كما حدث للثورة الإيرانية ، وبالتالى يمكن التحقق بنسبة كبيرة من نجاح الثورة المصرية على المستوى العام .

موقع الثورة المصرية على خارطة الثورات العالمية :

إذا حاولنا أن نضع الثورة المصرية على خارطة الثورات العالمية فإننا سنصطدم بالفعل بحائط الثورة التونسية التى سبقت الثورة المصرية فى طريقة اشتعالها وحتى فى طريقة سيرها ولكن حكم التاريخ له رأى آخر ، فقد مرت فرنسا مثل مصر بنفس السابقة حيث سبقت ثورة الولايات المتحدة عام ١٧٧٦ م الثورة الفرنسية التى قامت عام ١٧٨٩م ولكن نظرا لزخم الثورة الفرنسية ومكانة فرنسا فى ذلك الوقت فقد غطت أحداثها على أحداث الثورة الأمريكية العظيمة ، وبنفس الطريقة قامت الثورة التونسية أولا ولكن الثورة المصرية خطفت منها الأضواء نظرا لمكانة مصر بين دول الشرق الأوسط والدول العربية والإسلامية وبالتالى أصبحت الثورة المصرية – على غير الحقيقة التاريخية – هى أول ثورة أساسها ديجيتال تنجح فى العصر الحديث بل وتجتذب العالم إليها وتؤثر فى سير الأحداث العالمية ، وقد يمتد ذلك التأثير ليصل إلى دولا أخرى حتى غير عربية، حيث أن الطريقة المصرية فى التفاف الشباب حول الثورة عبر الوسائل التكنولوجية الحديثة اجتذب وستجتذب شبابا فى دول أخرى لكى يتجمعوا حول مطلب معين عبر فيسبوك أو أى موقع اجتماعى

يبث من خلال شبكة الانترنت وأجهزة الكمبيوتر حول عالم وهو ما بدأت بوادر ظهوره فى الصين وحتى فى بعض البلاد الأوربية. وبالتالى تكمن أهمية الثورة المصرية فى تلك الفكرة التى جعلت النظام يتغير كاملا اعتمادا على واقع خيالى يظهر على شاشات الكمبيوتر ثم يتحول إلى حقيقة بطريقة سلمية ، فتتغير النخبة الحاكمة بطريقة تدعو إلى الدهشة التى لا بد من دراستها بعمق خلال السنوات القادمة . فقد تغير نظام الرئيس السابق حسنى مبارك عبر مجموعة من العوامل التى استندت على أسس تكنولوجية حديثة ولم تعتمد لا على الخطب الرنانة التى قام بها روبسبير فى الثورة الفرنسية ولا على الخطب الدينية التى ألقاها الإمام الخومينى فى إيران ولا على أفكار ومقالات لينين ورفاقه فى الثورة الروسية ، ولكنها قامت على تجميع الشباب وجميع فئات الشعب المصرى الأخرى - وبدون ظهور لقادة واضحين - من خلال الكمبيوتر ورسائل الموبايل وحتى القنوات الفضائية ثم يتحول هذا التجمع النظرى إلى تجمع عملى ظهر يوم ٢٥ يناير ثم يتحول إلى ثورة شعبية حقيقية يوم ٢٨ يناير لتلتف كل جموع الشعب حولها فتظهر الثورة للوجود وتحقق أولى مطالبها بعد مرور ثمانية عشر يوما وبالتحديد يوم الجمعة ١١ فبراير وهو يوم تنحى الرئيس السابق حسنى مبارك . وإذا أردنا أن نؤكد ذلك للقارئ فينبغى أن نشير إلى هذا الكم من المعلومات التى كتبت عن مصر فى كل الصحف والمجلات ومواقع الانترنت العالمية والتى جعلت من مصر خلال شهر فبراير عام ٢٠١١م هى الدولة الأولى فى الذكر فى كل وسائل الإعلام . ولم تحصل مصر فقط على جائزة شهر فبراير العالمية بل حصل ميدان التحرير نفسه على جائزة نوبل الميادين كأشهر ميدان فى العالم خلال عام ٢٠١١م بل وأصبح رمزا للحرية ليس فى مصر وحدها بل فى العالم أجمع .

الفصل الثالث

تأثير التكنولوجيات الحديثة على نجاح الثورة

أولا : مقدمة

لا يمكن أن نختم هذا الكتاب عن تاريخ الثورة المصرية الحديثة دون الإشارة إلى أهم ما ميز تلك الثورة عن غيرها من الثورات التى تمت خلال العقود والقرون السابقة وهو ما وضعها فى مصاف أهم الثورات التى تمت خلال التاريخ الحديث .

لقد قامت تلك الثورة من خلال واقع افتراضى غير حقيقى يتواجد فقط على شاشات الكمبيوتر بدلا من المقالات والخطب والمنشورات والبنادق والكفاح المسلح الذى كان يتم فى الثورات السابقة ، ثم تطورت الثورة وانتقلت إلى الواقع الحقيقى بالنزول إلى الشارع يوم ٢٥ يناير ٢٠١١ م ثم تحولها إلى ثورة حقيقية يوم الجمعة ٢٨ يناير الذى يعتبر هو اليوم الحقيقى لبداية الثورة . وبالتالى يمكن أن نطلق عليها عند بدايتها **" ثورة ديجيتال "** تحولت إلى ثورة حقيقية.

لقد كان لوسائل التكنولوجيا الحديثة الدورالأكبر فى قيام الثورة فلا يمكن أن ننكر تلك الوسائل الحديثة التى استخدمها شباب الثورة المتمثلة فى كل من : الانترنت – الموبايل – القنوات الفضائية

١- الانترنت :

بالرغم من وجود الانترنت منذ نهاية الستينات فى حوذة المؤسسة العسكرية الأمريكية وانتقاله إلى الجامعات مع منتصف السبعينات إلا أنه لم يظهر للوجود للمستخدمين العاديين حتى فى الولايات المتحدة إلا بداية عام ١٩٩٣ م، وأحدث فى تلك الفترة نقلة نوعية قضت على استخدام البريد العادى والتلكس ليحل محلها البريد الالكترونى، وكذلك سهل الحصول على المعلومات عبر الولايات الأمريكية ، ثم انتقل إلى دول العالم ومن بينها مصر نهاية ذلك العام ومطلع عام ١٩٩٤ م، وكان يستخدم فى نقل بيانات الانترنت خط التليفون العادى ، ثم أخذ فى التطور والتنامى حتى اكتمل بصورة كبيرة عام ٢٠٠٣ م وأصبح مستخدما فى كل دول العالم عن طريق خط ربط مباشر يتم تأجيره بمبلغ زهيد ليعمل على مدار ساعات اليوم .

٢- الاتصالات من خلال الموبايل ورسائل الموبايل :

يشبه تاريخ الموبايل تاريخ شبكة الانترنت من حيث نشأته قبل السبعينات ثم تعرف الباحثين عليه منتصف السبعينات ثم انتشاره عام ١٩٩٧ م، ويستخدم لانتشاره موجات عالية التردد تفوق موجات الراديو، ثم حدث له نقلة نوعية أخرى بدخول الكاميرات ثم نقلة هامة مع نهاية عام ٢٠٠٧ م باستطاعته الدخول على الانترنت وانتشرت تلك الأجهزة عام ٢٠٠٨ م وأخيرا عام ٢٠١٠ م ظهرت أجهزة تخلط بين الكمبيوتر والموبايل مثل أجهزة آى فون وآى باد .

٣- القنوات الفضائية :

مع نهاية عام ١٩٩٣ م انتشر مشاهدة قنوات الستلايت فى البلدان العربية وكان عدد القنوات التليفزيونية العربية المتواجدة على القمر الصناعى الأوربى أو عربسات محدود جدا ، ثم تطور الأمر مع نهاية التسعينات حيث انخفض ثمن الأجهزة وملحقاتها مما ساهم فى جذب القنوات العربية فأطلقت مصر قمرها عام ١٩٩٨ م ليجتذب المشاهد العربى ، ومنذ عدة سنوات انخفض ثمن المكونات ليستطيع كل مشاهد اقتناء تلك التكنولوجيا فساهم ذلك فى شهرة القنوات الفضائية العربية بصورة كبيرة وأصبحت قنوات مثل الجزيرة والعربية والبى بى سى هى قنوات الأخبار المعتمدة لدى العرب .

ولا يمكن أن نقول أن الثوار فى مصر أو فى الدول العربية عرفوا تلك التكنولوجيات خلال الثورة فقط لأن بوادر استخدام تلك التكنولوجيات الحديثة فى الواقع السياسي المصري بدأت منذ انتخابات الرئاسة عام ٢٠٠٥ م حيث استخدم كل من المرشح أيمن نور وكذلك الرئيس السابق حسنى مبارك لتكنولوجيات رسائل الموبايل SMS فى الدعاية الانتخابية كما استخدم كلاهما موقع حزبه على شبكة الانترنت ليقدم أفكاره ، إلا أن الاستخدام الحقيقى لشبكة الانترنت قى الواقع السياسى المصرى يبدأ منذ مطلع عام ٢٠٠٨ م حيث دعت أحد الحركات الشبابية والتى سميت بحركة شباب ٦ ابريل إلى إضراب عام يوم ٦

ابريل عام ٢٠٠٨م واستجاب لها الآلاف فبدأت أول مظاهرة الكترونية فى الواقع السياسى المصرى حيث استجاب عشرات الألوف لذلك الإضراب واستجاب كذلك عدة آلاف ليحولوه إلى واقع عملى فنزلوا فى تجمعات فى القاهرة والاسكندرية والمحلة قوبلت جميعها بالقوة من جانب النظام آنذاك بل بدأ فى تلك الاحتجاجات تطبيق مفهوم أمنى جديد يعتمد على التوسع فى استخدام مفاهيم جديدة للأمن والقمع تعتمد على أفراد الشرطة المرتدين لملابس مدنية واندساسهم وسط المحتجين ، بل أنهم قاموا بعمل تحرش بالنساء المشاركات فى المظاهرات ليمنعوهم من القيام باحتجاجات مرة أخرى ، وبالفعل نجح الأمن فى قمع تلك التظاهرات سواء بالتفريق أو بالقبض على العناصر المؤثرة فى تلك الحركة فى القاهرة والمحلة والاسكندرية والسويس . ثم تطور الأمر مع زيادة تعرف الشباب المصرى على المواقع الاجتماعية مثل فيسبوك وتويتر ويوتيوب ليتم عمل "جروب" لكل مجموعة على شبكة الانترنت بدأت تستقطب عددا أكبر من الشباب فأصبح بذلك عام ٢٠٠٨ م هو العام الأول للثورة المصرية على الانترنت . ومنذ عام ٢٠٠٨ م أخذ الشباب فى تطوير استخدام تلك الوسائل حتى أنهم استخدموها بطريقة أثارت عجب ودهشة الكبار، فقد قاموا بالدخول على المواقع التى يتم حجبها من حين لآخر باستخدام مواقع بروكسى وهى مواقع تقدم العناوين والمواقع الممنوعة أو المحجوبة من خلالها فيصبح العنوان URL هو عنوان موقع البروكسى بينما المحتوى من الداخل هو الموقع المحجوب ، بل وزادوا الأمر تعقيدا لمتابعة الشرطة لهم بالدخول على الانترنت من خلال وسائل غير تقليدية باستخدام موبايلات "بلاك بيرى" أو أجهزة كمبيوتر محمولة متطورة يمكنها الدخول من خلال الأرقام الأجنبية التى أتاحتها شركة جوجل مجانا وذلك عن طريق شرائح الموبايل التى يتم توصيلها بالأجهزة المحمولة .

ثانيا : أشهر المواقع الاجتماعية التى ساهمت فى نجاح الثورة المصرية

١- موقع فيسبوك www.facebook.com وهو موقع يمكن من خلاله التعامل مع الحوارات المباشرة وتبادل الصور والانضمام إلى مجموعات يمكن إنشاءها بسهولة ويسر ، لذلك فهو من أشهر المواقع الاجتماعية على شبكة الانترنت على الإطلاق فبالرغم من تأسسه عام ٢٠٠٣ م إلا أنه أخذ شهرته المصرية مع مطلع عام ٢٠٠٨ م فهو الذى استقطب العديد من الشباب من خلال أكثر من جروب على شبكة الانترنت كان أشهرها " شباب ٦ أبريل" ثم استخدمه الدكتور محمد البرادعى والجمعية الوطنية للتغيير من خلال أكثر من جروب للجمعية الوطنية للتغيير ثم استخدمته جماعة الإخوان المسلمين من خلال أكثر من جروب لشباب الإخوان واتحد الاثنان السابقان بصورة مؤقتة من خلال جمع مليون توقيع للجمعية الوطنية للتغيير والذى تحقق بالفعل عام ٢٠١٠ م ، ثم تعددت المواقع مثل "رصد" و "حنغير" وغيرها.
إلا أن الجروب الأشهر والأقوى هو جروب " كلنا خالد سعيد " الذى أسسه مجموعة من الشباب برئاسة وائل غنيم واستقطب خلاله مئات الألوف من الشباب وصل عددهم إلى ما يزيد عن ٤٣٠ ألف قبل قيام الثورة ، وكانوا جميعا يتواصلون فيه بصورة تدعو للدهشة مما جعل هذا الجروب مراقبا بشدة من الشرطة المصرية ونظنه كذلك من وسائل المخابرات حتى غير المصرية حيث تم طرح العديد من الأفكار والأشكال للتحرك ضد النظام وقد نبع منه بالاشتراك مع حركة ٦ ابريل فكرة قيام تظاهرات يوم ٢٥ يناير وهو يوم عيد الشرطة وكذلك الدعوة لجمعة الغضب يوم ٢٨ يناير مما كان له الأثر الأكبر على قيام الثورة . ولا يمكن لأى قارئ للأفكار أن يهمل مقولة أن موقع فيسبوك هو مرتع أجهزة المخابرات الخصب حول العالم حيث يمكن من خلاله معرفة أى شئ عن أى بلد فى العالم من خلال حوارات الشباب فى المجموعات ليس فى مصر وحدها ولكن فى كل العالم.

٢- موقـع يوتيـوب www.youtube.com وهـو موقـع لبـث المقاطع الصوتية والفيديو وكان أكثر شهرة من فيس بوك قبل عام ٢٠٠٨ م حيث كان يعرض كل الخطب ومقاطع الفيديو التى تشجع على الثورة والتى تدين الشرطة وتظهر التعذيب الممنهج الذى يتم فى أقسام الشرطة وأخذ شهرته الكبرى عام ٢٠١٠م حين كثرت مقاطع فيديو عن تعذيب وفساد فى الشرطة حيث استقطب الفيديو الشهير - على صحته أو تزويره - الذى يظهر فيه بعض رجال الشرطة فى الاسكندرية وهم يقومون بتقسيم شحنة مخدرات تم ضبطها فيما بينهم ويتركون جزءا صغيرا منها لكى يتم "تحريزه" على أنه الشحنة المضبوطة وقد قيل أن وراء هذا الفيديو المسرب الشاب خالد سعيد أيقونة الثورة ، ثم تطورالموقع لكى يذيع تسجيلات تحض على الثورة من كل رجالات الثورة بدءا من الدكتور البرادعى إلى أشخاص لهم تأثير مثل الشيوخ المعارضين كالشيخ القرضاوى إلى بعض الفنانين مثل حمدى قنديل وخالد الصاوى وعمرو واكد . ولم يقف الأمر عند ذلك بل كانت تنقل تصريحات المعارضين التى تبث عبر برامج التوك شو التى تذاع فى تليفزيون القنوات الخاصة الفضائية مثل قناة الجزيرة والعربية والبى بى سى والمحور والحياة وأوربيت ودريم لتصل للشباب على الانترنت الذين لا يشاهدون التليفزيون عادة لعدم اهتمامهم بتلك القنوات .

٣- موقع تويتر www.twitter.com وهو الموقع الأحدث حيث اشتهر منذ عام ٢٠٠٧ م ويتميز بإمكانية عرض وجهات نظر المشتركين على الحساب الخاص لكل منهم بكتابة الرسائل مباشرة أو إرسالها من الموبايل ومن مواقع أخرى لتظهر فى صفحة المشترك مما كان له الأثر فى وصول الأخبار الصحفية القصيرة التى لا تزيد عن ١٤٠ حرفا حتى فى حالة قطع الانترنت لأنه يمكن إرسال الرسائل إليه من الموبايل ، وكان يداوم على إرسال الرسائل به الحركات والتجمعات الشبابية المشهورة ، كما كان الشباب يستخدمون هذا الموقع لتبادل الفيديوهات وعناوينها وروابطها .

ثالثا : أشهر المواقع غير الاجتماعية التى ساهمت فى نجاح الثورة

١- مواقع الصحف والمجلات والقنوات الفضائية:
هناك مواقع أثرت بشكل واضح على مسار الثورة مثل مواقع الصحف والمجلات والقنوات الفضائية الشهيرة ومنها : موقع صحيفة الدستور الأصلى وموقع جريدة المصرى اليوم واليوم السابع وموقع جريدة الشرق الأوسط فى لندن وحتى موقع الجزيرة على الانترنت وكذلك موقع بى بى سى وموقع مصراوى الإخبارى فقد كان لكل منهم تأثيره قبل قيام الثورة وحتى وقت قيام الثورة وقطع الانترنت عن الشركات الكبرى المقدمة للخدمة فقد كانت بعض الشركات الصغيرة تقدم خدمة الانترنت لمدة وصلت إلى أسبوع بعد قيام الثورة .
٢- مواقع الأحزاب والجمعيات :
مثل موقع الإخوان المسلمين www.ikhwanonline.com **وموقع** الجمعية الوطنية للتغيير www.taghyeer.net الذى بدأ فكرة جمع مليون توقيع لتغيير الدستور ، وكذلك موقع حزب الوفد www.alwafd.org وحزب الغد الذى انقسم إلى جناحين وكذلك المواقع المختلفة للجمعيات على موقع فيس بوك مثل جماعة ٦ ابريل وشبكة رصد وحتى موقع جماعة الإخوان المسلمين على فيسبوك.
٣- مواقع المدونات الشخصية والمنتديات :
وكانت غير واضحة التأثير على سير أحداث الثورة حيث لم تجتذب العدد الكبير المؤازر لها من الشباب ولكن لا يمكن إهمال دورها .

رابعا : رسائل الموبايل SMS

كان لرسائل الموبايل أثر كبير فى تطور الثورة حيث كانت ترسل من خلاله المعلومات عن التجمعات ليتم نشرها على الانترنت وكذلك تبادل الآراء والنكات والمواقف التى تسخر من الحكومة والنظام ، وأيضا كان يستخدمها الشباب لإرسال رسائل لمراكز حقوق الانسان فقد انتشرت وصية بين المتظاهرين مفادها أنه يجب تخزين رسالة نصية لإرسالها لمراكز حقوق الانسان قبل النزول للمظاهرات ويجب

إرسالها بسرعة بمجرد القبض على الشخص المتظاهر وقبل أن تقوم الشرطة بإتلاف الموبايل الخاص به .
ونكاد فى نهاية هذا الفصل أن نوقن بأن تلك التكنولوجيات الحديثة كان لها الأثر الكبير على قيام الثورة المصرية ويحتاج هذا الأمر إلى دراسة موسعة فى كتاب منفصل لكى نعطى تلك الوسائل التكنولوجية حقها فى التأثير على الثورة المصرية.

الملاحق

الملاحق

ملحق رقم (١)

جماعة الإخوان المسلمين

بعد انتشار المسيحية ظهر بين المسيحيين منذ العصر الأول كلمة لم يعتد عليها الرومان وهى كلمة " أخ أو أخت" و " إخوان " كناية عن المسيحيين المتدينين ضد الرومان الوثنيين وتطورت تلك الكلمة لتتغلغل فى صلب الديانة المسيحية وينشأ من خلالها جماعات متعددة تحت مسميات متعددة تتضمن لفظ " الإخوة والأخوات " المسيحية ومن بعدها الإخوان المسيحيون وشبيبة الأخوة المسيحية وكلها جماعات ذات أهداف اجتماعية خيرية وتنموية تحمل مغزى دينى انتشرت فى أوربا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين لتدعو للتكافل الاجتماعى والمبادئ المسيحية الدينية .

أما فى الاسلام فقد تنبه المسلمون إلى ورود نفس اللفظ بنفس المعنى فى القرآن حيث يقول الله فى كتابه الحكيم " إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم " ولكن لم ينتشر لفظ إخوان بصورة كبيرة خلال القرون الأولى للإسلام ولكن فيما بعد اتبعت بعض التيارات الإسلامية وخاصة الصوفية منها ذلك الاسم مثل جماعة " إخوان الصفا " ، ومع بداية القرن العشرين ووجود الاحتلال البريطانى وسفر العديد من الشباب للخارج وتعرفهم على تلك الجماعات الدينية الخيرية المسيحية انتشرت فى مصر جمعيات مشابهة تحمل أهدافا خيرية واجتماعية مثل جماعة الإخوان المسلمين .

ومع نهاية عشرينات القرن الماضى ومن نتائج ثورة ١٩١٩ م ظهرت تلك الجماعات الدينية المعتمدة على العمل الخيرى وحسب ما ينقل موقع جماعة الإخوان المسلمين على الانترنت www.ikhwanonline.com البيان التالى المعبر عنها حيث تقول الآتى: " اهتمَّت جماعة الإخوان المسلمين منذ نشأتها سنة ١٩٢٨م بتوضيح فكرتها وتبيان حقيقة دعوتها وكونها هيئةً إسلاميةً جامعةً، تحمل مشروع اليقظة في العالم الإسلامي كله، ولذلك أكدت منذ البداية

مرجعيتها الإسلامية ومنهجها في العمل، وسجَّلت كل ذلك في أدبياتها الكثيرة التي تحتشد في المكتبات ويعتمد عليها الباحثون والدارسون في شتَّى التخصصات." والحقيقة أن البيان السابق يعبر عن موقف الإخوان منذ نشاتها على يد الإستاذ الراحل حسن البنا وإخوانه فى مطلع الثلاثينات من القرن الماضى حين اختلفت تلك الجماعة عن الجمعيات المسيحية فى إمكانية أن تحمل أهدافا سياسية إلى جوار الأهداف الخيرية والإجتماعية ولكنها ذات مرجعية دينية وهو ما جعلها تقترب من فكرة الأحزاب المسيحية الأوربية التى نشات خلال القرن العشرين والتى مزجت الدين بالسياسة ولكنها – أى جماعة الإخوان المسلمين- لم تحبذ أن تتحول إلى حزب سياسى واضح المعالم منذ نشأتها عام ١٩٢٨ م إلى بداية عام ٢٠١١ م خاصة بعد حل حزب العمل الذى أسسه إبراهيم شكرى منتصف السبعينات وكان متضمنا بعض أفكار مشابهة لأفكار الإخوان. وقد عملت جماعة الإخوان المسلمين على وضع نظام أساسى لها يوضح طريقة انتخاب مرشدها العام وكيفية تدرج الإدارة بها لتنتقل القرارات من الأسرة إلى الشعبة إلى المنطقة إلى الإدارة وتتضح جميعها فى موقعها السابق على شبكة الانترنت حيث تدرج ذلك النظام منذ عام ١٩٤٨م إلى عام ١٩٩٥م بعدة تعديلات مختلفة فى سنوات ١٩٨٢ وعام ١٩٩٤ م ، أما عام ١٩٩٥ م فهو يعتبر العام الفارق فى طريقة تفكير الإخوان حيث اعتمد فيه الإخوان على مكتب الإرشاد المماثل للمكتب السياسى لأى حزب والذى يمكن من خلاله انتخاب المرشد العام حيث أن الاجتماعات منذ عام ١٩٩٥ م أصبحت محظورة وتؤدى حتما إلى السجن لفترة تصل لثلاث سنوات أو أكثر، ثم اعتمد الإخوان بعد ذلك العام على اتباع النهج السياسى الواضح بالدخول فى الانتخابات بجميع أنواعها من مجالس نيابية إلى نقابات واتحادات كما كانت سابقا خلال فترة نهاية السبعينات .

وتنتشر جماعة الإخوان المسلمين فى كل مصر وتمتد حتى إلى النجوع والقرى بنفس الطريقة التى وضعها حسن البنا التى تعتمد على

الاحتكاك بالجماهير وضرورة إقناعهم بالدين من خلال العمل الاجتماعى والخيرى وتكوين قيادات شعبية تتغلغل فى كل نسيج المجتمع المصرى .
ومن الغريب أن تكون جماعة الإخوان المسلمين هى من ساندت وساعدت ثورة ٢٣ يوليو فى نجاحها وإن أنكرت الثورة ذلك ولكن كل الشواهد التاريخية تؤكد قول الإخوان بأنه كان لهم دور مساند للثورة حتى حدث الانقلاب عليهم عام ١٩٥٤ م وتخلصت الثورة من كل أعضاءها المساندين للإخوان .
أما من ناحية الفكر الإسلامى فتنتهج الجماعة دائما على حد قول قادتها الفكر الوسطى بين السلفيين والعلمانيين حيث تؤمن بضرورة تطبيق الشريعة ولكن تختلف مع السلفيين فى طريقة التطبيق حيث تنظر الجماعة دائما إلى أن الدين يجب أن ينتشر بالحسنى وبالمثل العليا التى تجعل عضو الجماعة هو قدوة المجتمع فى التغيير الذى سيأتى حتما ولكن بالطريق التدريجى الذى لا يضر المجتمع ، وهذا النهج الوسطى ساهم بشكل كبير فى اتساع دائرة جماعة الإخوان التى كانت متحدة مع الجماعة الإسلامية لتشكل خلال فترة نهاية السبعينات عصب كل اتحادات الطلاب بالجامعات وكذلك الاتحادات العمالية والنقابات المهنية ولكنهاعانت التضييق مع نهاية عصر الرئيس السادات وعانت الاضطهاد الشديد خلال الفترة الأولى لحكم الرئيس مبارك ولكنها بالصبر والمثابرة وصلت للقمة عام ٢٠٠٥ لتصبح أقوى قوة معارضة فى مصر بحصولها على خمس عدد نواب مجلس الشعب فى الانتخابات التى لو تركت بدون تزوير لتعدى عدد ممثليها ثلث عدد مقاعد البرلمان آنذاك متفوقة على كل الأحزاب السياسية .
ولا يمكن لأى متابع لشئون الإخوان إلا أن يدرك أن هناك عدة أجنحة فى جسد جماعة الإخوان فهناك جناح يمينى متشدد وأخر يسارى متحرر ووسط بينهما وفى كل مرحلة يسيطر أحد الأجنحة على قيادة الجماعة إلا أن المرحلة القادمة ستكون بلا شك لجماعة شباب الإخوان

المسلمين التى ساندت الثورة وكانت أحد أهم الأسباب التى أدت لنجاح الثورة المصرية عام ٢٠١١م .
ومنذ نشأة الجماعة ونجاحها اجتذبت دولا اخرى لتطبق نفس الطريقة الإسلامية الخيرية فانتشرت فى معظم الدول الإسلامية جماعات الإخوان المسلمين ثم تطرق قادتها إلى إمكانية تكوين مجلس عالمى للإخوان المسلمين حول العالم وقد حدث بالفعل وقد يتحول هذا المجلس فيما بعد إلى منظمة مؤتمر إسلامى شعبى يقابل منظمة المؤتمر الإسلامى الحكومى .
ومع منتصف عام ٢٠١١م تكون أول حزب ينتمى لجماعة الإخوان وهو حزب الحرية والعدالة وكان أول حزب قوى يتم تأسيسه بعد الثورة المصرية .
أما أهمية جماعة الإخوان المسلمين وهو ما دعانا إلى عمل ملحق خاص بها دون غيرها فيرجع إلى أنها التيار الأكبر المعارض المنظم خلال السنوات السابقة وكذلك لأنها التيار المنظم حتى من الناحية السياسية خلال السنوات القليلة القادمة نظراً لضعف معظم التيارات الأخرى فى الفترة الانتقالية لثورة مصر الحديثة ، وبالتالى سيصبح حزبها القادم أقوى حزب سياسى للفترة القصيرة القادمة كما توقعت الدول الغربية.
وبالرغم من كل ما ذكرنا إلا أن جماعة الإخوان المسلمين جماعة غير مسجلة من الناحية القانونية وبالتالى ليس لها كيان قانونى رسمى حتى كتابة هذه السطور.

ملحق رقم (٢)

السلفيون والمذهب السلفى

تتردد فى هذه الأيام على ألسنة الناس كلمة " السلفيين " فهم يسمعونها تتردد فى كل وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة ولكنهم واقعون فى حيرة من أمرهم عن معناها ومغزاها ولكى نوضح للقارئ معناها ينبغى أن نتتبع تاريخ تلك الفئة خاصة فى التاريخ الاسلامى لدولة المماليك حيث أن التاريخ القديم منذ القرن السابع الهجرى الذى أفرز لنا العلامة ابن تيمية -الذى يعتبره السلفيون الأب الروحى وباعث النهضة الإسلامية السلفية بعد عصر الإمام أحمد بن حنبل الذى اندثرت معالم متبعيه ولم يتبق منهم الا العدد القليل- قد مر بفترة تشبه ما نحن فيه الآن حيث بدأ القرن الثامن الهجرى بنفس الفكر الموجود الآن من المناداة بحرمة الأضرحة والاحتفالات والموالد والتبرك بالأولياء والقبور ومن العداء للمذاهب الأخرى والصوفيين والشيعة بل وللديانات الأخرى وتكفير معتنقيها ، وقد حدث آنذاك ما حدث فى الفترة السابقة الخاصة بالإمام أحمد بن حنبل حيث تم حبس أتباع بن تيمية وتعذيبهم أحيانا ، وقد لاقى بن تيمية نفس المصير الذى لاقاه معلمه الروحى أحمد بن حنبل حيث سجن لفترة طويلة حتى تولى الناصر قلاوون حكم مصر وكان يميل إلى الفكر المضاد للشيعة والصوفية لذلك عفى عنه وأكرمه وبذلك دخل فكر بن تيمية مصر مع القرن الثامن الهجرى. والحقيقة التى لا جدال فيها أن هذا الفكر لم يستقم مع المصريين لفترة طويلة حيث نسى المصريون تماما ابن تيمية وأفكاره ولم يتذكروه إلا مع بداية الستينات مع انتشار فكر العالم سيد قطب الذى يعتبر أهم رافد للسلفية الحديثة من نهر محمد بن عبد الوهاب السلفى السعودى ، ثم زاد الانتشار مع أوائل السبعينات من القرن العشرين وذلك حينما زاد التعاون بين مصر والمملكة العربية السعودية وقصد المصريون المملكة للعمل والرزق فتعرفوا على أهم روافد الفكر السلفى وهو الفكر الوهابى الذى نشأ على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى نهاية القرن الثانى عشر الهجرى أو الثامن عشر

الميلادى حيث نادى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالتوحيد والعودة لأفعال السلف الصالح الواردة فى كتب الحديث والتفسير المختلفة حسب نهج أحمد بن حنبل ودعا إلى هدم الأضرحة والمزارات التى انتشرت حول الحرم ومن ثم تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقا كاملا لتكون هى قانون البلاد وقد اقتنعت عائلة آل سعود بذلك واتبعت تعاليمه ثم أصبحت تلك العائلة فيما بعد هى الحاكمة للملكة العربية الحديثة ومطبقة للشريعة الإسلامية على نهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وبذلك انتقل هذا الفكر إلى مصر فتنازل المصريون مع بداية السبعينات عن اعتناقهم لمذهب المالكية أو مذهب الشافعية أو حتى المذهب الحنفى وظهرت فى الأفق مذاهب تعتمد على الأحاديث التى وردت فى الصحيحين أى البخارى ومسلم أو حتى فى كتب الصحاح والسنن الأخرى أو فى كتب التفسير بغض النظر على انتماءها لمذهب معين وبدأ ظهور فقه جديد هو فقه السنة الذى يعتمد عليه الفكر السلفى الحديث فى استنباط الأحكام من خلال **السلف الصالح الذى اصطلح الناس على تسمية من اتبع ذلك النهج باسم السلفيين أى أتباع السلف الصالح وهم الصحابة والتابعون من وجهة نظرهم.**

فى هذا الفكر يعتمد السلفيون على مصدرين أساسيين هما القرآن والسنة المطهرة أما القرآن فقد اختزلت تعاليمه إلى أقوال المفسرين التى ترد فى تفسيرات محدودة مثل ابن كثير أو القرطبى وأما السنة المطهرة فقد اختزلت إلى صحيح البخارى و مسلم ومن هنا ضاقت مصادر الفكر الإسلامى لتتحول إلى تلك الروافد الأربع الرئيسية مع قلة الأخذ بالروافد الإسلامية الأخرى وإهمال المذاهب السنية الأربعة القديمة بحيث أنه لو تعارضت فتوى أو تفسير مع أحد التفاسير الموجودة عند القرطبى أو حديث موجود عند الإمام البخارى فالأولى هو ما ورد فى القرطبى أو عند الإمام البخارى ولا يهم كثيرا قول الإمام مالك أو الإمام الشافعي لأنها لم تعد من روافد الفكر الاسلامى إلا عند الدارسين الأزهريين فقط . ومن هنا نشأت مذاهب جديدة للسلفيين – حيث أن السلفيين ليسوا كلهم على مذهب واحد يتداخل

كثيرا مع مفهوم الجماعة الإسلامية – تعتمد على اعتبار أن ما ورد فى صحيحى البخارى ومسلم هو أمر واجب النفاذ فالحديث الذى منع اتخاذ القبور مساجد سيؤدى عندهم إلى وجوب هدم الأضرحة وكذلك عدم التبرك بها – علما بأنهم لم يقدموا تفسيرا مقنعا لبقاء قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى مسجده بالمدينة المنورة وعدم نقله - مع عدم الموافقة على إقامة الموالد أو تبرج النساء أو زيارة القبور فى العيد بالإضافة إلى النهى عن حلق اللحية أو سماع الموسيقى أو التصوير بكافة أنواعه، كل تلك الأمور تؤدى بالفعل إلى الصدام بين الجمهور والسلفيين. والحقيقة أن القدماء كانوا أكثر تفتحا ممن تلاهم من سلفيين حيث تركوا بعض الأحاديث - ليس عن إنكار – لوجود أفعال لأهل المدينة مثلا قد لا توافق هذا الحديث وبالتالى قد يصبح فعل أهل المدينة على قدر السنة عند المالكية وإعمال العقل له أهمية كبرى عند الحنفية فأمور الزينة والملابس واللحية والشارب وحتى أمور الزواج والطلاق اختلفت عبر العصور فاختلف فيها الفقهاء وبالتالى كان للناس فى العصور القديمة متسع كبير فى التعامل مع تلك الأمور ولكن عند السلفيين فى العصر الحديث لم تعد تلك الحرية موجودة فالحديث الفلانى يتحدث عن منع كذا وبالتالى كل مع عداه فهو باطل على طريقة كل من لا يترك لحيته ويحفف شاربه فهو فاسق . ونود أن نشير فى النهاية إلى أن الفكر السلفى بالرغم من اعتماده بصورة أساسية على فكر السلف الصالح إلا أنهم يختارون من فكر السلف الصالح ما يقيد الحريات وبالتالى يصبح الفكر السلفى هو أضيق الأفكار الإسلامية لأنه يهمل كل الأفكار المذهبية السنية الأخرى أو الصوفية أوحتى الشيعية بحجة فسادها لوجود حديث صحيح يبطل أفكار تلك الفئات غير السلفية مع أن أحاديث الشيعة صحيحة من وجهة نظر الشيعة حيث رواها طاهر عن طاهر وكذلك اعتقادات الصوفية هى صحيحة من وجهة نظر الصوفيين.

أما الآراء المتطرفة لبعض أنصار للفكر السلفى – وليس بالطبع كل الآراء - فقد ظهرت مع بداية السبعينات من القرن العشرين بعدة

جماعات متفرقة أهمها جماعة التكفير والهجرة التى اعتنقت مبدأ تكفير كل من لا يتبع مذهبهم ويجب مقاومته بالقوة مما أدى إلى العديد من المناوشات بدءا من حادث الخانكة أوائل السبعينات إلى حادث الكلية الفنية العسكرية منتصف السبعينات إلى قتل الشيخ الذهبى والعديد من الحوادث الطائفية ، إلا أن الأكثر خطورة كان لفكر جماعة الجهاد الإسلامية التى اعتنقت فكر ابن تيمية ومن بعده ابن القيم بطريقة حرفية من ضرورة قتال الطاغية لنشر الشريعة وتعريفهم الخاص بهم لمفهوم الطاغية والطاغوت فأدى ذلك إلى مقتل الرئيس الراحل أنور السادات عام ١٩٨١ م وإن اعترف قادة تلك الجماعة فيما بعد وفى حدود عام ١٩٩٧ م بتخليهم عن فكرة الجهاد ضد الحاكم والاكتفاء بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وما شابه ، ولكن الحق أقول أن البعض من شيوخهم أو الموالين لهم اتبعه بعض المصريين وقدروهم على اختلاف مذاهبهم مثل المرحوم الشيخ عبد الحميد كشك والشيخ عمر عبد الرحمن المعتقل بالولايات المتحدة والشيخ المحلاوى بالإسكندرية . ولكن من حسن الحظ التاريخى أن كل أشكال الفكر السلفى على مر العصور لم يكتب لها الدوام فى مصر منذ قدوم ابن تيمية منذ أكثر من سبعمائة عام حيث أن مصر لم ترضه كحكم فى أى فترة من فترات تاريخها الإسلامى الممتد لنحو أربعة عشر قرنا فهل سيستمر ذلك الحكم التاريخى ؟ .

ملحق رقم (٣)

موقف المصريين من الجيش عبر التاريخ الحديث

منذ جاء محمد على باشا للسلطة عام ١٨٠٥ م وهو يفكر فى إنشاء جيش مصرى قوى يشبه الجيش التركى لذلك بدأ فى إنشاء المدرسة الحربية فى عام ١٨١١م لتكون نواة لتدريب ضباط الجيش المصرى الذى ينوى إنشاءه وقد استعان فى تلك الفترة بطلاب من الأتراك والمماليك والأرمن إلى جوار القليل من الطلاب المصريين ليصبحوا جميعا ضباط الجيش المصرى الجديد ولم يكتف محمد على بذلك بل قام بتدريب الجنود فى مدرسة بأسوان ثم ببنى عدى وقام بتسليح الجيش المصرى بالمدافع والبنادق إلى جوار السيوف مما جعل الغرب وحتى الدولة العثمانية التى يحكم باسمها يتوجسان منه خيفة لكثرة العدد والعتاد لهذا الجيش ، وامتد الأمر بمحمد على ليكون جيشا جديدا محلى الهوية يحل محل الشرطة فى وأد الخلافات الكبيرة واستعان بجنود أقوياء أشداء اجتذبهم من قبائل شمال السودان وهم الهجانة ، وبذلك وضع محمد على أسس الجيش المصرى بصورته الحديثة وأسس خلاله مدارس الجيش المختلفة فى مدن مصرية مختلفة من القاهرة إلى أسوان إلى دمياط ، بل ووضع أسس الصناعات الحربية والأسطول البحرى الحديث مستعينا بفرنسا حليفه التقليدى ضد العثمانيين والبريطانيين ، واستغل قدرة ذلك الجيش الذى أخذ فى الازدياد ليصل إلى ما يقرب من ربع مليون جندى وضابط عام ١٨٣٩ م فى القيام بعدة غزوات من السودان إلى الجزيرة العربية إلى الشام وحتى مساندة تركيا فى حروبها قبل أن يحلم بتكوين إمبراطوريته المصرية الخاصة .

ومع تنامى قوة الجيش لم يجد محمد على بدا من اجتذاب المصريين لذلك الجيش وبالفعل اجتذب إليه المصريين بصفة خاصة كجنود و ضباط صف ثم تحولوا إلى أكثرية خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر وخرجت منه أول ثورة عسكرية بقيادة أحمد عرابى

ورفاقه عام ١٨٨١ م وانهزموا أمام القوات الإنجليزية التى احتلت مصر بعدها . وقد حاول الاحتلال الانجليزى تقليص قوة الجيش المصرى حتى لا يكون شوكة فى ظهره أثناء الاحتلال وقد نجح فى ذلك حتى قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ م .

مع بداية الحرب العالمية الأولى احتاجت بريطانيا إلى قوة عسكرية إضافية حتى لو كانت مصرية لذلك أعادت فتح الباب مجددا للمصريين لينضموا للجيش حتى ولو بصورة إجبارية ليكونوا فى الخطوط الخلفية أو خطوط الإمداد للجيش الإنجليزى حتى خارج مصر ومنذ ذلك الحين تكون الجيش المصرى بصورته الحديثة بألويته وأسلحته ومكوناته من ضباط وصف ضباط وجنود وتخرجت من كليته الحربية أول الدفعات الوطنية التى تأثرت بثورة ١٩١٩ م وكان من بينها محمد نجيب الذى تخرج عام ١٩١٧ م .

وبعد قيام ثورة عام ١٩١٩ م واستقلال مصر – الناقص - عام ١٩٢٢ م بدأ الملك فؤاد فى تكوين الجيش الملكى على النظام الانجليزى وليس التركى كما سبق وتحددت الرتب وسمح بالترقيات ومع بداية تولى الملك فاروق عام ١٩٣٦م تم فتح باب التقدم للكلية الحربية على مصراعيه حتى بدون واسطة فدخل المصريون بمختلف طوائفهم الجيش المصرى وتخرجت دفعات ما قبل الحرب العالمية الثانية التى قامت بثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ م فيما بعد ، وجميعهم من الجيش برئاسة حقيقية للقائد الراحل جمال عبد الناصر ومجلسه العسكرى الذى سمى مجلس قيادة الثورة وتحولت مصر إلى جمهورية عام ١٩٥٣ م إلى أن استأثر جمال عبد الناصر بالسلطة عام ١٩٥٤ م .

ومنذ ذلك العام أحس الرئيس جمال عبد الناصر بأهمية الجيش المصرى فبدأ عملية تحديث لأسلحته جاء معظمها من دول أوربا الشرقية ثم جاء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ م ليتحول جمال عبد الناصر مع مطلع عام ١٩٥٧م إلى قائد تاريخى ويتحول جيشه إلى أقوى جيش فى المنطقة العربية بلا منازع وتفرغ جمال عبد الناصر لمهام الرئاسة ليتنقل الجيش إلى قيادة عبد الحكيم عامر بنقلة

نوعية جعلت مكانة الجيش المصرى فى أعلى قدر لها خلال الفترة من عام ١٩٥٧م إلى عام ١٩٦٧ م .

وخلال تلك الفترة مال الجيش المصرى إلى الطريقة الروسية فى التفكير العسكرى بعد أن كان إنجليزى التفكير وبدأت البعثات والدورات التدريبية للضباط ترسل إلى روسيا ودول أوربا الشرقية ليتم التدريب على الأسلحة الروسية التى تم تسليح الجيش المصرى بها خاصة الدبابات والمدفعية والطائرات ، وامتد الامر ليتم إنشاء مصانع الأسلحة التى تتبع الجيش والتى تعرف باسم المصانع الحربية لتكون نواة الصناعات الحربية المصرية خاصة بعد إنشاء مصانع الحديد والصلب المصرية .

وقد خاض الجيش المصرى عدة تجارب خلال الفترة التالية للحرب العالمية الثانية كالتالى :

١- تجربة حرب عام ١٩٤٨ م مع إسرائيل تلك الدولة حديثة النشأة والتى لم يستطع الجيش المصرى هزيمتها لوجود بعض الأسلحة الفاسدة فى ذخائر الجيش المصرى ولاتباع إسرائيل طريقة حرب العصابات.

٢- تجربة حرب السويس عام ١٩٥٦ م وهى العدوان الثلاثى على مصر ولم يتمكن الجيش المصرى من اكتساب خبرات حربية كبيرة منها وذلك لعدم وجود معارك حربية واضحة ووجود مقاومة شعبية ائتلف فيها الجيش مع الشعب ليكونا نسيجا واحدا ، ولكن أصبح بعدها الجيش المصرى أقوى من ذى قبل .

٣- تجربة نقل جزء من القوات عام ١٩٥٨ م إلى الإقليم الشمالى للجمهورية العربية المتحدة لتدريب الجيش السورى .

٤- تجربة حرب اليمن بدءا من عام ١٩٦٢م ولم يجن منها الجيش المصرى أى مكاسب حيث كانت الحرب مع اليمنيين أقرب إلى حرب العصابات منها إلى الحرب المنظمة وبالتالى خرج منها الجيش منهكا

٥- نكسة عام ١٩٦٧ م وهى الهزيمة التى كان لها تأثير كبير على مكانة مصر فى العالم العربى حيث فقدت مصر جزءا كبيرا من عتادها ورجالها خلال الحرب الخاطفة التى قامت بها إسرائيل فى ستة أيام وكان من نتائج تلك الحرب سقوط القيادات مثل عبد الحكيم عامر الذى يقال بانتحاره لفشله فى تلك الحرب .

٦- حرب الاستنزاف من عام ١٩٦٧ إلى ١٩٧٠ م وهى الحرب التى أعادت الثقة للجيش المصرى لتجاوز أزمة نكسة يونيو فقام خلال تلك الفترة باعمال بطولية رائعة أعلت من شان الجيش المصرى ورفعت مكانته لدى الشعب فأصبح لكل أسرة ممثلا عنها فى الجيش حيث طالت فترة التجنيد لتجاوز أزمة نكسة يونيو .

٧- حرب اكتوبر المجيدة ١٩٧٣ م وهى الحرب التى أعادت مصر لمكانتها العسكرية بين دول الشرق الأوسط حيث حققت الانتصار على العدو التقليدى لمصر وظهرت خلال تلك الحرب البطولات التى ما زالت تحكى إلى الآن حيث أخذت تلك الحرب حقها من الدراسة التاريخية وأعلت مكانة الرئيس الراحل أنور السادات وقادته العسكريين الذين كان من بينهم الرئيس السابق حسنى مبارك . وكان من النتائج الهامة لتلك الحرب هو قيام السلام مع إسرائيل وبذلك مالت كفة الرئيس السادات إلى الولايات المتحدة وحينئذ تحولت وجهة الجيش المصرى إلى الفكر الأمريكى فى التسليح والقتال إلى جوار الفكر الروسى .

٨- حرب الخليج عام ١٩٩٠ م وفيها ناصرت مصر دول الخليج والغرب فى حربه على العراق وكانت تلك الحرب علامة فارقة فى تطور الجيش المصرى حيث تحول بفكره إلى الطريقة الغربية وانتهت تماما الأفكار وحتى المعدات الروسية وأصبحت المعدات الأمريكية والغربية هى المكون الأساسى

للجيش المصرى بل وتغيرت وجهة التدريب إلى الولايات المتحدة والدول الغربية .

أما على مستوى التعاون بين الجيش والشعب فقد بدا واضحا مع قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م وتأصل هذا التعاون مع العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م حيث بدت بذور التفاهم بين الجيش والشعب وزكت تلك المحبة الطريقة التى اختارتها ثورة ٢٣ يوليو لتكوين الجيش اعتمادا على المجندين ليكونوا العصب الرئيسى للجيش وكذلك على دخول كل طبقات الشعب لكلياته العسكرية وبذلك أصبح الجيش هو الشعب والشعب هو الجيش لكون المجند - الذى لا بد أن يقضى فيه فترة من حياته بطريقة إجبارية - هو عماد ذلك الجيش وبالتالى عاصر كل المصريين طريقة الجيش فى اتخاذ القرارات ورضى جميعهم عن تلك الطريقة حتى فى أصعب الفترات ، حيث كانت المؤسسة العسكرية هى أقل المؤسسات فسادا خلال فترة حكم الرئيس السابق حسنى مبارك مما جعل الشعب يستجيب لتنحى الرئيس السابق حسنى مبارك للجيش لأن كل الشعب يثق فى جيشه ثقة كبيرة ويدرك أنه حامى حمى الوطن منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو حيث فسدت بعض قيادات الجيش قبل النكسة عام ١٩٦٧م ولكن لم يفسد الجيش بل قام من عثرته وانتصر .

ملحق رقم (٤)

هتافات الثورة

تعتبر هتافات الثورة المصرية جزءاً من تراث الثورة الواجب توثيقه وتتضمن تلك الهتافات –وبالطبع ليس كلها- حسب ما كان يقال فى المظاهرات ما يلى :

- إرحل
- الشعب يريد إسقاط النظام
- الشعب يريد إسقاط الرئيس
- يسقط يسقط حسنى مبارك
- الجيش والشعب إيد واحدة
- يأهالينا ضموا لينا انضموالينا
- واحد اثنين الشعب المصرى فين
- مش حنخاف مش حنطاطى احنا كرهنا الصوت الواطى
- ارفع صوتك زى الناس احنا كرهنا الظلم خلاص
- قالوا علينا شعب جبان واحنا أهوه فى كل مكان
- اشهد اشهد يا زمان الشعب المصرى مش جبان
- اصحوا وفوقوا يا مصريين مش حنقول للظلم آمين
- على وعلى وعلى الصوت اللى حيهتف مش حيموت
- اللى بيضرب أهله وناسه يبقى عميل من ساسه لراسه
- تغيير حرية عدالة اجتماعية
- ارحل يعنى إمشى ياللى مبتفهمشى
- كلموه بالعبرى مبيفهمشى عربى
- مش حنمشى هوّه يمشى
- ارحل بقى ياعم خلى عند دم
- ثورة ثورة حتى النصر ثورة ف كل شوارع مصر
- ثورة مصر جاية جاية بالعدالة والحرية
- بسم الله الله أكبر

- هوه مبارك عايز أيه   عايز الشعب يبوس رجليه
- حسنى مبارك باطل ... جمال مبارك باطل ... حبيب العادلى باطل ... أحمد عز باطل ... مجلس الشعب باطل
- حسنى مبارك مش عايزينه
- حسنى مبارك يا جبان   ياعميل الأمريكان
- ثورتنا ثورة شعبية   ضد مبارك والحرامية
- يا مبارك يا مبارك   السعودية فى انتظارك
- يا مبارك يا مبارك   الطيارة فى انتظارك
- قول يا زين قول لمبارك   السعودية فى انتظارك
- يا مبارك بره برة   عايزين مصر تبقى حرة
- حللو يا حللو   مبارك شعبو حللو
- يا مبارك يا خسيس   دم المصرى مش رخيص
- يا مبارك يا طيار   راحوا فين سبعين مليار
- يا جمال قول لأبوك   كل الشعب بيكرهوك
- يا سوزان قولى للبيه   كيلو العدس بعشرة جنيه
- يا سوزان قولى للبيه   كيلو اللحمة بميت جنيه
- يا سوزان خافى عليه   هنجيبهولك من رجليه
- يا حرية فينك فينك   حسنى مبارك بيننا وبينك
- يا حرية فينك فينك   أمن الدولة بيننا وبينك
- آه يا حكومة هشك بشك   بكرة الشعب المصرى يهشك
- غلوا السكر غلوا الزيت   بكرة نبيع عفش البيت
- الجزيرة فين ... المصريين أهم

قائمة المراجع

المراجع العربية :
١- جريدة المصرى اليوم:الأعداد من يوم ٢٥ يناير ٢٠١١م
٢- جريدة الشروق : الأعداد من يوم ٢٥ يناير ٢٠١١ م
٣- جريدة اليوم السابع : الأعداد من يوم ٢٥ يناير ٢٠١١ م
٤- جريدة الشرق الأوسط : الأعداد من ٢٥ يناير ٢٠١١ م
٥- كتاب الثورة الفرنسية : لويس عوض ١٩٩٢ م
٦-كتاب قصة الحضارة : ول ديورانت ترجمة محمد بدران وفؤاد اندراوس الطباعة من عام ١٩٧١ إلى عام ١٩٨٥ للأجزاء المتعددة
٧- معالم تاريخ الإنسانية : هـ.ج. ويلز ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ١٩٩٤ م الهيئة العامة للكتاب
٨- عشرة أيام هزت العالم : جون ريد ترجمة فؤاد الطرابلسى ١٩٩٩م
٩- كتاب وصف مصر : ترجمة كامل زهيرى وآخرين
١٠- موسوعة تاريخ العالم : وليام لانجر
١١-تونس فى خضم الثورة : منشورات منظمة العفو الدولية ٢٠١١
١٢- موقع قناة الجزيرة الفضائية للأخبار من يوم ٢٥ يناير
١٣- موقع بى بى سى على الانترنت والفضائية من يوم ٢٥ يناير
١٤- موقع الدستور الأصلى على الانترنت من يوم ٢٥ يناير
١٥- موقع الاخوان المسلمين على الانترنت
١٦- جريدة الشرق الأوسط عام ٢٠٠٩ عشرون عاما على الثورة الإيرانية لكتاب متعددين .

المراجع الأجنبية :

1- Guardian Newspaper : www.guardian.co.uk
2- Newsweek Newspaper : www.newsweek.com
3- Der spiegel Newspaper: www.spiegel.de